

أخبار النساء

تأليف

ابن الجوزي

الحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي

"٥٠٨-٥٩٧ هـ"

هذبه وحققه

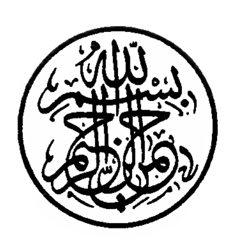
إيهاب كريم

دار النديم

دار النَّـديمُ
للطباعة والنشر
كورنيش بشارة الخوري - بناية حلاق
هاتف : ٣١١٥٧٨ - ٨٦٣٣٩٣
ص ب : ٤٦٩٩ أو ٥٤٩٠ / ١٤
تلكس : DAFKLB 23648 LE - بيروت لبنان

الطبعة الأولى ١٩٩١

أخبار النساء



المحتويات

• • •



مقدمة المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسّلام على سيّدنا ونبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد، فإنّ الحديث عن المرأة حديثٌ متشعّب الجوانب، متعدّد الموضوعات، متباين الأغراض والاتجاهات، بعيد المناحي والأهواء، لأنه حديث يتّصل بالعواطف الإنسانية بوشائج كثيرة، وبالتالي لا يمكن لنا أن نتتبّع خيوطه، وننسج ملامحه، فهو حديثٌ قديمٌ قدم الإنسان، بعيدُ بعد الزمن وتواجد الحياة فيه.

والحديث عن المرأة حديثٌ عن جزء كبيرٍ من المجتمع الإنساني الذي تمثّل فيه المرأة حضوراً فاعلاً ومؤثّراً لا يمكن لأحد أن يتجاهله أو يقلّل من أهمّيته وأبعاده، ولا يمكن لصفحاتٍ قلائل أن ترسم صورة للمرأة التي ترافق وجودها مع وجود الرجل، وكانت معه في كلّ حادثة رفيقاً وأنيساً وعشيراً وأليفاً وحبيباً وشاهداً على مسيرة الحياة وبناء الإنسان، فهي نصف المجتمع، بل النّصف الهام الذي يتولّى شؤون الأسرة ويسهر على تربية النشىء وإعداده إعداداً سليماً لمواجهة الحياة.

وإذا كان من الصعوبة علينا بمكان، أن نتلمّس الجوانب التي أسهمت فيها المرأة في تلك المسيرة الإنسانية الكفاحية، نظراً لارتباط التاريخ بالرجل دون المرأة، وباختصاصه الذي آثر تتبّع أخبار الرجال دون النّساء إلاّ في القليل النادر، حيث قدّر للمرأة في بعض الأوقات أن تفرض نفسها على التاريخ، ــ فكان والحالة تلك ــ لا بدّ من تسطير بعض النتف اليسيرة عنها، وهذه النتف تراها مترامية في كتب الأخبار والسّير والأدب والتاريخ، وهي لا تشكّل في مجملها إلاّ جزءاً يسيراً من

تاريخ الإنسان الذي أسهمت فيه المرأة ولا شك بقسطٍ وافر ونصيبٍ لا يمكن إنكاره، فإنه لم يعد من الجائز علينا في عصر الرقي والحضارة والتمدّن، أن نغفل نحن اليوم دورها الرائد الذي يتجاوز كلّ الأنانيات ويرسم لها الصورة الوضيئة المشرقة التي تقدّر ذلك الدّور الهام في بناء الحياة والإنسان.

وإذا حاولنا أن نتتبع الصورة التي كانت عليها المرأة قبل عصرنا الحاضر مستندين إلى بعض الوقائع والأحداث التاريخية، وما وردنا من أحاديث وروايات وأخبار لا ترفع في الكثير منها ذلك الغبن الذي لحقها على مدى التاريخ الإنساني الطويل، فإننا نجد المرأة في الجاهلية لا تتمتّع بحقّها الوجودي الصحيح إلاّ في النادر الذي تكون فيه المرأة من النّساء الحرائر، وبالتالي فإنّ لها حرّية الاختيار وحرّية النقض في آن واحد، فهي في هذا الحقّ الغريزي متساوية مع الرّجل، ولكنها في الحقوق الأخرى تبقى تابعةً له، فلا رأي ولا قرار، بل عليها أن تلازم بيته وتنجب أبناءه وتساعده على قضاء الكثير من الحوائج، وهنا أيضاً يجب أن نشير إلى بعض الاستثناءات التي لعبت فيها شخصية المرأة وقدراتها الذاتية دوراً فعّالاً لا يقتصر على ما أشرنا إليه، بل يتعدّاه إلى التأثير في كثيرٍ من المسائل والمشكلات.

ويأتي الإسلام فينصف المرأة، ويحاول في عقائده وشرائعه أن يرسّخ حقوق المرأة وينظّم العلائق الاجتماعية داخل الأسرة والمجتمع، فيفرض لها الحقوق ويشترع لها الواجبات، ويخاطب القرآن في كثيرٍ من سوره وآياته المرأة مخاطبة الرجل، بل وكثيراً ما يشير إلى دورها العظيم كأمٍّ حانية يجب على الإنسان أن يرفق بها، ويعمل على تكريمها لقاء ما لها من فضائل وأتعاب ثم لا ينسى أن يعدها بالأجر والثواب، إن هي آمنت وصلحت وحفظت حدود الله، وعملت جهدها على إعداد بنيها إعداداً فاضلاً لمواجهة الحياة، وما أجمل تلك الآية الكريمة التي تجعل المرأة قطعة من نفس الرجل، وعلامة على قدرة الله في خلقه يقول عزّ من قائل: ﴿ومن ءَايٰته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها، وجعلنا بينكم مودّةً ورحمة، إن في ذلك لآيٰتٍ لقومٍ يتفكّرون﴾. ففي هذه الآية نلمح أهميّة المرأة

وأهميّة العلائق التي يجب أن تبنى عليها الحياة الزوجية، إنها علائق من الودّ والرحمة والتكريم الذي يعتبر المرأة قطعة من النفس وجزءاً من الوجود والحياة، ولن نستطيع في كلمات قلائل أن نبيّن ما شرّعه الإسلام للمرأة، وما فرضه عليها من حقوق وواجبات، ويكفي أنه خاطبها كما خاطب الرّجل، وفرض عليها ما فرض عليه من حدود، فهي في نظره مخلوق مهم قادرٌ على العمل والتفكير والتصرّف ومواجهة الحياة، فضلاً عن كونها تتمتّع بمزايا لا يمتلكها الرجل، وهي مزايا الأمومة التي نحني رؤوسنا إكراماً لأهميتها وإكباراً لمسؤوليتها وتبعاتها.

وتسير الحياة بالمسلمين، وتتجاذبهم الأمصار، وتتقاذفهم رياح الاحتكاك بالشعوب الأخرى وبما لديها من عاداتٍ وتقاليد وحضارات فيلحق بهم من كلّ ذلك بقايا وترسّبات تؤثّر في كيانهم ومجتمعهم وطرق عيشهم ونظم سياستهم، فحسبنا أن نشير إلى بعض الجوانب الهامة المتصلة بذلك الموضوع في حديثنا على كتاب «أخبار النّساء لابن الجوزي» هذا الكتاب الذي تضمّن فصولاً تسعة ذكر فيها المؤلّف أخباراً ترتبط بعواطف الرجل والمرأة، فحديثه عن المرأة لم يكن قطّ منفصلاً عن الرّجل، لأنّ كلًّا منهما يتمّم للآخر، ويشكّل جزءاً هاماً من أحداث الخبر والرواية، ولذافإنّنا نجد ابن الجوزي يركّز على الأخبار التي تسطّر أخلاق النساء وصنعاتهن، وما يجب أن تتحلّى به المرأة من المزايا لتنال من الرجل وتدخل قلبه وتلذّ له في حلّه وترحاله، ويلقي الضوء على العواطف والغرائز المشروعة عند الرجل والمرأة، حيث يرى في كثير من الأخبار أنّ المرأة ليست وحدها المخلوق الضعيف الذي تخلب أسماعه الكلمات المعسولة، ويلسع قلبه لهب الحبّ الجارف، بل يرى أنّ الرجل في كثير من المواقف، أضعف من المرأة أمام الحبّ الذي قد يسدّ عليه الآفاق ويوصد أمام ناظريه كلّ الأبواب والنوافذ المؤدّية إلى الشعور بالجمال إلاّ من خلال من يحب، ويروي تدليلاً على ذلك أخباراً كثيرة عن الحبّ العذري الذي تقاسم فيه الرجل والمرأة أنواعاً من الهمّ وصنوفاً من الألم، وتباريح من الوجد، فإذ بالحبّ يتحكّم في النفوس، ويستولي على العقول، ويذهب بالألباب، وفي كثير من الأحيان بالحياة نفسها.

ويسـرد ابن الجوزي أخبـاراً كثيرة يحـاول من خلالهـا أن يغوص إلى أعمـاق النفس الإنسـانية عنـد المرأة والرجـل معـاً ليكشف عن أسـرار الغـرائـز الإنسـانيـة المخبوءة، والتي يمكن للمجتمع وتقاليده أن يحدّ في أحيان كثيرة من بروزها بشكل واضح وجليّ، نظراً للفـروقات الـطبقية وللمقـامات المؤثـرة وللحدود الشـرعية التي تفرض على العشاق قيوداً لا يمكن تجاوزها، فيتكلّف الشعر آنـذاك التعبير عن تلك العواطف والغرائز، ويبوح في أبياته عن آلام الحب وتباريح الهـوى وأوصاب النفس وعذابات الأرواح، ولـذا كان الكتـاب مليئاً بـالأشعار التي تسنـد الروايـات، وتظهـر شتات العواطف والمواقف:

وبعد، فإن كلماتٍ قليلة لا يمكن لها أن ترسم جهداً كبيراً لكتاب يشـدّنا إليـه بأواصر لا نستطيع تجاهلها أو التقليل من أهميتها مهما حاولنا أن نمعن الترفّع ونظهر الأنفة والكبرياء، لأنها أواصر تشكل جزءاً فاعلاً ومؤثراً في وجـودنا وكيـاننا وأحـلامنا وغرائزنا، وبالتالي تظلّ المرأة هي المرأة في القديم والحديث سلوة الرجل، وغذاءه الـروحي والجسدي، ونصفـه الذي لا يكتمـل بدونـه، ومهما حـاول الرجـل إخفـاء عواطفه أو السيطرة عليها، فإنّه في لحظة من اللحظات، لا يجـد مهربـاً من الحقيقة القدر، ومفرّاً من الوقوع في شَرَكِ الحبّ الذي قـد يفاجئـه على غير مـوعد، ويعَمـر قلبه دون استئذان، ويسكن جوارحه ويملأ كيانه، ويغيّر مجـرى حياتـه، وهو عـاجز عن ردّه أو كبحـه أو التقليل منـه، تلك سنّة الحياة، وذلك مجراها، ولن يستطيع الإنسان أن يغيّر في تلك السنة أو أن يحوّل المجرى إلى حيث يحبُّ ويشاء...

وإن كان كتاب أخبار النساء من كتب التراث المعروفة فإننا عملنا على حـذف العديد من الأخبار والعبارات الخادشة للحياة أحياناً ، ليس بهدف التشويه بل لتسهيل الأمـر على أولياء الأمـور في وضع الكتـاب ببساطـة بين أيدي أبنـائنا دون خشيـة أو خوف ، فيكون أداة للتثقيف والاطلاع والله من وراء القصد .

إيهاب كـريم

ابن الجوزي (٥٠٨ ــ ٥٩٧هـ)
حياته وآثاره

هو الفقيه الحنبلي الواعظ، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن جعفر الجوزي، القرشي، البغدادي، أبو الفرج، الملقَّب جمال الدين الحافظ: علّامة عصره في التاريخ والحديث والوعظ والإرشاد. . والجوزي، نسبة إلى «مشرعة الجوز» في بغداد، وهي محلّة من محالّها، أو إلى محلة «الجوز» بالبصرة، كما قال ابن العماد.

وُلد ابن الجوزي في بغداد سنة ثمانٍ وخمسمائة، أو ما بين ثمان وعشر وخمسمائة كما يقول ابن خلّكان في وفياته، ومات سنة سبع وتسعين وخمسمائة في بغداد. وتدلّ سيرته على أنّه نشأ يتيماً، فقد مات والده وله من العمر ثلاث سنوات، فربَّته عمَّته ووفّرت له النشأة الكريمة، ويسَّر الله له أبواب العلم والمعرفة والاستقامة، فتلقَّى علومه في المسجد الذي كان يتولّى فيه التدريس خاله أبو الفضل بن ناصر، حيث اعتنى به وأسمعه الحديث، وحفظ القرآن وقرأه على جماعة من القرّاء بالروايات السبع، كما سمع الكثير من العلماء وأخذ عنهم، واعتنى بطلب المباحث الدينيّة، واطّلع على فنون مختلفة من الآداب والسِّيَر والعلوم.

وقد اتجه ابن الجوزي منذ نشأته إلى الوعظ والإرشاد، وساعده في ذلك إطلاع واسع وثقافة متنوِّعة، فغدا المحدِّث العالِم الواعظ الفقيه الذي يتمتع ببديهة حاضرة وحجّةٍ دامغة وأسلوب مقنع، فتاب على يديه الآلاف واهتدى بعلمه الكثير، وحضر مجالسه الوزراء والحكّام، وبلغ عدد الحاضرين لمجالسه أحياناً مائة ألف.

وتدلُّ مؤلّفاته الكثيرة ومصنّفاته المتعدّدة على سعة إطلاعه وعمق معرفته وتنوُّع ثقافته، كما تدلُّ على نفسية تميل إلى الدعابة والترويح والاقتراب من مشاعر الناس؛ فهو لم يكن ذلك الفقيه المتشدّد والواعظ الزّاجر والمحدِّث الذي يحصر نفسه في الحدود والشرائع، بل كان ذلك العالم الذي يأخذ من كلّ علمٍ بطرف ويؤلِّف في الدِّين وفي غيره من القضايا التي تهمّ الإنسان فكراً وعواطف، كما ذكرت له بعض الأشعار التي تعبّر عن مكنونات نفسه ومشاعره.

أما مؤلّفاته فكانت من الكثرة بمكان؛ فقد ذكر ابن العماد الحنبلي أن ابن الجوزي سُئل عن عدد تصانيفه، فقال: زيادةً على ثلاثمائة وأربعين مصنفاً، ومن أهمّ مؤلّفاته التي ذكرتها كتب السِّيَر والتاريخ، المؤلّفات التالية:

- المغني في علوم القرآن.
- جامع المسانيد، سبع مجلدات.
- المجتبى في علوم القرآن.
- مناقب عمر بن الخطاب.
- مناقب عمر بن عبد العزيز.
- التفسير الكبير في عشرين مجلداً.
- الثبات عند الممات.
- تذكرة الأريب في اللغة.
- مشكل الصحاح، أربع مجلدات.
- التحقيق في مسائل الخلاف.
- ذمّ الهوى.
- تلبيس إبليس.
- صيد الخاطر.
- الذهب المسبوك في سِيَر الملوك.
- التبصرة.
- بستان الواعظين.

- القصّاص والمذكّرون.
- المواعظ والمجالس.
- نفح الطيب.
- المدهش.
- أخبار الأذكياء.
- أخبار المغفّلين.
- أخبار الأخيار.
- أخبار النساء .

وهناك عشرات المؤلّفات والمصنفات التي ما زالت مخطوطة، أو أنها ذُكرت له ولكنّها فُقدت أو لم يُعثر عليها حتى الآن.

وأسلوب ابن الجوزي في مؤلّفاته ومصنفاته كان الأسلوب الذي ينمّ عن شخصيته السمحاء الطيبة، فهو لم يكن الأسلوب المتشدّد الذي يميل إلى الإيجاز أو إلى التصنع بل كان ذلك الأسلوب السهل المنبسط الذي يتفّق في كثير من مؤلّفاته عذباً رشيقاً نقياً حاملاً إلى النفس المتعة والتشويق مبتعداً عمّا يحملها على الملل والضجر فكان بذلك مثال الأديب الفذ والواعظ المقنع والمحدّث الذي يأخذ بمجامع القلوب[1].

* * *

(١) راجع سيرته في وفيات الأعيان ١/٢٧٩، البداية والنهاية ١٣/٢٨، مفتاح السعادة ١/٢٠٧، شذرات الذهب ٤/٣٢٩، تذكرةالحفاظ ٤/١٣٥.



بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب ذكرت فيه أخبار النساء، فأقول ومن الله تعالى القبول:

باب

في أوصاف النساء

* قال معاوية[1] لصعصعة[2]: أيّ النساء أحبّ إليك؟ قال: المواتية[3] لك فيما تهوى. قال: فأيهن أبغض إليك؟ قال: أبعدهن لما ترضى[4]. قال معاوية: هذا النقد العاجل. فقال صعصعة: بالميزان العادل.

* وقال معاوية: ما رأيت نهماً في النساء إلا عُرف ذلك في وجهها.

* شكت امرأة إلى زوجها قلة إتيانه[5] إليها، فقال لها: أنا وأنت على قضاء عمر[6]. قالت: قضى عمر أن الرجل إذا أتى امرأته في كل طهر فقد أدّى حقها.

---

(١) هو معاوية بن أبي سفيان، مؤسّس الدولة الأموية في الشام سنة ٦٣٦، عُرف بالدّهاء والحنكة، وقد خلف الإمام علي بعد مقتله وبايعه المسلمون على الخلافة الإسلامية.

(٢) هو صعصعة بن صوحان العبدي من سادات عبد القيس من أهل الكوفة، كان خطيباً بليغاً عاقلاً شهد صفّين مع علي، وله مواقف متعدّدة مع معاوية.

(٣) المواتية: الخاضعة والراضية.

(٤) أبعدهن لما ترضى: أي المخالفة لأهوائه.

(٥) اتيانه: التحبب إليها.

(٦) هو عمر بن الخطاب، أمير المؤمنين والخليفة الثاني للمسلمين.

* قال بعض الحكماء: لم تُنه قط امرأة عن شيء إلاّ فَعَلَتْه.

للغنوي[1]: «من البسيط»

إنّ النساء متى ينهين عن خلقٍ ... فإنه واقعٌ لا بدَّ مفعولُ

ولغيره: «من الكامل»

لا تأمنِ الأُنثى حَبَتْك بودِّها ... إن النساءَ وِدادُهن مُقسَّمُ[2]

اليوم عندك دِلُّها وحديثُها ... وغداً لغيركَ كفُّها والمِعْصَمُ

* سُئل أعرابي عن النساء، وكان ذا همٍّ بهن، فقال: أفضل النساء أطولهن إذا قامت، وأعظمهن إذا قعدت، وأصدقهن إذا قالت، التي إذا غضبت حلمت، وإذا ضحكت تبسمت، وإذا صنعت شيئاً جَوَّدت؛ التي تطيع زوجها، وتلزم بيتها؛ العزيزة في قومها، الذليلة في نفسها، الولود، التي كل أمرها محمود.

* * *

معاوية والأعرابي

* ذُكر أن معاوية بن أبي سفيان جلس ذات يوم بمجلس كان له بدمشق على قارعة الطريق، وكان المجلس مفتّح الجوانب لدخول النسيم، فبينما هو على فراشه وأهل مملكته بين يديه، إذ نظر إلى رجل يمشي نحوه وهو يسرع في مشيته راجلاً حافياً، وكان ذلك اليوم شديد الحر، فتأمله معاوية ثم قال لجلسائه: لم يخلق الله ممن أحتاج إلى نفسه في مثل هذا اليوم. ثم قال: يا غلام سر إليه وأكشف عن حاله وقصته فوالله لئن كان فقيراً لأغنينّه، ولئن كان شاكياً لأنصفنّه، ولئن كان مظلوماً

---

(١) هو طفيل بن كعب الغنوي، شاعرٌ جاهلي، وكان يُقال له المحبِّر لحسن شعره، وكان من أوقف الناس للخيل، قال عبد الملك بن مروان: من أراد أن يتعلّم ركوب الخيل فليروِ شعر طفيل «ابن قتيبة الشعر والشعراء».

(٢) حبتك: خصّتك وأعطتك بلا جزاءٍ ولا منٍّ، والوداد: الحب والمقسّم: المفرق، والمعنى أن ودّ النساء لا يخلص لواحدٍ قط.

لأنصرنَّه، ولئن كان غنياً لأفقرنَّه. فخرج إليه الرسول متلقياً[١]، فسلم عليه فرد عليه السلام. ثم قال له: ممن الرجل؟ قال: سيدي أنا رجل إعرابي من بني عذرة[٢]. أقبلت إلى أمير المؤمنين مشتكياً إليه بظلامة[٣] نزلت بي من بعض عماله. فقال له الرسول: أصبحت يا أعرابي. ثم سار به حتى وقف بين يديه فسلم عليه بالخلافة ثم أنشأ يقول: «من الطويل»

معاوي، يا ذا العلم والحلم والفضلِ، ويا ذا الندى والجود والنايل الجزل[٤]
أتيتك لَمّا ضاق في الأرض مَذهبي، فيا غيثُ لا تقطع رجائي من العدل[٥]
وجُد لي بإنصافٍ من الجائر الذي شواني شيّاً كان أيْسَرُه قَتْلي
سَبَاني سُعدى وانبَرَى لخُصُومتي، وجار ولم يعدلْ، وأَغضبني أهلي
قصدت، لأرجو نفعه فأثابني بسجنٍ، وأنواع العذاب مع الكَبْل[٦]
وهَمَّ بقتلي، غير أن مَنِيَّتي تأبَّت، ولم أستكمل الرزقَ من أجلي
أغثني، جزاك الله عنّيَ جَنةً، فقد طار من وجد بسُعدى لها عقلي[٧]

فلما فرغ من شعره قال له معاوية: يا إعرابي إني أراك تشتكي عاملاً من عمالنا ولم تسمِّه لنا! قال: أصلح الله أمير المؤمنين، هو والله ابن عمك مروان بن الحكم[٨] عامل المدينة. قال معاوية: وما قصتك معه يا أعرابي. قال: أصلح الله

---

(١) متلقياً: مستقبلاً.
(٢) بنو عذرة: قبيلة عربية اشتهرت بالعشق رجالاً ونساءً.
(٣) الظلامة: ما يؤخذ من المرء بغير حق.
(٤) النايل: العطاء، والجزل: الكثير.
(٥) المذهب: الطريق، والغيث: كناية عن المساعدة والانقاذ، وهو في الأصل المطر، وسمّي غيثاً لأنه يغيث الناس وينقذهم.
(٦) أثابه: جازاه، والكبل: القيد.
(٧) طار: ذهب، والوجد: شدّة العشق.
(٨) هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أميّة، أبو عبد الملك الخليفة الأموي، وإليه ينسب «بنو مروان» كان كاتباً لعثمان، شهد صفين مع معاوية توفي في الشام بالطاعون، سنة ٦٥ هـ.

الأمير، كانت لي بنت عم خطبتها إلى أبيها فزوجني منها. وكنت كلفاً[1] بها لِمَا كانت فيه من كمال جمالها وعقلها والقرابة. فبقيت معها يا أمير المؤمنين، في أصلح حال وأنعم بال، مسروراً زماناً، قرير العين. وكانت لي صرمة[2] من إبل وشويهات[3]، فكنت أعولها ونفسي بها. فدارت عليها أقضية الله وحوادث الدهر، فوقع فيها داء فذهبت بقدرة الله. فبقيت لا أمْلُك شيئاً، وصرت مَهيناً مُفَكِّراً، قد ذهب عقلي، وساءت حالي، وصرت ثقلاً[4] على وجه الأرض. فلما بلغ ذلك أباها حال بيني وبينها، وأنكرني، وجحدني، وطردني، ودفعها عني. فلم أقدر لنفسي بحيلة ولا نُصْرة. فأتيت إلى عاملك مروان بن الحكم مشتكياً بعمي، فبعث إليه، فلما وقف بين يديه، قال له مروان: يا أيها الرجل لِمَ حلت بين ابن أخيك وزوجته؟ قال: أصلح الله الأمير، ليس له عندي زوجة ولا زوجته من ابنتي قط. قلت أنا: أصلح الله الأمير، أنا راض بالجارية، فإن رأى الأمير أن يبعث إليها ويسمع منها ما تقول؟ فبعث إليها فأتت الجارية مسرعة، فلما وقفت بين يديه ونظر إليها وإلى حسنها وقعت منه موقع الإعجاب والاستحسان، فصار لي، يا أمير المؤمنين خصماً وانتهرني، وأمر بي إلى السجن. فبقيت كأني خررت من السماء في مكان سحيق، ثم قال لأبيها بعدي: هل لك أن تزوجها مني، وأنقدك ألف دينار[5]، وأزيدك أنت عشرة آلاف درهم[6] تنتفع بها، وأنا أضمن طلاقها؟ قال له أبوها: إن أنت فعلت ذلك زوجتها منك. فلما كان من الغد بعث إليّ، فلما أدخلت

(١) كلفاً بها: ولعاً وشديد التعلّق.
(٢) الصرمة: القطعة من لإبل والشاة، وقد اختلف في تقديرها، وهي لا تقل عن العشر ولا تتجاوز العشرين.
(٣) الشويهات: جمع شويهة وهي الشاة الصغيرة.
(٤) ثقلاً: أي عبئاً ثقيلاً.
(٥) الدينار: قطعة مالية ذهبية تعامل بها العرب قديماً.
(٦) الدّرهم: قطعة مالية فضّية.

عليه نظر إليّ كالأسد الغضبان، فقال لي: يا أعرابي طلّق سعدى. قلت: لا أفعل. فأمر بضربي ثم ردني إلى السجن، فلما كان في اليوم الثاني قال: علي بالإعرابي. فلما وقفت بين يديه، قال: طلق سعدى. فقلت: لا أفعل. فسلط عليَّ يا أمير المؤمنين خدامه فضربوني ضرباً لا يقدر أحد على وصفه، ثم أمر بي إلى السجن؛ فلما كان في اليوم الثالث قال: عليّ بالأعرابي، فلما وقفت بين يديه قال: عَليَّ بالسيف والنّطع[1] وأحضر السياف، ثم قال: يا إعرابي، وجلالة ربي، وكرامة والدي، لئن لم تطلق سعدى لأفرقن بين جسدك وموضع لسانك[2]. فخشيت على نفسي القتل فطلقتها طلقة واحدة على طلاق السنة[3]، ثم أمر بي إلى السجن فحبسني فيه حتّى تمّت عدتها[4] ثم تزوجها، فبنى[5] بها، ثم أطلقني. فأتيتك مستغيثاً قد رجوت عدلك وإنصافك، فارحمني يا أمير المؤمنين. فوالله يا أمير المؤمنين لقد أجهدني الأرق، وأذابني القلق، وبقيت في حبها بلا عقل، ثم انتحب حتى كادت نفسه تفيض. ثم أنشأ يقول: «من المجتث»

في القلب منيَ نارٌ ... والنارُ فيه الدّمارُ
والجسم مني سقيمٌ ... فيه الطبيب يَحَارُ
والعين تَهْطِل دمعاً ... فدمعها مِدْرارُ[6]
حَمَلْتُ منه عظيماً ... فما عليه اصطبار
فليس ليليَ ليلٌ ... ولا نَهاري نهارُ

(١) النّطع: بساطٌ من جلد.
(٢) موضع لسانك: كناية عن الرأس.
(٣) على طلاق السّنة: أي الطلقة التي يحق للمطلّق الرجوع عنها قبل انقضاء مدّة العدّة على المرأة.
(٤) العدّة: وهي طهر المرأة بعد ثلاث حيضات.
(٥) بنى بها: تزوّجها وأصابها.
(٦) المدرار: الغزير.

فارحم كئيباً حزيناً فؤادهُ مستطارُ[1]
ارْدُدْ عليَّ سُعادي يثيبك الجبارُ[2]

ثم خر مغشياً عليه بين يدي أمير المؤمنين كأنه قد صعق به قال: وكان في ذلك الوقت معاوية متكئاً، فلما نظر إليه قد خر بين يديه قام ثم جلس، وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون. اعتدى والله مروان بن الحكم ضراراً[3] في حدود الدين، وإحساراً[4] في حرم المسلمين. ثم قال: والله يا أعرابي لقد أتيتني بحديث ما سمعت بمثله. ثم قال: يا غلام عليّ بدواة وقرطاس[5]. فكتب إلى مروان: «أما بعد، فإنه بلغني عنك أنك اعتديت على رعيتك في بعض حدود الدين، وانتهكت حرمةً لرجل من المسلمين. وإنما ينبغي لمن كان والياً على كورة[6] أو إقليم أن يغضّ بصره وشهواته، ويزجر نفسه عن لذاته. وإنما الوالي كالراعي لغنمه، فإذا رفق بها بقيت معه، وإذا كان لها ذئباً فمن يحوطها بعده. ثم كتب بهذه الأبيات:

«من البسيط»

وُلّيتَ، ويحك أمراً لست تُحكِمه فاستغفر الله مِن فِعْلِ امرىءٍ زانِ[7]
قد كُنتَ عندِيَ ذا عقلٍ وذا أدب مع القَراطِيسِ تمثالاً وفرقانِ[8]
حتى أتانا الفتى العُذرِيُّ مُنْتَحِباً يشكو إلينا ببثٍّ ثم أحزانِ[9]

---

(١) المستطار: المذعور الذي.
(٢) أثابه: جازاه خيراً، والجبّار: الله سبحانه وتعالى.
(٣) ضراراً: تضييقاً ومخالفة.
(٤) الإحسار: الكشف.
(٥) القرطاس: الصحيفة التي يكتب فيها جمعها «قراطيس».
(٦) الكورة: المدينة والبقعة التي تجتمع فيها المساكن والقرى.
(٧) ويحك: كلمة بمعنى ويلك، وتحكمه: تحسنه.
(٨) القراطيس: واحدها قرطاس وهي الجارية البيضاء المديدة القامة. وفرقان: أي الذي يفرق بين الحقّ والباطل.
(٩) البثّ: شدّة الحزن والوجد.

أعطي الإلهَ يميناً لا أكَفِّرُها ... حقاً، وأبرأ من ديني ودياني[1]

إن أنت خالفتني فيما كتبت به، ... لأجعلنك لحماً بين عقبانِ[2]

طلّق سعاد، وعجّلها مجهزةً ... مع الكميت، ومع نصر بن ذبيان

فما سمعتُ، كما بلّغتُ في بشرٍ، ... ولا كفعلك حقاً، فعل إنسان

فاختر لنفسك إمّا أن تَجُود بها ... أو أن تلاقي المنايا بين أكفان

ثم ختم الكتاب. وقال: عليَّ بنصر بن ذبيان والكميت صاحبي البريد[3]. فلما وقفا بين يديه قال: اخرجا بهذا الكتاب إلى مروان بن الحكم ولا تضعاه إلا بيده. قال: فخرجا بالكتاب حتى وردا به عليه، فسلما ثم ناولاه الكتاب. فجعل مروان يقرأه ويردده، ثم قام ودخل على سعدى وهو باكٍ، فلما نظرت إليه قالت له: سيدي، ما الذي يبكيك؟ قال: كتاب أمير المؤمنين، ورد عليَّ في أمرك أن يأمرني فيه أن أطلّقك وأجهزك وأبعث بك إليه. وكنت أودّ أن يتركني معك حولين ثم يقتلني، فكان ذلك أحب إليَّ. فطلقها وجهزها ثم كتب إلى معاوية بهذه الأبيات:

«من البسيط»

لا تَعْجَلَنَّ أميرَ المؤمنين فقد ... أوفي بنذرك في رفقٍ وإحسان

وما ركبت حراماً حين أعجبني ... فكيف أُدعى بإسم الخائن الزاني

أَعْذِر، فإنك لو أبصرتها لجرت ... منك الأماقي على أمثال إنسان[4]

فسوف يأتيك شمسٌ لا يعادلها ... عند الخليفة إنسٌ لا ولا جان

لولا الخليفة، ما طلقتها أبداً ... حتى أضمّن في لحدٍ وأكفان

على سُعادٍ سلامٌ من فتًى قَلِقٍ ... قد خلّفتهُ بأوصاب وأحزان[5]

---

(١) الدّيّان: الخالق.

(٢) العقبان: جمع عقاب وهو من الطيور الجارحة.

(٣) البريد: نقل الرسائل بين المدن والممالك.

(٤) الأماقي: مجاري الدموع.

(٥) الأوصاب: الأمراض والأوجاع.

ثم دفعه إليهما، ودفع الجارية على الصِّفة التي حدَّث له[1]. فلما وردا على معاوية فكّ كتابه وقرأ أبياته، ثم قال: والله لقد أحسن في هذه الأبيات، ولقد أساء إلى نفسه. ثم أمر بالجارية فأدخلت إليه، فإذا بجارية رعبوبة[2] لا تبقي لناظرها عقلاً من حسنها وكمالها. فعجب معاوية من حسنها ثم تحوّل إلى جلسائه وقال: والله إن هذه الجارية لكاملة الخَلْق فلئن كَمُلت لها النعمة مع حسن الصفة، لقد كملت النعمة لمالكها. فاستنطقها، فإذا هي أفصح نساء العرب. ثم قال: هل لك عنها من سلو[3]، وأعوّضك عنها ثلاث جوار أبكار[4] مع كل جارية منهن ألف درهم، على كل واحدة منهن عشر خلع من الخز[5] والديباج[6] والحرير والكتّان، وأجري عليك وعليهن ما يجري على المسلمين، وأجعل لك ولهن حظاً من الصلات والنفقات؟ فلما أتم معاوية كلامه غشي[7] على الأعرابي وشهق شهقة ظن معاوية أنه قد مات منها. فلما أفاق قال له معاوية: ما بالك يا أعرابي؟ قال: شرّ بال، وأسوأ حال، أعوذ بعدلك يا أمير المؤمنين من جور مروان. ثم أنشأ يقول:

«من البسيط»

لا تجعلنّي هَداك الله من ملكٍ ... كالمستجيرِ من الرمضاء بالنار[8]

أُردْ سعادَ عَلَى حَرّانَ مكتئبٍ ... يُمسي ويُصبح في هَمّ وتَذكار[9]

---

(١) حدّث له: أي ذكر له.

(٢) الرعبوبة: الناعمة البيضاء.

(٣) السّلو: الصبر.

(٤) أبكار: جمع بكر وهي العذراء.

(٥) خلع من الخزّ: أعطيات من الحرير.

(٦) الديباج: نسيج من الابريسم ـ الحرير أو الخام منه، ملون ألوان، «فارسي معرّب ديباي أو ديوبان ــ أي نساجة الجن».

(٧) غشي عليه: أغمي عليه.

(٨) الرّمضاء: شدّة الحرّ.

(٩) حرّان: متعطّش ومتلهّف وملتهب الصدر والحشا، وتذكار: من التذكّر الذي يزيد في الهمّ.

قــد شَــفــه قــلقٌ مــا مِــثــلُه قــلقٌ   وأسْــعَــرَ القــلبَ منــه أيَّ إسـعــار[1]
والله، والله، لا أنــســى مــحـبّـتـهـا   حتى أُغَـيَّبَ فـي قبـري وأحـجـاري
كيف السلوُّ وقــد هــام الـفؤاد بـهــا؟   فــإن فـعلت فــإنـي غـيـر كَـفَّــار[2]
فاجمل بفضلك وافعـلْ فعلَ ذي كـرمٍ   لا فعــلَ غيــرِك، فعــلَ اللؤم والعــار

ثم قال: والله يا أمير المؤمنين لو أعطيتني كلما احتوته الخلافة ما رضيت به دون سعدى. ولقد صدق مجنون بني عامر[3] حيث يقول: «من الطويل»

أبـى الـقلب إلّا حـبَّ لـيلى وبُغّـضَتْ   إلــيَّ نــســاءٌ مــا لــهــنَّ ذُنــوبُ
ومــا هــي إلّا أن أراهــا فَــجَــاءَةً   فــأُبْـهَـتُ حتـى لا أَكــادُ أُجــيـبُ[4]

فلما فرغ من شعره، قال له معاوية: يا أعرابي؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: إنك مُقِرٌّ عندنا أنك قد طلقتها، وقد بانت[5] منك ومن مروان، ولكن نخيرها بيننا. قال: ذاك إليك، يا أمير المؤمنين. فتحوّل معاوية نحوها ثم قال لها: يا سعدى أيُّنا أحبُّ إليكِ: أمير المؤمنين في عزه وشرفه وقصوره، أو مروان في غصبه واعتدائه، أو هذا الأعرابي في جوعه وأطماره[6]؟ فأشارت الجارية نحو ابن عمها الأعرابي، ثم أنشأت تقول:

هــذا وإن كان فـي جــوعٍ وأطــمــار   أعــزُّ عنــدي من أهــلي ومن جــاري
وصــاحبِ التــاج أو مــروانَ عــامـله   وكــلّ ذي دِرْهــمٍ مــنــهـم ودينــار

ثم قالت: لست، والله، يا أمير المؤمنين لحدثان الزمان[7] بخاذلته، ولقد

---

(١) شفّه: أنحله، وأسعر: أشعل وأهاج.
(٢) كفّار: مبالغة كافر، يريد أنه لا يكفر بالأفضال والنعم.
(٣) مجنون بني عامر: هو قيس بن الملّوح العامري صاحب ليلى والعاشق المشهور «معجم الشعراء».
(٤) أبهت: أدهش وأتحيّر.
(٥) بانت: بعُدت، وانفصلت.
(٦) الأطمار: الثياب البالية.
(٧) حدثان الزمان: مصائب الدّهر.

كانت لي معه صحبة جميلة، وأنا أحق مَنْ صبر معه على السراء والضراء، وعلى الشدة والرخاء، وعلى العافية والبلاء، وعلى القِسْم[1] الذي كتب الله لي معه. فعجب معاوية ومن معه من جلسائه من عقلها وكمالها ومروءتها وأمر لها بعشرة آلاف درهم وألحقها في صدقات بيت المسلمين.

* * *

روايات متفرقة

* ويُروَى، أن رسول الله ﷺ خطب امرأة من كلب[2] فبعث عائشة رضي الله عنها تنظر إليها، فقال لها: كيف رأيتها؟ قالت: ما رأيت طائلاً[3]. قال: لقد رأيت طائلاً، ولقد رأيت حالاً تجدينها حتى اقشعرت كل شعرة فيك. فقالت: ما دونك ستر يا رسول الله.

* ويروى عن عائشة، رضي الله عنها، أنها قالت: يؤم القوم[4] أقرؤهم لكتاب الله عز وجل، فإن كانوا في القراءة سواء، فأصبحهم[5] وجهاً. وعن ابن عباس[6] أنه قال: قالَ رسول الله ﷺ: النظر إلى الوجه يجلو البصر؛ والنظر إلى الوجه القبيح يورث الفلج[7].

* * *

---

(١) القسم: الحظ والنصيب وما يقسم للإنسان في الدّنيا.
(٢) كلب: قبيلة عربية من كبريات القبائل.
(٣) طائلاً: أي فضلاً يغني.
(٤) يؤم القوم: أي يصلّي بهم إماماً.
(٥) أصبحهم وجهاً: أشرقهم وأجملهم.
(٦) ابن عباس: هو عبد الله بن عباس، صحابي جليل سُمّي «ترجمان القرآن» دعا له النبيّ صلى الله عليه وسلم بالحكمة مرّتين، وكان من القراء والمفسّرين والمتعمّقين بالحديث والقرآن توفي بالطائف سنة ٦٨ «الكاشف الذهبي».
(٧) الفلج: أي الفالج، نوع من الشلل.

شامة بن لؤي والأزديَّة

* قال: خرج شامة بن لُؤَي بن غالب[1] من مكة حتى نزل بعُمَان على رجل من الأزد[2].

* وكان شامة بن لؤي من أجمل خلق الله، فقراه[3] وبات عنده. فلما أصبح قعد يستن[4] فنظرت إليه زوجة الأزدي فأعجبها، فلما رمى[5] مضت إلى سواكه[6] فأخذتها فمصتها، فنظر إليها زوجها، فحلب ناقة وجعل في اللبن سمّاً، وقدّمه إلى شامة، فغمزته المرأة، فأراق اللبن وخرج يسير. فبينما هو في موضع يقال له خرق الجميلة أهوت ناقته في عرفجة[7]، فانتشلها وفيها أفعى فنهشت مشفريها فحكتها على ساق شامة فمات. فقالت الأزد: «من الطويل»

إذا ناقتي حلَّت بليلٍ ففارَقت ... جميلة لَمّا انْبَتَّ منها قرينُها[8]

فقلت لها حِثّي قليلاً فإنني ... وإياك نخفي عبرة سَتَزِينُها[9]

غدرتِ بنا بعد الصَّفاء وخِنْتِنا ... وشَرُّ مُصافي خلّةٍ مَن يخونُها

* * *

(١) هو شامة بن لؤي بن غالب بن فهر من قريش من عدنان من سلسلة النسب النبوي الشريف، وهو ابن سادات العرب.

(٢) الأزد: قبيلة عربية معروفة.

(٣) قراه: أضافه.

(٤) يستن: ينظّف أسنانه.

(٥) أي رمى سواكه.

(٦) السّواك: عودٌ تنظّف به الأسنان.

(٧) العرفجة: من العُرفج وهو نبات طيّب الرّيح أغبر إلى الخضرة، لها قضبان كثيرة دقاق.

(٨) انبتّ: انقطع، والقرين: الصاحب.

(٩) حثّي: أي أسرعي.

حديث المرأة النجدية

* قال سليمان بن أبي سمخ تزوج رجل من تهامة[١] امرأة من نجد[٢] فلما نقلها إليه، قالت له: ما فعلت ريح من نجد كانت تأتينا يقال لها الصبا[٣] ما رأيتها ههنا؟ فقال: يحجزها عنا هذان الجبلان. فأنشأت تقول: «من الطويل»

أيا جَبَلَيْ نُعْمانَ باللهِ خَلِّيا ... نسيمَ الصَّبا يُخْلِص إليَّ نسيمُها[٤]

فإن الصَّبا ريحٌ إذا ما تنفَّست ... على قلبِ محزون تجلَّت همومها

أجِد بَرْدَها أو يُشْفِ مني حرارةً ... على كَبِدٍ لم يَبْقَ إلا صَميمُها[٥]

* * *

القرشيّ والمرأة الجميلة

* قال الزبير[٦] حدثني أبي، قال: كان عندنا بالمدينة رجل من قريش كانت له امرأة تعجبه ويعجبها، وكانت تحول بينه وبين طلب الرزق، وكل ذلك يحتمله لشدة محبته إياها فلما ساءت حاله وكثر دَينه قال: «من الطويل»

إذا المرءُ لم يَطْلُبْ معاشاً لنفسِه ... شَكَى الفقرَ أو لامَ الصديقَ فأكْثَرا

وصار على الأدنين كَلًّا وأوشكَت ... قلوبُ ذوي القُرْبَى له أن تَنَكَّرا[٧]

فسر في بلادِ اللّهِ والتمسِ الغِنَى ... تَعِشْ ذا يسارٍ أو تموتَ فَتُعْذَرا

ولا ترضَ من عيشٍ بِدُونٍ، ولا تَنَمْ، ... وكيف ينامُ الليلَ مَنْ كان مُعْسِرا؟[٨]

---

(١) تهامة: موضعٌ في جزيرة العرب.

(٢) نجد: موضع في جزيرة العرب.

(٣) الصَّبا: ريح باردة مَهَبّها الشرق.

(٤) يخلص إليّ: أي يصلني.

(٥) الصّميم: في الوسط، يقال أصابه في الصميم أي في المكان الوسط.

(٦) الزبير: هو الزبير بن بكار، أبو عبد الله بن أبي بكر الزبيري، قاضي مكة ولد سنة ١٧٢ هـ، وقد ذكره الكاتب في عدة مواضع: «الكاشف للذهبي».

(٧) الأدنين: الأقربين، والكلّ: الثقيل الذي لا خير فيه.

(٨) الدون: الضعة، وضيق ذات اليد.

وما طالبُ الحاجاتِ من حيث يبتغي من الناس إلّا مَن أجَدّ وشَمَّرا[1]

فلما أصبح قال لامرأته: أنا، والله، أحبك، ولا صبر لي على ما نحن فيه من ضيق العيش، فجهزيني. فجهزته، فخرج حتى قدم على معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنه، فقام بين الصفين، فأخبره بحاله، وأنشده الشعر. فرق له، وأمر له بألف دينار وقال له: لقد دلني حالك على محبتك لأهلك وكراهيتك لفراقهم فخذ وانصرف إليهم. فأخذها وانصرف راجعاً.

* * *

أبيات في الحب لجميل بن معمر

* وأنشد الزبير بن بكار: لجميل بن معمر[2]: «من الطويل»

لإن كان في حبِّ الحبيبِ حبيبَه حدودٌ لقد حَلَّت علي حُدود[3]

ألا أيّها الغيرانُ بي أن أُحِبَّها بِسَخْطِك ينمو حبُّها ويزيد

فلو متُّ كان الموت يخلف الهوى لها في فؤادي الوجد وهو جديد[4]

وتحسب نسوانٌ إذا جئتُ زائراً بثينةَ أني بَعْضَهُن أريد

فتُخْبِرُكم عنّا جَنوب مُضِلَّة وتُخبرنا هَتْفَ العَشيِّ بُرُود[5]

إذا بَلَغَتْكُم حاجةٌ رَجعتَ لنا إليكم بأُخرى مثلَها فيعود

---

(١) شمّر: استعدّ للعمل وتهيّأ.

(٢) هو جميل بن معمر العذري، صاحب بثينة، وأحد عشاق العرب المشهورين شاعر غزلٍ وحبّ وعشق، والجمال في عذره والعشق كثير توفي في مصر سنة ٧٠١ هـ ويكنّى بجميل بثينة «الشعر والشعراء».

(٣) الحدود: جمع حدّ وهو الحاجز والفاصل ومنتهى الشيء، والحدّ في الشريعة العقاب الذي يعاقب به المذنب إذا تجاوز في أفعاله الحدود الشرعية أي ما حرّم الله تجاوزه.

(٤) الوجد: شدّة العشق.

(٥) الجنوب: الرّيح التي تهبّ من ناحية الجنوب، ومضلّة: من ضلّ أي مال عن الطريق وضاع، وبرود: الريح الشمالية الباردة.

وأنشد أيضاً لجميل بن معمر العذري: «من الطويل»

تـمتّعت منكـم يـا بثـين بنـظرةٍ ... على عجـلٍ والنـاعجـات وقـوفُ[١]

فـيـا حبـذا أمَّ الـولـيـد ومـربـعٌ ... لـنـا ولهـا بـالـمنحنى ومصـيف[٢]

بَثْنَتَـانِ يسـتـرن الـوشـاح عليـهمـا ... وبـطنٍ كـطيٍّ السـابـريِّ لـطيف[٣]

وأنشداه في مثل ذلك أيضاً: «من الطويل»

بثينـةُ قـالتْ يـا جمـيـل وسـوّدت ... مجال القذى منها بثينة بـالكحـل[٤]

انـصـرم حبلي يـا جمـيـل وقـادني ... إليك الهوى قيـد الجنيبـة بـالحبـل[٥]

وقـالت لقينـا مـا لقيت من الـهـوى ... فما مسّ رأسي من دهانٍ ولا غسـل[٦]

* * *

أخت الحجّاج والنميري الشاعر

* قال علي بن المغيرة: كانت زينب بنت يوسف بن الحكم بن أبي عقيل أخت الحجاج بن يوسف لأبيه وأمها الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي عند المغيرة[٧] بن شعبة، فرآها يوماً تتخلل بكرة[٨] فقال لها: أنت طالق والله لئن كان هذا من غذاء لقد جشعت ونهمت، وإن كان من عشاء لقد انتنت وقدرت، فقالت: قبح الله الذوّاق المطلاق ولا يبعد الله، والله ما هو الذي ظننت، ولكنه استمسك بين أسناني شظية من السواك. وكان سبب قول النميري فيها: أن أباها

---

(١) يا بثين: ترخيم بثينة، والناعجات: النوق، أو النّساء البيض.

(٢) المربع: المكان الذي يقام فيه ربيعاً، والمنحنى: موضعٌ قرب مكّة.

(٣) بثنتان: مثنّى بثنة وهي المرأة الحسناء البضّة، والسّابري: نوع من الثياب رقيق جيد.

(٥) أنصرم: أنقطع: والحبل هنا: حبل المودّة الذي يربط بين العشّاق، والجنيبة: المنقادة الطائعة.

(٦) مسّ: أصاب، والدّهان: التلوين بالدّهان كالخضاب وغيره، والدّهنة: الرائحة.

(٧) هو المغيرة بن شعبة الثقفي، صحابي شهد الحديبية وولّي الكوفة غير مرّة أحصن سبعين امرأة، وبرأيِهِ ودهائه يضرب المثل، مات سنة خمسين للهجرة «الكاشف».

(٨) بكرة: أي صباحاً، والكبرة: الغدوة.

يوسف بن الحكم مرض، وكان يزيد بن معاوية قد ولاه صدقات الطائف[1] وأرض الشراة[2]، فنذرت إنِ الله عافاه أن تمشي إلى الكعبة معتمرة[3] من الطائف، وبين الطائف ومكة يومان وليلتان، فمشت ذلك في اثنين وأربعين يوماً، وكانت جميلة وسيمة فلقيها النميري[4]، وهو محمد بن عبد الله بن نمير الثقفي، ببطن نعمان[5] فقال: «من الطويل»

تَضَوَّعَ مِسْكاً بطنُ نُعْمان إذ مَشَتْ ... بـه زينبٌ في نِسْوةٍ عَطِرات [6]

تهادين ما بين المحصب من مِنى ... وأقبلن لا شعثاً ولا غبرات[7]

مررن بفجٍّ رائحاتٍ عشيةً ... يُلَبِّين للرحمن مؤتجرات[8]

لها أَرَجٌ بالعنبر الورد فاغمٌ ... تَطَلَّعُ ريّاه من الفترات[9]

يُخَبِّينَ أطرافَ البَنَان من التُّقى ... ويَمْشِينَ شطرَ الليلِ مُعْتَمِرات[10]

---

(١) الطائف: منطقة وبلد بالحجاز، جنوب شرقي مكة، مشهورة بالعنب والزبيب.

(٢) الشّراة: موضع بين دمشق والمدينة.

(٣) معتمرة: من العُمرة وهي في الدين أفعال مخصوصة تسمّى بالحجّ الأصغر وأفعالها أربعة: الإحرام والطواف، والسعي بين الصفا والمروة والحلق.

(٤) هو النميري الشاعر، محمد بن عبد الله بن نمير بن خرشة الثقفي، شاعر غزل من شعراء العصر الأموي ولد ونشأ ومات بالطائف، كان كثير التشبيب بزينب أخت الحجّاج توفي حوالي سنة ٩٠ هـ «فهرس الأعلام».

(٥) نعمان: وادٍ يقال له نعمان الأراك، غزاه النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو بين مكّة والطائف «معجم البلدان لياقوت».

(٦) تضوّع مسكاً: أي امتلأ من المسك المنتشر برائحته الجميلة العطرة.

(٧) المحصّب: موضع رمي الجمار بمنى في الحج، ومنى: قرية بمكة على بعد ثلاثة أميالٍ منها، وفيها تنحر الأضاحي، والشعث: المغبّرات الشّعر غير المرجّلاتِ.

(٨) الفجّ: الطريق الواسع الواضح بين جبلين.

(٩) الأرج: العبق الطيب، والفاغم: المالىء المكان، يقال: فغمت الإناء: أي ملأته، وفغمه الطيب: سدّت رائحته خياشيمه، وريّاه: رائحته الطيبة، والفترات: كناية عن النساء، والفتر: الضعف والانكسار.

(١٠) البنان: الأصابع، وشطر الليل: نصفه، والمعتمرات: المتهيّئات للعمرة.

وليست كأُخرى أوسَعَت جنبَ دِرْعِها وأبْدَت بَنانَ الكفّ للجمرات[1]
ومالت تَراءى من بعيدٍ فأفْتَنَت برؤيتها من راح من عرفات[2]
تقسَّمن لُبِّي يومَ نعمان إنني بُليتُ بِطَرْفٍ فاتِك اللَّحَظات[3]
يظاهرن أستاراً ودوراً كثيرةً ويقطعن دور اللهو بالحجرات[4]
ولما رأت ركب النميري أعرضتْ وكنَّ مِنَ أنْ تلقينَهُ حذوات[5]
دعت نسوةً شُمَّ العرانين كالدُّما أوانس ملءَ العين كالظبيات [6]
فأبدَيْن لمّا قمن يحجبن زينباً بطوناً لطافَ الطيِّ مضطمرات[7]
فقلت: يعافيرُ الظباءِ تَناولت يَناعَ غُصُونِ الورد مهتصرات[8]
فلم تَرَ عيني مثل ركبٍ رأيتُه خرجن من التعمير معتمرات[9]
وكُدْت اشتياقاً نحوها وصَبابةً تقطَّعُ نفسي إثرها حسرات[10]
وغادرت من وَجْدِي بزينبَ غَمرةً من الحُبّ إن الحُبَّ ذو غَمَرات[11]
وظلَّ صِحَابي يُظْهرون ملامتي على لوعةِ الأشواق والزَّفرات
فراجعت نفسي والحَفِيظة إنما بللتُ رداء الغصب بالعبرات[12]

(١) الدرع: ما تدّرع به المرأة من ثوب، والجمرات: من الجمار حيث ترمى الحصى.
(٢) عرفات: حيث يقف الحجيج يوم عرفة.
(٣) يوم نعمان: أي يوم التقاهنّ في وادي نعمان، والطّرف: العين، والفاتك: القاتل.
(٤) بالحجرات: أي في البيوت حيث يستترن.
(٥) أعرضت: صدّت، ومالت عن طريقه.
(٦) العرانين: واحدها عرنين وهو الأنف، أو ما صلب من عظمه، ويكنّى بشمّ العرانين: عن الأنفة والكبرياء، والأوانس: جمع آنسة وهي الجارية الطيبة النفس تحبّ قربك وحديثك.
(٧) المغطمرة: التي فيها ضمور ونحالة.
(٨) اليعافير: الظباء بلون التراب، والينـاع: الناضج المورق، والمهتصرات: القاطعات للغصون.
(٩) التعمير: الاحرام بالعمرة.
(١٠) الصبابة: شدّة العشق والشوق، تقطّع نفسي: تهلك في طلبها.
(١١) الغمرة: الشدّة، وذو عمرات: ذو شدائد ومصاعب.
(١٢) الحفيظة: الغضب والحميّة.

وقد كان في عصياني النفس زاجرٌ لذي عَبْرةٍ لو كُنَّ مُعْتَبِرات

* قال مسلم بن جندب الهلالي: كنت مع عبد الله بن الزبير[1] بنعمان وغلام ينشد خلفه، وهو يشتمه أقبح الشتم، فقلت له: ما هذا؟ فقال: دعه فإني تشببت[2] بأخت هذا «بما تشبّب به النميري بأخت» الحجاج بن يوسف». فلما قتَل الحجاجُ عبد الله بن الزبير دعا الناس إلى البيعة، فتأخر محمد[3] حتى قام في آخر الناس ولم يجد من الحضور بداً. فلما دنا منه قال: أمحمد؟ قال: نعم، قال: أنشدني ما قلت. فأنشدته قصيدتي هذه، فقال: لولا أن يقول قائلٌ لضربت عنقك، أنج لا نجوت ولا تعد، فقال: لا تعرضت لاسم زينب ما بقيت. قال: ولما خاف النميري من الحجاج عاذ بأبيه يوسف بن الحكم. فلما أرسل عبد الملك الحجاج لقتال ابن الزبير، قام إليه يوسف بن الحكم وقال له: يا أمير المؤمنين إن فتى منا ذكر زينب بما يذكر به العربي ابنة عمه، وقد علمت أن هذا لم يزل يتقلّب عليه. قال عبد الملك: أليس النميري؟ قال: بلى، قد سمعت شعره فما سمعت مكروهاً! ثم أقبل على الحجاج وقال: لا تعرض له. ويقال أن عبد الملك لما بلغه شعر النميري كتب إلى الحجاج: قد بلغني ما كان من قول النميري، فلا تدنه فتُقطعُه[4] ولا تقصه فتغرِه[5] ولكن أهمله والْه عنه. فلم يهجُه الحجاج، ومن قوله فيها: «من مجزوء الكامل»

تشتو بمكة نعمةً ومصيفها بالطائف
أكرم بتلك مواقفاً وبزينبٍ من واقف

ومن شعره فيها أيضاً: «من الطويل»

(١) هو الصحابي الجليل عبد الله بن الزبير بن أسماء بنت أبي بكر الصديق، بويع بالخلافة بعد موت الحجاج، وحاصره الحجّاج بأمر من عبد الملك وقتله سنة ٦٩٣.

(٢) تشبّب: من التشبيب وهو التغزّل بالمرأة وذكر محاسنها.

(٣) محمد: أي النميري الشاعر.

(٤) تقطعُه: أي توليه عملاً أو ولاية.

(٥) فتغرِه: أي إذا أقصيته تغريه وتحفّزه على الهجاء أو التشبيب.

وما أنسَ من شيءٍ، فلا أنسَ شادناً بمكةَ مكحولاً أسيلاً مدامعُه[1]
تشرَّبه لونُ الزّرابي في بياضه أو الزعفرانِ خالطَ المسكَ أذْرُعُه[2]

* * *

بين الأموي وامرأةٌ من أهله

* قال الزبير بن بكار: حكى الحسن بن علي مولى بني أمية قال: خرجت إلى الشام فلما كنت بالسمهاة ودنا الليل رفع لي قصر فأهويت إليه، فإذا أنا بامرأة لم أر قط مثلها حسناً وجمالاً، فسلمت، فردت عليّ السلام، قالت: ممن أنت؟ قلت: من بني أمية. قالت: مرحباً بك، انزل، فأنا امرأة من أهلك. فأنزلتني أحسن منزل وبتُّ أحسن مبيت. فلما أصبحت قالت: إن لي إليك حاجة. قلت: ما هي؟ فأشارت إلى دير، وقالت: إن في ذلك الدير ابن عمي، وهو زوجي، وقد غلبت عليه نصرانيةٌ[3] في ذلك الدير، فتمضي إليه وتعظه. فخرجت حتى انتهيت إلى الدير، فإذا برجل في فنائه من أحسن الرجال وأجملهم، فسلّمت عليه، فردّ وسأل، فأخبرته من أنا، وأين بتُّ، وما قالت المرأة، فقال: صَدقت، أنا رجل من أهلك من أهل الحرث بن الحكم، ثم صاح: يا قسطا، فخرجت إليه نصرانية عليها ثياب حبرات[4] وزنانير ما رأيت قبلها ولا بعدها أحسن منها، فقال: هذه قسطا، وتلك أروى[5]، وأنا الذي أقول: «من الطويل»

وبدَّلت قُسْطا بعد أروى وحُبِّها كَذاك لعمري يَذْهَبُ الحبُّ بالحبِّ
وما هي، أَمّا ذكرُها نبطيّة كبدرِ الدُّجى أوفى على غُصُنٍ رَطْب[6]

* * *

(١) الشادن: ولد الغزال، والأسيل: الخد الأملس، وبريد: أسيل مجرى الدموع.
(٢) تشرّبه: خالطه وامتزج به، والزرابي: نبات أحمر إلى أصفر اللون والزعفران: نبات زهرهُ أحمر إلى الصفرة.
(٣) نصرانية: أي امرأة نصرانية.
(٤) حبرات: من الحَبَرة، وهي نوعٌ من الثياب القطنية أو الكتانية المخطّطة التي اشتهرت اليمن بصناعتها، وكذلك هي ثوبٌ أسود تلبسه النّساء خارج منازلهن.
(٥) آروى: اسم المرأة العربية.
(٦) نبطيّة: نسبة إلى النبط أو الأنباط، وأوفى: استقام واكتمل.

بين رجلٍ وزوجته

* قال الزبير بن بكار: حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال: كانت بنت أبي عبيدة بن المنذر بن الزبير عند أبي بكر بن عبد الرحمن من حرمه وكان يخدمها وكانت ذات مال، ولا مال له. وكانت تضنُّ عنه، فخرج يريد الشام بطلب الرزق، فلما كان ببعض الطريق، رجعِ فمرّ بجلسائه بالمصلى فقالوا: رادُّ خير. ثم دخل عليها فقالت له: أبخيرٍ رجعت؟ فقال لها: «من الخفيف»

بينما نحنُ من بَلاَكِثَ فالقا ... ع سِراعا، والعيسُ تهوي هويّا،[1]

خَطَرت خَطْرةً على القلب من ... ذِكراك وَهْناً، فما استطاع مُضِيّا[2]

قلتُ: لبيكِ، إذ دعاني لكِ الشو ... قُ، ولِلحَادِيَيْنِ حبُّ المَطِيَّا

قالت له: لا جَرَم[3] والله لأشاطرنَّك مالي فاشطرته إيّاه ولم تدعه للسفر بعد.

* * *

وفاء آمنة بنت عمر بن عبد العزيز

* روى إبراهيم بن حسن بن يزيد، عن شيخ من ساكني العقيق[3] قال: إني لواقف بالعقيق، وقد جاء الحاج، إذ طلعت امرأة على راحلة وحولها نسوة، فنظرنا إليها، فأعجبتنا حالها. فلما كانت حذاء قصر سفيان بن عاصم بن عبد العزيز بن مروان، عدلت إلينا. ونحن ننظر. فنزلت قصراً من تلك القصور فأقامت فيه ساعة ثم خرجت، فركبت ومضت، وإن عينيها لتنقطان دموعاً. فقلت: لأنظر ما صنعت هذه المرأة؟ فدخلت القصر، فإذا كتاب يواجهني في الجدار، فقرأته فإذا هو: «من الطويل»

أليس كفى حزناً لذي الشوق أن يرى ... منازلَ مَنْ يهوى معطلةً قفرا؟

---

(١) بلاكث والقاع: اسمان لموضعين في بلاد العرب، وتهوي: تسرع والعيس: النّوق.

(٢) خطرت: مرّت، والوهن: الضعف، والمعنى أنّ القلب تذكّرك فضعف عن المضي.

(٣) لا جرم: لا بدّ، ولا جرم لأفعلن: أي حقّاً.

بلى، إن ذا الشوقِ الموكَّل بالهوى يزيدُ اشتياقاً كلَّما حاولَ الصَّبرا

وتحته مكتوب: وكتبته آمنة بنت عمر بن عبد العزيز. وكان سفيان ابن عاصم زوجها فتوفي عنها.

* * *

حديث عائشة والأحنف بن قيس

* ذكروا عن عائشة، رضي الله عنها، إنها لما قدمت البصرة خطبت وبحضرتها الأحنف بن قيس[٢] وموسى بن طلحة ورجال من وجوه العرب، فقالت بعقب ذلك: «إني أتيت أطلب بدم الإمام المَذْكُور برمّته[٣] الحرمات الأربع. فمن ردّنا عنه بحق قبلناه، ومَن ردّنا عنه بباطل قاتلناه. فربما نصر الظالم على المظلوم والعاقبة للمتقين». قال لها موسى بن طلحة: «قد فهمنا كلامك، فما الأربع حرمات؟» فقالت: «حرمة الشهر، وحرمة البلد، وحرمة الإمامة، وحرمة الختونة[٤]، لا يصلح أمر بعده أبداً». فقال لها الأحنف رحمه الله: «إني سائلك ومغلظ لك في المسألة فلا تَجدِين[٥] عليَّ. أعندك عهد من رسول الله في خروجك هذا؟» قالت: «لا». قال لها: «أفعندك عهد من رسول الله أنك معصومة من الخطأ؟» قالت: «لا». قال لها: «صدقتِ، أن الله رضي لك المدينة فأبيت إلا البصرة، وأمرك بلزوم بيت نبيه محمد ﷺ» فنزلت بيت الحرسة الضبي[٦]: ألا تخبريني

---

(١) المعطّلة: يقال جيد معطّلة أي غير مزيّنة، والمعطّلة هنا: أي غير المزيّنة بأهلها.

(٢) هو الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المرّي التميمي، أو بحر، سيّد تميم وأحد العظماء الدهاة الشجعان الفاتحين، ولد في البصرة وأدرك النبي ولم يره، شهد صفين مع علي، اشتهر بالحلم، «فهرس الأعلام».

(٣) برمته: بمجموعه، وأعطاه الشيء برمته: أي كلّه.

(٤) الختونة: المصاهرة.

(٥) تجدين: أي تحقدين وتغضبين.

(٦) أحد شيوخ بني ضبّة بن آدمِن قبائل العرب، قتل منهم سبعون رجلًا في الدفاع عن عائشة يوم الجمل.

يا أم المؤمنين أللحرب قدمت أم للصلح؟ قالت: «بل للصلح». فقال لها: «والله لو قدمت وما بينهم إلا الخفق[1] بالنعال والقذف بالحصباء[2] ما اصطلحوا على يديك، فكيف والسيوف على عواتقهم؟»[3] قالت: «لقد استغرق[4] حكم الأحنف هجاه إياي، إلى الله أشكو عقوق أبنائي».

* * *

بين الحجّاج وبعض الأسرى

* ذكروا، أنه لما قتل الحجاج[5] عبد الرحمن بن الأشعث[6]، وأسر من معه، أمر بضرب رقابهم، فقال رجل منهم: «أيها الأمير إني أتيت إليك بشيء». قال: وما هو؟ قال: «إني كنت جالساً يوماً عند عبد الرحمن فأخذ في عرضك، فناضلته[3] عنك». قال: «ومن يشهد لك بذلك؟» فقام رجل من الجماعة يشهد له بما قال، فقال: «اتركوه». ثم قال للرجل: «أفلا كنت مثله؟» قال له: «بغضي فيك لم يدعني أتكلم فيك بمثل ذلك». فقال: «واتركوا هذا لصدقه». ثم قام رجل آخر فقال: «أيها الأمير لئن كنا أسأنا في الخطأ لما أحسنت في العفو». فقال الحجاج: «أفٍّ لهذه الجيف، أما والله لو كان فيكم من يتكلم والله ما قتل منكم أحد».

* * *

(١) الخفق بالنعال: الضرب بها، وخفقت النعل: أحدثت صوتاً.

(٢) القذف بالحصباء: أي الرّمي بالحصى.

(٣) العواتق: جمع عاتق وهو ما بين المنكب والعنق.

(٤) استغرق: اشتمل.

(٥) هو الحجّاج بن يوسف الثقفي، أبو محمد، قائد داهية، سفّاك، خطيب ولد ونشأ في الطائف، ولّاه عبد الملك بن مروان مكة والمدينة والطائف والعراق.

(٦) هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي، أميرٌ من القادة الشجعان الدهاة وهو صاحب الوقائع مع الحجاج، بعد أن ثار عليه قتل سنة ٨٥ هـ «فهرس الأعلام» ناضلته عنك: أي رددت عليه دفاعاً عنك.

باب
يذكر فيه من صيَّره العشق إلى الاخلاط[1] والجنون

أخبار فورك المجنون

* قال بعضهم: مررت بفورك المجنون وقد أتاه أهله بطبيب، يقال له عبد العزيز، ليعالجه. فسلّمت وقلت: ما خبرك يا أبا محمد؟ فقال: خبري والله مع هؤلاء المجانين ظريف. أنا عاشق وهم يظنون بي جنَّة[2] وقد أتوني بهذا الطبيب ليعالجني. ثم أنشأ يقول: «من الوافر»

أتوني بالطبيبِ فعالَجُوني على أنْ قيل مجنونٌ غريبُ
طبيب الأجرِ فيه عساه يوماً من الأيام يَعْقِلُ أو يَتُوب
وما صدقوا الفتى نحوى قلبي أجلٌ مِنَ ان يعالجه الطبيبُ
وما بي جِنَّةٌ لكنَّ قلبي به داءٌ تموت به القلوبُ
وما عبدُ العزيز طبيب قلبي ولكنَّ الطبيبَ هو الحبيبُ

* وقال آخر: مررت بمجنون بيده قصبة وفيها عذبة[3]، وهو يقول: «من الوافر»

---

(١) الأخلاط: الجنون.

(٢) الجنّة: من الجنون، وهو ذهاب العقل.

(٣) العذبة: الخرقة التي تشدُّ على أعلى الشيء كالرمح وغيره.

إذا ما راية رُفعت بنجدٍ تلقّاها عُرابةُ باليمين[1]

قال : فأخذت بيده ، وقلت له : كيف أصبحت يا أبا عبد الله ؟ فقال في ساعة بديهة : « من الكامل الأحذّ » .

أصبحت منكَ على شفا جُرُفٍ متعرِّضاً لموارِدِ التَّلَف[2]
وأراكَ نحوي غير ما ثقة متحرِّفاً من غير منحرف[3]
يا من أَطال بصدِّه أسفي كَلَفي عليك أشدُّ من أسفي[4]

* وقال بعضهم: اجتزت بفورك المجنونِ وهو في جماعة من الصبيان راكبٌ قصبةً، وهو يقول: مَنْ كان عاشقاً منكم فَلْيقف في الميمنة، ومن كان معشوقاً فليقف في الميسرة. ووقف هو في القلب، ففكر وقال: «من الطويل»

إلى من حبيبي أشتكيكَ إلى مَنْ إلى كم تُرى في قِصَّتي غيرُ مُحْسنِ
إلى كم يدومُ الهجرُ والعتبُ بيننا سألتُكَ بالرحمن إلّا رَحَمْتَني
فيا لائمي في أحمدٍ لو رأيتَه لما لِمْتني في حبِّه، وعَذَرتني
أتعجبُ أن قالوا بِفَوْرَكَ جِنَّة بنفسي ومالي من هواه أجنّني

ثم قال: احملوا[5] على بركة الله.

قال : ولقيته في يوم خميس في جماعة من الصبيان، منصرفاً من تشييع من

---

(١) عُرَابة: هو عُرابة الأوسي الأنصاري، من سادات المدينة الأجواد، وقد مدحه الشماخ بن ضرار بيتين من الشعر بعد أن بذل له في سنة شديدة وسقا بعير تمراً فقال فيه:

رأيت عرابة الأوسيّ يسمو إلى الخيرات منقطع القرين
إذا ما رايةٌ رُفعتْ لمجدِ تلقاها عرابة باليمين

«العمدة»

(٢) شفا جرف: الشفا الحدّ، والجُرف الوادي أو ما تحفره مياه السّيل، والتلف: الهلاك.

(٣) المتحرّف: المتحيّز.

(٤) الصدّ: الإعراض، والكلف: العشق والولع والتعلّق.

(٥) احملوا: أي اهجموا.

كان يحبه، وهو يحدثهم ويلطم خده ويقول: ما أحرّ الفراق!؟ فقلت: يا أبا محمد، من أين أقبلت؟ قال: من تشييع الحجاج. وبكى، وقال: «من الطويل»

هُمُ رحلوا يوم الخميس عشيةً ... فودّعتهم لما استقلّوا وودّعوا[1]

فلمّا تَولّوا وَلّتِ النفسُ مَعْهُم، ... فقلت: ارجعي قالت: إلى أين أرجعُ؟

إلى جسد ما فيه لحمٌ ولا دمٌ ... ولا فيه إلا أعظُمٌ تتقعقع[2]

وكذَّبت فيك الطرف، والطرفُ صادقٌ ... وأسمعت أُذني فيك ما ليس أَسمع[3]

* * *

أخبار علوية المجنون

* قال الحسن بن رفاعة: رأيت علوية المجنون يوماً وفي عنقه حبل والصبيان يجرونه، فلما رآني قال: يا أبا علي بماذا يعذّب الله أهل الجرائم يوم القيامة؟ قلت: بأشدِّ العذاب. قال: فأنا، والله، في أشدَّ من عذابه. لو عذّب الله أهل جهنم بالحب والهجر والرقباء لكان أشد عليهم، ثم قال: «من السّريع»

انظر إلى ما صنع الحُبُّ ... لم يَبْقَ لي جسمٌ ولا قلبُ

انحل جسمي حبُّ مَنْ لم يَزَل ... من شأنه الهجرانُ والعتبُ

ما كان أغناني عن حبِّ مَنْ ... مِن دُونه الأستارُ والحُجْبُ

قال: وحضرته وقد أتوه بطبيب يعالجه، والطبيب يعاتبه ويقول له: لو تركتني لعالجتك ورجوت أن تبرأ، فقال في ذلك: «من الطويل»

أنا منك أعلم أيُّها المتكلمُ ... ما بي، أجلُّ من الجنون وأعظم[4]

أنا عاشقٌ، فإنِ استطعت لعاشقٍ ... برأً مَننْتَ به وأنت مُحَكَّم

هيهات، أنت لغير ما بي عالمٌ ... وسواك، بالداء الذي بي أعلَمُ

(١) استقلّوا: ارتحلوا على مطيّهم.

(٢) تتقعقع: تصوت.

(٣) الطرف: النظر.

(٤) أجلُّ: أعظم.

دائي دسيس، قد تضمنه الهوى، تحت الجوانح ناره تَتَضَرَّمُ[1]

قال: ومررت ببعض المجانين وهو جالس وحده متفكراً، فقلت: ما خبرك؟ فأجاب: «من الطويل»

أقول بأعلى الصوت ما بيَ جِنَّة وما بي إلا حبٌّ من ليس يُنْصِفُ
وما بي جنونٌ غير أنَّ بليتي إذا انكشفت منه أرقٌّ وألطف
بنفسي وأهلي، من أرى الموت جهرةً، إذا ما بدا منه البنان المطرَّف[2]

* * *

مهدي ووالي اليمامة

* ودخل مهدي على بعض ولاة اليمامة، فسأله الوالي عن مجلسه مع ظبية، واستنشده ما قال فيها من الشعر. وكان ابن ظبية حاضراً، فأنشده مهديّ بيتين يصفها فيهما بالعفاف. فقام ابنها فنزع عن نفسه جُبَّة خَزّ[3] ووشاحاً ألقاهما على مهدي لما وصف أمه بالعفاف.

* * *

القيطنون ونساء المدينة

* قال أحمد بن يحيى: كان القيطنون[4] متملكاً على أهل المدينة، وكان قد سامهم خسفاً[5]، وشرط عليهم أنه لا تدخل امرأة على زوجها حتى يبدأ بها.

---

(١) الدّسيس: الخفي والمستور، أو الذي لا يؤثر فيه دواء لعدم معرفته والجوانح: أوائل الأضلاع ممّا يلي الصدر، وتتضرّم: تتقد.

(٢) البنان: الاصبع، والمطرّف: المخضّب بالحناء وغيره.

(٣) الخزّ: الحرير.

(٤) القيطنون: اسم علم لأحد رجال اليهود، لم أجد له شرحاً في اللسان، ولكن وجدت القيطون: المُخْدع، أعجمي، وقيل: بلغة أهل مصر وبربر.

(٥) سامهم خسفاً: أي أذلّهم.

فَزوّج مالك بن عجلان الخزرجي أخته. فلما جهزها وأراد إهداءها إلى زوجها، وهو قاعد في مجلس الخزرج، إذ خرجت أخته على الحي سافر. فغضب مالك، ووثب إليها ليتناولها بالسيف، وقال لها: فضحتني، ونكست رأسي، وأغضضت بصري. فقالت له: الذي تريد بي أنت شر من هذا وأقبح وأفضح. إن كنت تهديني إلى غير بعلي فيصيبني فهذا شر من خروجي سافرة حاسرة! فقال مالك: صدقت، وأبيك. وسكت عنها، فلما رجعت إلى خدرها دخل إليها، فقال لها: هل فيك من خير؟ فقالت: أي خير عند امرأة إلاَّ أن تتزوج؟! فقال لها: اكتمي ما أريده. قالت: نعم. فشرح لها ما عزم عليه.

فلما أمست أتتها رسل القيطنون ليأتوه بها، فلبست وتعطّرت وتحلّت، ولبس معها وتعطر واشتمل على السيف ومضى معها في جملة نسائها إلى قصر القيطنون. فلما خلا بها في مشربة[3] له، ودنا منها تنحّى نساؤها عنها إلا مالك وحده، فقالت للقيطنون: بحق التوراة إلاَّ أمهلتني ساعة حتى ترجع نفسي فيها إلي، وتركت أختي هذه تؤانسني عندك، فإني ألفتها من بين أهلي؟ فقال: نعم. فلما هدأت ساعة، قال: تقدمي إلى فراشك حتى ألحقك. فقام القيطنون إلى باب مشربته فأغلقه، وأتى فراشه. وكشف مالك عن السيف ثم ضربه به حتى برد[4]. فاجتمع الحيّان من الأوس[1] والخزرج[2] فسوّدوه[3] على أنفسهم، وملكوه، إذ أراحهم من عار الدهر. وذلّت اليهود بعد ذلك فلم ترفع رأساً.

* * *

---

(١) الأوس: قبيلة عربية سكنت المدينة أصلها في اليمن، وهي إحدى قبائل الأنصار الذين ناصروا النبي صلّى الله عليه وسلّم.

(٢) الخزرج: قبيلة يمنية سكنت المدينة وناصرت النبي صلّى الله عليه وسلّم.

(٣) سوّدوه: أي جعلوه سيّداً عليهم.

(٤) المشربة: المكان الذي لأيتناول فيه الشراب.

(٥) برد: همد ومات.

سلامة المغنيّة والقسّ

* قال الزبير بن بكار: كان عبد الرحمن بن أبي عمار من عبّاد أهل مكة، فسمي القسّ من عبادته. فمر ذات يوم بدار سهل بن عبد الرحمن بن عوف مولى سلامة الزرقاء، وهي تغني، فسمع غناءها، فبلغ منه كل مبلغ، فرآه مولاها وتبيّن ما لحقه، فقال له: هل لك أن تدخل إليها وتسمع منها؟ فامتنع وأبى. فقال له: أنا أقعدك في موضع تسمع من غنائها ولا تراها ولا تراك. ولم يزل به حتى دخل وسمع غناءها، فأعجبه، فقال له: هل لك أن أخرجها لك؟ فامتنع بعض الامتناع، ثم أجابه. فأخرجها إليه، وأقعدها بين يديه، وغنته، فشغف بها، وشغفت به. وكان أديباً ظريفاً. واشتهر أمره معها بمكة حتى سموها سلامة القس. وخلا معها يوماً، فقالت له: أنا، والله، أحبك. فقال لها: أنا، والله، كذلك. قالت له: فما يمنعك من ذلك، فوالله إن الموضع لخال؟ فقال لها: ويحك، إني سمعت الله عز وجل يقول في كتابه: «الأَخِلاء[١] يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلّا المتقين»[٢]. وأنا أكره أن تكون خلة[٣] ما بيني وبينك عداوة يوم القيامة. ثم نهض وعيناه تذرفان من حبها وعاد إلى الطريقة التي كان عليها من النسك والعبادة. وكان يمر في بعض الأيام ببابها فيرسل إليها بالسلام فيقال له: أدخل! فيأبى. وقال فيها أشعاراً كثيرة، وغنته بها. فمنها: «من الكامل».

إنّ التي طَرَقَتْكَ بين ركائب ... تمشي بمزهرها وأنت حرام[٤]
باتت تعلِّلنا، وتحسبُ أنّنا، ... في ذاك أيقاظٌ ونحن نيام[٥]

---

(١) الأخلّاء: الأصحاب والأصدقاء.
(٢) سورة الزخرف الآية ٦٧.
(٣) الخلّة: الصداقة.
(٤) الكارثة: التي تزور ليلاً، والرّكائب: الإبل، والمزهر: الدّف أو العود وأنت حرام: أي أنت حرامٌ عليها وهي حرامٌ عليك.
(٥) تعلّل: تلهي وتشغل.

حتى إذا سطع الصباح لناظر ... فإذا الذي ما بيننا أحلام
قد كنت أعذل في السفاهة أهلها ... فاعجبْ بما تأتي به الأيام
فاليوم أعذرُهُمْ وأعلم إنّما ... طُرُقُ الضَّلالة والهدى أقسام

وفيها قوله: «من الوافر»

على سلاّمةَ القلب السّلامُ ... تحية من زيارته لِمامُ[1]
أُحبُّ لقاءها، وأَلومُ نفسي، ... كأنَّ لقاءها شيءٌ حرام
إذا ما حنَّ مزهرها إليها ... وحنّت نحوه، أَذُنَ الكرام[2]
فمدّوا نحوها الأعناق حتى ... كأنّهمُ وما ناموا، نيام

وله فيها أشعار كثيرة تركت ذكرها ها هنا لأنها مستقصاة من أخبارها في كتاب طبقات المغنين.

* * *

عبد الملك بن مروان وعزّة وبثينة

* قال: وفدت عزة وبثينة على عبد الملك بن مروان فلما دخلتا عليه انحرف إلى عزة، وقال لها: أنت عزة كثير؟ قالت: لست لكثير بعزة ولكني أم بكر الضمرية. قال: أتروين قول كثير فيك؟ «من الطويل»

لقد زعمت أنّي تغيَّرت بعدها ... ومن ذا الذي يا عزُّ لا يتغيَّرُ[3]
تغيَّر جسمي والخليقة كالتي ... عهدت، ولم يخبر بسرِّك مخبرُ[4]

قالت: لست أروي هذا، ولكني أروي غيره حيث يقول: «من الطويل»

---

(١) اللّمام: الزيارة يوماً بعد يوم، أو حيناً بعد حين.
(٢) حنّ مزهرها: رقّ.
(٣) يا عزّ: أي يا عزّة، حذف التاء للترخيم.
(٤) الخليقة: الطبيعة.

كـأنّي أنـادي صخـرةً حين أعـرضت 	من الصمِّ لو يمشي بها العصم زَلّتِ[1]
صـفـوحـاً فمـا تـلقـاك إلّا بحيـلةٍ 	فمن مـلَّ منهـا ذلـك الـوصـلَ ملّتِ[2]

ثم عطف[3] على بثينة فقال لها: مـا رأى جميل فيـك حين لهـج بذكـرك بين النسـاء كلّهن؟ قالت: الـذي رأى فيـك النـاس حين جعلوك خليفـة من بين رجـال العالمين. فضحك حتى بدت سنٌّ له سوداء، كان يخفيها، وأجزل جائزتهمـا وقضى حوائجهما.

* * *

أخبار متفرّقة

* وقـال محمد بن يحيـى المـدني[4]: سمعت عطاء[5] يقـول: كان الـرجل يحب الفتاة فيطوف بدارها حولاً كاملاً يفرح إن رأى مرآها، وإن ظَفَـر منها بمجلسٍ تشاكيا وتناشدا الأشعار. فاليوم يشير إليهـا، وتشير إليـه، فإذا التقيـا لم يشكوا حباً، ولم ينشدا شعراً.

* وحكى أبو الحسن المدايني[6] قـال: هوي بعض المسلمين جـارية بمكـة فأرادها، فامتنعت عليه. فأنشدها: «من الطويل»

سـألتُ الفتى المكيَّ هـل في تـزاورٍ 	وقبلةِ مـشتـاق الـفـؤادِ، جُنَـاحُ؟[7]

(١) أعرضت: صدّت، والصمّ: الصلاب، والعصم: جمع أعصم، وهـو من الغزلان أو نحـوها ما في ذراعيه أو في إحداهما بياض وسائره أسود أو أحمر وزلّت: سقطت وتعثّرت.
(٢) الصفوح: المسامحة والمعتذرة.
(٣) عطف: مال.
(٤) هو محمد بن يحيى أبو غسان الكناني المدنـي أحد رجال الحديث «الكاشف».
(٥) لعله عـطاء بن أبـي رباح، أحـد أعـلام رجـال الحـديث مـات سنـة ١١٤، أخـذ عن عـائشـة وأبـي هريرة، «الكاشف».
(٦) هو علي بن محمد بن عبـد الله، أبو الحسن المـدائنـي، راوية مؤرّخ، كثيـر التصانيف، من أهل البصرة، سكن المدائن، توفي في بغداد سنة ٢٢٥ هـ.
(٧) الفتى المكيّ: يقصد به عطاء بن أبـي رباح، والجناح: الذنب.

فقـال: معـاذ الله أن يُـذهب الهـوى تـلاصـقُ أكـبـادٍ بـهـنّ جـراح

فقالت له: بـالله، إنك سمعتـه وسألتـه فأجـابك بهـذا الجواب؟ قـال: نعم. فزارته وجعلت تقول: إياك أن تتعدى ما أمرك به عطاء.

* وروى عبد الرحمن بن نافـع[1]، أن أبا هريرة سئل عن قول الله عز وجل: ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفـواحش إلا اللمم﴾[2]، فقال: هي النـظرة، الغمزة والقبلة. وقـال مجاهـد[3]: هو الـرجل يلمُّ بـالذنب مـرة ثم لا يعـود، وبـإسنـاد عن رسول الله ﷺ أنّ رجلاً جاء إليه فقال له: إني أخذت امرأة في البستان فأصبت منهـا كـل شيء، إلا أني لم أطئهـا فـاصنـع مـا شئت؟ فسكت عنـه، ﷺ. فلمـا ذهـب، دعـاه فقرأ عليـه: ﴿أقم الصلاة طـرفي النهار وزلفـا من الليل إن الحسنـات يـذهبن السيآت﴾[4] الآية.

* قيـل لأعرابـي: مـا كنت تصنـع لو ظفـرت بمن تهوى؟ قـال: كنت أمتـع عيني في وجهها، وقلبـي من حديثها، وأستر منهـا ما لا يحبـه الله ولا يرضى بكشفـه إلا عند حله[5]. قيل: فإن خفت أن لا تجتمعا بعـد ذلك؟ قـال: أكِلُ[6] قلبـي إلى حبها، ولا أصير بقبيـح ذلك الفعل إلى نقض عهدها.

* * *

حديث أبي هريرة عن الرسول ﷺ

* ويـروى عن أبـي هريـرة، عن النبـي ﷺ أنه قـال: سبعة يـظلهم الله بظله

---

(١) هو عبد الرحمن بن نافع بن عبد الحارث، أحد رجال الحديث «الكاشف».
(٢) سورة النجم الآية ٣٢.
(٣) هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج مولى السّائب بن أبـي السائب المخزومي، إمام في الحديث والقراءة والتفسير توفي سنة ١٠٤ هـ.
(٤) سورة هود الآية ١١٤.
(٥) حلّه: أي عندما يصبح حلالاً.
(٦) أكـلُ: أي أوكل.

يوم لا ظلّ إلا ظلّه، إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه متعلّق بالمسجد حتى يعود إليه، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرّقا عليه، ورجل طلبته ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقه فلم تعلم شماله ما تُسِرُّ يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه.

* * *

الحجّاج وليلى الأخيلية

* قال الهيثم بن عدي: دخلت ليلى بنت عبد الله الأخيلية[1] على الحجاج وعنده وجوه الناس وأشرافهم. فاستأذنته في الإنشاد، فأذن لها، فأنشدته قصيدة مدحته بها. فلما فرغت من إنشادها، قال الحجاج لجلسائه: أتدرون من هذه الجارية؟ قالوا: لا نعلم، أصلح الله الأمير، ولكنا لم نر امرأة أكمل منها كمالاً، ولا أجمل منها جمالاً، ولا أطلق لساناً، ولا أبين بياناً، فمن هي؟ قال: هذه هي ليلى الأخيلية صاحبة توبة بن الحمير[2] الذي يقول فيها: «من الطويل»

نأتْكَ بليلى دارُها لا تزورها وشَطَّ نواها واستمر مريرها[3]

ثم قال لها: يا ليلى ما الذي رَابه[4] من سفورك حيث يقول:

وكنت إذا ما زرت ليلى تبرقعت فقد رابني منها الغداة سفورها[5]

قالت: أصلح الله الأمير، لم يرني قط إلا متبرقعة وكان أرسل إلي رسولاً أنه

---

(١) شاعرة عربية مشهورة، اشتهرت بأنّها صاحبة توبة الحمير.

(٢) هو صاحب ليلى الأخيلية، وأحد شعراء العشق المعروفين، شبّب بليلى فرفض أبوها أن يزوّجها له.

(٣) النأي: البعد، وشطّ: بعد، واستمرّ: اشتدّ واستحكم، والمريرة العزم يقال استمرّ مريرة: أي قوي بعد ضعف.

(٤) رابه: أوقعه في الشك والريبة.

(٥) تبرقعت: أي لبست البرقع وغطّت رأسها.

يلم بنا، ففطن الحي لرسوله، فأعدوا له وكمنوا، وفطنت لذلك، فلم يلبث أن جاء، فألقيت، برقعي وسفرت له، فلما رأى ذلك أنكره وعرف الشر، فلم يزد أن سلم عليّ وسأل عن حالي وانصرف راجعاً. فقال الحجاج لها: لله درك فهل كانت بينكما ريبة؟ قالت: لا، والذي أسأله أن يصلحك! إلى أن قال مَرَّةً قولاً ظننت أنه خضع لبعض الأمر، فقلت له مسرعة هذا الشعر. وأنشأت وهي تقول: «من الطويل»

وذي حاجةٍ قلنا له لا تُبِحْ بها ... فليس إليها ما حييت سبيلُ
لنا صاحبٌ لا ينبغي أن نخونه ... وأنت لأخرى صاحبٌ وحليلُ

فلا، والذي أسأله صلاحك، ما كلّمني بشيء بعدها استربته حتى فرّق الدهر بيني وبينه.

* * *

حديث الأصمعي والفتى الثقفي

* قال الأصمعي: كان فتى من ثقيف شديد الحياء، كريماً أديباً. فبينا هو جالس، إذ مرت به امرأة من أجمل النساء فلم يتمالك أن قام من الحياء من مجلسه ليعلم من هي، وأين تريد. وقد كلف بها واشتد عشقه لها، فاتبعها حتى دخلت منزل أخيه فإذا هي امرأته، فضاق به الأمر ولم يدر ما يصنع، وكتم شانه، وجعل ما به يزداد كل يوم حتى نحل جسمه، فأنكر شأنه أخوه وأهله وسألوه عما به. فلم يخبرهم بشيء من أمره. فدعا أخوه الأطباء فعالجوه فلم يغنوا عنه شيئاً، فلما أعياهم ما به، وزاد سقمه، سلمه أخوه إلى الحرث بن كلدة[1] وكان من أطباء العرب فنظر إليه الحرث فلم يرَ به داء ينكر، غير أنه ظنّ أنه عاشق. فخلا به الحرث فسأله، فأبى أن يقرَّ له بشيء. فلما أعيا الحرث جعل يسأل عن أسمائهم وأسماء نسائهم، والفتى ملقى بين يديه، كلما سميت امرأة منهم نظر الحرث وجه

(١) هو الحارث بن كلدة الثقفي، طبيب العرب في عصره، وأحد الحكماء المشهورين، رحل إلى فارس وتعلم الطّب، والضرب على العود.

المريض حتى جاء اسم امرأة أخيه فارتاح وتنفّس، واغرورقت عيناه بالدموع. فعلم الحرث أمره، وقال لأخيه: إذهب فجئني بجميع أهليكم، ولا يتخلّف عني أحد منهم امرأة ولا رجلاً، فإني قد وقعت على دائه[1]. فخرج أخوه حتى أتى أهله، فجمعهم في منزل ونقل الحرث المريض إليهم، وقال: لا يغيبنّ عنه امرأة ولا رجل. فلما نظر الرجل إلى امرأة أخيه خفّ عنه بعض ما كان يجده[2]. فعرف الحرث ذلك منه، فأمر بشاة فذبحت، وأخرج كبدها فوضعها على النار، ثم أطعمه منها فأكل ثم مزج له شربة خفيفة فسقاه، وفعل ذلك به أياماً يزيده في كل يوم شيئاً قليلاً في مطعمه ومشربه. فحسنت حاله، ورجع إليه بعض جسمه. فلما رأى الحرث أنه قوي بعض القوة صنع له طعاماً وهيّأ له شراباً ثم أحضر الفتى وأخاه فطعما وشربا، وأمر الحرث أخاه أن ينصرف وقام هو ووكّل هو بالفتى من يسقيه ويغنّيه، وقال: احفظ حديثه، وكل ما يتكلم به، وحَدّثْهُ كل حديث تعرفه في العشق وأخبار العشاق، وأشعارهم. فلما أخذ الشراب في الفتى تغنّى:

«من مجزوء الخفيف»

أهلَ ودّي، ألا آسلموا وقفوا كي تكلموا:
أخذ الحيّ حظّهمْ من فؤادي وأنعُمُ،
فهمومي كثيرةٌ، وفؤادي متيّم،
وأخو الحبِّ جسمه أبد الدهر يسقم

فلما أصبح الحرث، دعا الموكل بالفتى فسأله، فعرّفه بكل شيء، فحدثه وأنشد الأبيات التي تغنّى بها. فدعا أخاه فعرّفه إنه عاشق لامرأته. فقال له: يا أخي أنا أنزل لك عنها، وتتزوجها. فلما سمعه الفتى استحيا وخرج هارباً على وجهه، فلم يقفوا له على خبر إلى اليوم فسمّي فقيد ثقيف.

* * *

(١) الداء: المرض.

(٢) يجده: يحزنه ويؤلمه.

حديث نافع عن رسول الله ﷺ

* وروى نافع[1] مولى ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: بينا ثلاثة نفر يمشون إذ أخذهم المطر فَأَوَوْا إلى غار[2] في جبل. فانحط عليهم من الجبل صخرة فانطبقت عليهم، وقال بعضهم: انظروا أعمالاً عملتموها لله صالحة، فادعوا الله بها، فدعوا الله، تبارك وتعالى، فقال أحدهم:

«اللهم إنك تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران، وامرأة وصبيان، فكنت أرعى عليهم فإذا رحت إليهم حلبت، وبدأت بوالديّ أسقيهما قبل بنيّ. وإني لم آت يوماً حتى أمسيت، فوجدتهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحلب، فقمت عند رؤوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما، فجعلوا يتضاغون[3] تحت قدمي، فلم يزل ذلك دأبهم حتى طلع الفجر. فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا فرجة[4] نرى منها السماء». ففرج الله له فرجة.

وقال الآخر: «اللهم إنك تعلم أنه كانت لي ابنة عمٍّ فأحببتها كأشدِّ ما يحب الرجال والنساء، فطلبتُ إليها نفسها فأبت حتى آتيها مهرها مائة دينار، فسعيت حتى جمعت مائة دينار فجئتها بها، فقالت ونحن في خلوة: «يا عبد الله، اتق الله». فقمت عنها فقالت: يا رب إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا فرجة نرى منها السماء». ففرج الله جل ثناؤه فرجة.

وقال الآخر: «اللهم إنك تعلم أني استأجرت أجيراً فلما قضى عمله، قال: أعطني حقي. فأعرضت عنه وتركته، ثم اشتريت بحقه بقراً وراعياً لها فجاءني بعد

---

(١) هو نافع أبو عبد الله الفقيه، من أئمة التابعين وأعلامهم، وأحد كبار رجال الحديث توفي سنة ١١٧ هـ «الكاشف».

(٢) الغار: الكهف.

(٣) يتضاغون: يصوّتون ويستغيثون.

(٤) الفرجة: الفتحة والفسحة.

حين، فقال لي: «اتق الله ولا تظلمني، وأعطني حقي». فقلت له: إذهب إلى تلك البقر وارعيها. فأخذها وذهب، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج لنا ما بقي». ففرجها الله عنهم.

* * *

حديثٌ عن النبيّ ﷺ

* وروي عن عبد الرحمن بن عوف[1]، عن النبي ﷺ أنه قال: إذا صلت المرأة خمسها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، دخلت الجنة.

* * *

حديث الحجاج والرجل السّجين

* عرض[2] الحجاج سجنه يوماً، فأتي برجل فقال له: ما كان جرمك؟ قال: أصلح الله الأمير، أخذني العَسَس[3] وأنا مخبرك بخبري، فإن يكن الكذب ينجي فالصدق أولى بالنجاة. فقال: ما قصتك؟ قال: كنت أخاً لرجل فضرب[4] الأمير عليه البعث[5] إلى خراسان[6]، فكانت إمرأته تجد[7] بي وأنا لا أشعر، فبعثت إليَّ يوماً رسولاً قد جاء كتاب صاحبك فهلم فلتقرأه. فمضيت إليها، فجعلت تشغلني بالحديث حتى صلينا العشاء، ثم أظهرت لي ما في نفسها، ودعتني إلى السوء، فأبيت ذلك. فقالت: والله لئن لم تفعل لأصيحن ولأقولنَّ إنك لص. فلما أبيت عليها صرخت فخرجت هارباً. وكان القتل أهون عليَّ من خيانة أخي. فلقيني

---

(١) هو أحد الرجال العشرة الذين بشرهم النبيّ بالجنّة، صحابي جليل، قاد القتال في دومة الجندل وتزوج ابنة أميرها.

(٢) عرض تفقد.

(٣) العسس: حراس الليل.

(٤) ضُرب: طُلب من قبل الدولة.

(٥) البعث: التجنيد.

(٦) خراسان: بلاد قديمة في آسيا تتقاسمها اليوم إيران وأفغانستان ومقاطعة تركمانيا السوفيتية، وفيها حشد أبو مسلم الجيوش التي أطاحت بالأمويين.

(٧) تجد: تعشق وتهيم.

عسس الأمير فأخذوني. وأنا أقول متمثلاً: «من الخفيف»

رُبَّ بيضاءَ ذاتِ دَلٍّ وحُسْنٍ قد دعتني لوَصْلِها فأبَيْتُ[1]

لم يكن شأني العَفَافُ ولكنْ كنت نَدْمان زوجها فاستحيت[2]

فعرف صدق حديثه وأمر بإطلاقه.

* * *

عفّةُ الأعراب

* قيل لبعض الأعراب، وقد طال عشقه لجارية: ما أنت صانع لو ظفرت بها ولا يراكما غير الله؟ قال: إذاً، والله لا أجعله أهون الناظرين، لكني أفعل بها ما أفعل بحضرة أهلها، حديث يطول، ولحظ كليل[3] وترك ما يكرهه الرب، وينقطّع به الحب[4].

* * *

حديث الزاهدة الجارية

* قال محمد بن عبيد الزاهد: كانت عندي جارية فبعتها، فتبعتها نفسي، فسرت إلى مولاها مع جماعة إخوانه، فسألوه أن يقيلني ويربح عليّ ما شاء، فأبى، فانصرفت من عنده مهموماً مغموماً، فبتُّ ساهراً لا أدري ما أصنع، فلما رأيت ما بي من الجهد، كتبت اسمها في راحتي، واستقبلت القبلة. فكل ما طرقني طارق من ذكرها رفعت يدي إلى السماء وقلت: يا سيدي هذه قصتي. حتى إذا كان

---

(١) الدلّ: من الدّلال وهو الغنج.

(٢) ندمان: أي منادماً لزوجها على الشراب ومجالساً له.

(٣) اللحظ الكليل: العين الفاترة التي فيها انكسار.

(٤) وينقطع به الحب: يريد القول إن الحرام يقطع الحب.

في السحر من اليوم الثاني، إذا أنا برجل يدق الباب، فقلت: من هذا؟ قال: أنا مولى الجارية. ففتحت، وإذا بها. فقال: خذها بارك الله لك فيها! فقلت: خذ مالك والربح. فقال: ما كنت لآخذ ديناراً ولا درهماً. قلت: فلم ذلك؟ قال: أتاني الليلة في منامي آت فقال: رد الجارية على ابن عبيد الله، ولك الجنة.

* * *

حديث ابن أبي عمار والجارية

* وكان عبد الرحمن بن أبي عمار[1] فقيه أهل الحجاز قد مَرّ بنخّاس[2] معه فتيات، فنظر إليهن، فتعلّق بواحدة منهن، فاشتدّ وجده بها، واشتهر بذكرها، حتى أتى إليه عطاء[3] ومجاهد[4] يعذلونه. فلم يكن جوابه إلا أن قال:

«من البسيط»

يلومُني فيك أقوامٌ أُجالُسُهمْ فما أُبالي أطال اللوم أَمْ قَصُرا

فانتهى خبره إلى عبد الله بن جعفر[5] فخرج حاجاً بسببه، وبعث إلى مولى الجارية واشتراها منه بأربعين ألفاً، وأمرَ قيِّمةَ[6] جواريه فحلّتها وزينتها. وبلغ الناس قُدومه، فدخلوا إليه للسلام عليه وفيهم عبد الرحمن بن أبي عمار. فلما أراد الشخوص[7] استجلسه، فقال له: ما فعل حب فلانة؟ قال: مشوب[8] باللحم والدم والمخ والعظم والعصب. وأمر بالجارية فأُخرجت إليه، وقال: هي هذه؟ قال:

---

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار القرشي المكّي المشهور بالقسّ لعبادته وشغفه بسلّامة المغنّية من رجال الحديث «الكاشف».

(٢) النخّاس: تاجر الجواري والعبيد.

(٣) هو عطاء بن أبي رباح تقدّم ذكره.

(٤) هو علي بن مجاهد الكابُلي، أبو مجاهد الرّازي: قاضي الرّي، أحد رجال الحديث.

(٥) هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب أحد أجواد العرب المشهورين.

(٦) القيّمة: التي تتولّى الجواري.

(٧) الشخوص: الخروج.

(٨) مشوب: ممزوج.

نعم، أصلحك الله. قال: إنما اشتريتها لك، فوالله ما دنوت منها، فشأنك بها، فهي لك مباركة. وأمر له بمائة ألف درهم، وقال له: خذ هذا المال لئلا تهتمّ بها وتهتمّ بك. قال: فبكى عبد الرحمن فرحاً وقال: يا أهل البيت قد خصّكم الله بأشرف ما خص به أحداً من صلب آدم، فلتهنئكم هذه النعمة، وبارك لكم فيها.
فكان هذا الفعل بعض ما اشتهر به عبد الله بن جعفر من الجود.

* * *

حديث العاشقات

* وقيل لليلى هذا قيس مات لما به من عشقك. قالت: ولقد خفت والله أن أموت بذلك منه. قيل لها: فما عندك حيلة تخفف ما به؟ قالت: صبري، وصبره، أو يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين.

* وقيل لعفراء[1]، وقد بلغها ما نزل بعروة[2]، فكادت تبوح بسرها فقيل لها: أما عندك له حيلة تخفف ما به؟ فقالت: والله، لأنا أَسَرُّ بذلك وأشوق إليه منه، ولكن لا سبيل إلى احتمال العار، ودخول النار.

* وقيل لمية[3]، بعد موت قابوس[4]: ما كان يضرك لو أمتعته بوجهك قبل موته؟ قالت: منعني من ذلك خوف العار، وشماتة الجار. ولقد كان بقلبي منه أكثر مما كان بقلبه، غير أني وجدت ستره أبقى لنا لما في الصدر من المودة، وأحمد للعافية.

---

(١) عفراء: هي حبيبة عروة بن حزام، وابنة عمّه.
(٢) هو عروة بن حزام بن مهاجر الضني من بني عذرة، شاعر، وواحد من متيّمي العرب، أحبّ ابنة عمّه عفراء ونشأ معها في بيت واحد، وطلبها للزواج فأغلت أمّها المهر، وزوجتها في غيابه لرجل أمويّ من أهل البلقاء، فلحق بها وأكرمه زوجها، وعاد فقضى نحبه من العشق ودفن في وادي القرى ـ قرب المدينة، له ديوان شعر مطبوع «الأعلام».
(٣) لعلّها: ميّة بنت عاصم المنقرية، عشيقة الشاعر ذي الرّمة».
(٤) لعلّه غيلان بن عقبة بن مسعود العدوي، «ذو الرّمة» شاعر من مخول الطبقة الثانية في عصره، كان شديد القصر دميماً يضرب لونه إلى السّواد.

* وقيل لابنة ملك من ملوك الفرس، وقد أجهدها عشق رجل من أساورة[1] أبيها: لو رَوَّحْت[2] عن قلبك بالاجتماع معه، كفَّ ذلك من وجدك. قالت: إن الأمر على ما تصفون، ولكن ما عذري إذا هتكت ستري، وأظهرت أمري، عند من لا يلزمه عاري، ويرغمه اشتهاري، والله لا كان هذا أبدا.

* * *

ابن الشريد وعفراء

* وحكى السّري بن المطلب قال: كان الحرث بن الشريد يعشق عفراء بنت أحمر. فلما عيل صبره كتب إليها: «من الطويل»

صَبَـرْتُ على كِتْمانِ حُبِّك بـرهـةً ... وبـي مِنْكِ في الأحشاء أَصْـدَقُ شاهـدِ
هـو المـوت إن لم يـأتني منك رقعـةٌ ... تقـوم لقلبـي في مقـام العـوائـد[3]

فلما وصلت الرقعة كتبت إليه: «من الطويل»

كُفِيْتَ الذي تخشى وصرت إلى المُنى ... ونلت الـذي تهـوى بـرغم الحـواسـد
فـوالله لـولا أن يـقـال تَـظَنُّـنـاً ... بـيَ السـوء، ما جـانبت فعل العـوائـد

فلما وصلت الرقعة إليه وضعها على وجهه، فلما شم رائحة يدها شهق شهقة فقضى نحبه. فقيل لعفراء: ما كان يضرك لو روّحت عن قلبه وأجبته بزورة؟ قالت: منعني من ذاك قولكن عفراء قد صَبَت إلى الحرث! فوالله لأقتلن نفسي إثره من حيث لا يعلم بي أحد إلا الله. فلحقت به سريعاً.

* * *

---

(١) الأساورة: الفرسان.
(٢) روّحتِ: أفرجت وأرخت.
(٣) الرقعةَ: الرسالة، والعوائد: جمع عائد، وهو الزائر.

العشق القاتل

* قال العتبي[1]: عشق كامل بن الرضين أسماء بنت عبد الله بن مسافر الثقفية، وهي ابنة عمه، فلم يزل به العشق حتى صار كالشن[2] البالي. فلما اشتد ما به، شكا أبوه إلى أبيها فزوجها له، فحمل إلى دارها وفيه رمق[3]، فلما دخل الدار، قال: أو أنا بموضع تسمع أسماء كلامي؟ قيل: نعم. فشهق شهقة قضى مكانه. فقيل لها: يا أسماء، قد مات بغصّة. قالت: والله لأموتن بمثلها، ولقد كنت على زيارته قادرة فمنعني قبح ذكر الريبة، وسماجة الغيبة. وسقطت في المرض، فلما اشتد بها، قالت لأخص نسائها: صوّري لي صورته، فإني أحب أن أزوره قبل موتي. ففعلت. فلما رأت الصورة اعتنقتها وشهقت شهقة قضت نحبها. فدفنت مع الفتى في قبر واحد. وكتب على قبرهما: «من الطويل»

بنفسي هُما ما مُتِّعا بهواهما ... على الدهر حتى غُيِّبا في المقابر

أقاما على غيرِ التزاورِ برهةً ... فلما أُصيبا قُرِّبا بالتّزاور

فيا حُسْنَ قبرٍ زار قبراً يُحبّه ... ويا زورةً جاءت بريب المقادر[4]

* قال العتبي: قال أعرابي: إن لم يكن العشق ضرباً من السِّحر إنه لَسْعةٌ من الجنون.

* * *

الأعراب والعشق

* وسئلت إعرابية عن الهوى، فقالت: هو الهوان[5] غلط باسمه، وإنما

---

(١) هو محمد بن عُبيد الله بن عمرو، أديب كثير الأخبار، حسن الشعر، من بني عتبه بن أبي سفيان «تقدّم ذكره».

(٢) الشنّ: القربة البالية.

(٣) الرمق: بقيّة الروح.

(٤) ريب المقادر: كناية عن الموت.

(٥) الهوان: الذلّ.

يَعرف ما نقول من أبكته المعارف والطلول.

* وسئلت إعرابية عن صفة الهوى، فقالت: «من البسيط»

الـحـبُّ أوّلـه مَـيْـلٌ تـهـيـم بـه نفسُ المحبِ فيلقى الموت كاللّعِب
يـكـون مبـدؤه مـن نـظرةٍ عَـرَضت أو مزحـةٍ أشعلت في القلب كـاللَّهَب
كـالنار مبـدؤها من قـدحـةٍ، فـإذا تضرّمت أحرقت مستجمع الحطب[1]

وأنشد لأبي جعفر الطربخي: «من الخفيف»

ليس خـطبُ الهـوى بخـطبٍ يسيـر لا يُـنَـبِّئـك عـنـهُ مثـلُ خـبـيـر
لـيس أمـرُ الـهـوى يـدبّـر بـالـرأ ي ولا بـالـقـيـاس والـتـفـكـيـر
إنّـمـا الـحـبُّ والـهـوى خـطراتٍ محـدِثـاتِ الأمـورِ بعـد الأُمـور[2]

* وقال إعرابي: إن الصبر على الهوى أشد من الصبر على البلاء، كما أن الصبر على المحبوب أشد من الصبر على المكروه.

* وليمَ[3] بعضُ الحكماء على الهوى، فقال: لو كان لذي هوًى اختيار لاختار أن لا هوى. وأنشد لمجنون ليلى[4]: «من الطويل»

أُصَـلِّي فـلا أدري إذا مـا ذكـرتُـهـا آثنَتَيْنِ صَـلَّيْتُ الـضُحَـى أَمْ ثَمَـانـيـا
أراني إذا صَلَّيتُ أَقْبَلْتُ نحـوَهـا بـوجهي وإن كـان الـمُصَلّى ورائيـا
ومـا بي إشْـراكٌ ولـكـنَّ حـبَّـهـا وعُـظْمَ الجَوَى أعيا الطبيب المداويا

وأنشد لأبي العتاهية[5]: «من البسيط»

لا بـارك اللَّهُ فِيمَن كـان يُـخبـرني أن الـمـحـبِّـيـن في لـهـوٍ ولَـذّاتِ

---

(١) تضرّمت: اتقدت.
(٢) خطرات: أمور تلوح للمرء وتحدث له.
(٣) ليمَ: من اللوم، عذل.
(٤) هو قيس بن الملوح مجنون ليلى «تقدّم ذكره».
(٥) هو إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني العنزي، أبو إسحاق، شاعر عبّاسيّ كبير، سريع الخاطر، في شعره إبداع، امتاز بشعر الزُّهد.

لَمَوْتَةٌ تأخذُ الإنسان واحدةً   خير له من لِقَاء الموت مرات

وأنشد لأعرابي: «من الطويل»

وللحبّ أغصانٌ تراها نَضِيرةً   وفي طَعْمِها للعاشقين ذُعاف[3]
رأيتُ المنايا في عيونِ أوانسٍ   تُقَتِّلْنَ أرواحاً وهُنّ ضِعاف[4]

وأنشد: «من الوافر»

رأيت الحبَّ نيراناً تَلَظّى   قلوبُ العاشقين لها وَقود
فلو كانت، إذا فنيت تقضَّتْ،   ولكن مثل ما كانت تعود
كأهل النار إذ فنيت جلودٌ   أُعيد من الشَّقاء لهم جلود

* وركبت سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب[5]، رضي الله عنهم مع جواريها، فمرت بعروة بن أذينة الليثي، وهو في فناء قصر ابن عتبة، فقالت لجواريها: من الشيخ؟ فقلن لها: عروة. فعَدَلت إليه فقالت له: يا أبا عامر، تزعم أنك لم تعشق قط وأنت تقول: «من البسيط»

قالت: وأبثثُها وجدي فبحتُ به؛   قد كنتَ عندي تحت السّتر فاستترِ[1]
ألست تبصر مَنْ حولي؟ فقلت لها: غطّي هواك وما أُلقي على بصري[2]

كلُّ ما تَرَى حوالي، من جواري أحرار إن كان خرج هذا الكلام من قلب سليم.

* * *

(١) الذّعاف: السُّمُّ القاتل.
(٢) الأوانس: جمع آنسة وهي الفتاة التي يجد الإنسان في قربها الأنس والألفة.
(٣) كانت من أجمل النّساء وأحسنهن وأجبرهن على الألم، كما كانت ذوّاقة للأدب والشعر، وقد روت المصادر كثيراً من الأخبار التي تظهر رهافة ذوقها وحسّها الأدبي.
(٤) أبثثها الوجد: أخبرتها بما في قلبي من الحبّ والعشق.
(٥) ألقي على بصره: أي أستر وأغمض.

العبّاس بن الأحنف والجواري

* وأما أهل الدعاوى الباطلة، التي ليست أجسامهم بناحلة، ولا ألوانهم بحائلة[1]، ولا عقولهم بذاهبة، فهم عند ذوي الفراسة[2] يكذبون، وعند ذوي الظرف محرومون. فمن ذلك ما روى العباس بن الأحنف[3]، قال: بينما أنا أطوف، إذ بثلاث جوار أتراب[4]، فلما أبصرنني، قلن: هذا العباس. ودنت إليّ إحداهن، فقالت: يا عباس أنت القائل؟: «من الكامل»

ماذا لقيتُ من الهوى وعذابه طَلَعَت عليَّ بليِّةٌ من بابه

قلت: نعم. قالت: كذبت يا ابن الفاعلة[5]، لو كنت كذلك كنت كأنا. ثم كشف عن أشاجع[6] معراة من اللحم، فأنشأت تقول: «من الطويل»

ولما شكوت الحبّ، قالت: كذبتني، فما لي أرى الأعضاءَ منك كواسيا![7]
فلا حُبَّ حتى يلزق الجلدُ بالحشا وتَخْرَس حتى لا تجيب المناديا[8]

* * *

إبراهيم بن المهدي والمأمون

* ومن ذلك، ما رُوي عن إبراهيم بن المهدي[9] قال: دخل عليّ المأمون

---

(١) الحائلة: المتغيّرة المتحوّلة.
(٢) الفراسة: الخبرة الطويلة بمعرفة الناس من حديثهم وسيماهم.
(٣) هو من بني حنيفة ويكنّى أبا الفضل، نشأ في بغداد، له أخبار مع هارون الرشيد، شعره شبيه بشعر عمر بن أبي ربيعة «الشعر والشعراء».
(٤) أتراب: أصحاب، ومتماثلان في السنّ.
(٥) ابن الفاعلة: شتيمة.
(٦) الأشاجع: أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكفّ، وكنّى بها عن اليدين.
(٧) كواسياً: أي ليست ناحلة، فقد كساهم اللحم، والعشق ينحل الجسد.
(٨) الحشا: ما انضمّت عليه الضلوع، وجوف البطن.
(٩) هو إبراهيم بن محمد المهدي، أبو إسحاق، أخو هارون الرشيد، طلب الخلافة لنفسه؛

فقال: بالله يا عم، هل عشقت قط؟ فقلت: نعم، يا أمير المؤمنين، وأنا الساعة عاشق. قال: وأنت على هذه الجثة والجسم الكبير عاشق؟ فأنشأ يقول: «من السريع»

لأنَّهُ أصفرُ منحولُ   وَجْهُ الذي يعشق معروفُ

إلى أن قال:

ليس كمن تلقاهُ ذا جُثةٍ   كأنّه للذّبح معلوف

فأجابه إبراهيم: «من المنسرح»

وقائل لستَ بالمُحِبِّ وَلَو   كنتَ مُحِبًّا لذبتَ مذْ زمنِ
أَحَبَّ قلبي، وما درى بدني،   ولو درى، ما أقام في السِّمن

وهذان قد ادّعيا المحبة ففضحهما شاهد النظر ولم يجز ادعاؤهما على ذوي المعرفة والنظر. وقول إبراهيم «أحب قلبي وما درى بدني» من كثرة المحال أن يتعلق القلب لسبب فيسلم الجسم منه على حال، ولكنه لاستحيائه من ادعائه اعتذر، فقبح في اعتذاره. وأنشدني بعض المشايخ: «من الطويل»

وقائلةٍ: ما بال جسمك لا يرى   سقيماً وأجسام المحبِّين تسقمُ؟
فقلت لها: قلبي بحبك لم يَبُحْ   لجسمي، فجسمي بالهوى ليس يعلم!

* * *

= تنازع الأمين والمأمون، طلبه المأمون وأهدر دمه ثم عفا عنه بعد أن تمكّن منه، وكان أسود اللون عظيم الجثة، فصيح اللسان جيّد الشعر تعاطى الغناء والطرب والملاهي «فهرس الأعلام».

حديث جعفر المتوكّل والجارية

* قال علي بن الجهم[1]: لما أفضت[2] الخلافة إلى جعفر المتوكل[3] على الله، أهدى إليه ابن طاهر[4] من خراسان هدية جليلة فيها جوار، منهن جارية يقال لها محبوبة كانت قد نشأت بالطائف، وكان لها مولى قد عُني بها، فبرعت في فنون الأدب، وأجادت الشعر. وكانت راوية ظريفة، ومجيدة للغناء. فقربت من قلب المتوكل، وغلبت عليه. قال: فخرج عليَّ يوماً، وقال لي: يا علي، دخلت الساعة على قَيْنة وقد كتبت بالمسك على خدها جعفرا، فما رأيت أحسن منه، فافعل فيه الساعة شعراً. فأخذت الدواة والقرطاس، فانقفل عليّ، حتى كأني ما عملت بيتاً قط، فقلت: يا أمير المؤمنين، لو أذنت لمحبوبة أن تقول شيئاً عسى أن ينفتح لي. فأمرها، فقالت مسرعة، وأخذت العود فجسته[5]، وصاغت لحناً، واندفعت وغنّت:

«من الطويل»

وكاتبةٍ بالمسك في الخدّ جعفرا، بنفسي خطّ المسك، من حيث أثّرا
لئن أودعت سطراً من المسك خدّها، لقد أَودعتْ قلبي من الشوق أسطُرا
فاعجبْ لمملوكٍ يظلُّ مليكُهُ مطيعاً له فيما أسرَّ وأجهرا

قال علي: وغضب عليها مرة، وكان لا يصبر عنها، فأمر جواري القصر أن

---

(1) هو علي بن الجهم بن بدر، أبو الحسن، شاعر أديب من أهل بغداد، كان معاصراً لأبي تمام واختصّ بالمتوكّل العباسي، خرج يريد الغزو فاعترضه فرسان من بني كلب فجرح ومات متأثّراً بجراحه له ديوان شعر مطبوع «فهرس الأعلام».

(2) أفضت: وصلت وصارت.

(3) المتوكّل: هو الخليفة العباسي العاشر، أخباره كثيرة، وكان كثير الأهواء متقلّباً لا يثبت على أمر، نقل الخلافة إلى دمشق، فلم يطب له مناخها فعاد وأقام في سامّراء إلى أن اغتيل فيها عام ٢٤٧ هـ «فهرس الأعلام».

(4) هو محمد بن عبد الله بن طاهر الخزاعي، أبو العباس، أمير حازم، من بيت مجد ورياسة ولّي نيابة بغداد في أيام المتوكّل العباسي وتوفي في سنة ٢٥٣ هـ.

(5) جسّته: تلاعبت بأوتاره.

لا تكلمها واحدة منهن. فكانت في حجرتها أياماً، وقد تنغّص عيشه لفراقها، فبكّرْتُ عليه يوماً، فقال: يا علي. قلت: لبيك يا أمير المؤمنين. قال: رأيت الليلة في منامي كأني رضيت عن محبوبة فصالحتها وصالحتني. فقلت: خيراً يا أمير المؤمنين، أقرّ الله عينك وسرّك. إنما هي عبدتك، والسخط والرضا بيدك. فوالله، إنا لفي حديثنا إذ جاءت وصيفة[1]، فقالت: يا أمير المؤمنين، سمعت صوت عود من حجرة محبوبة. قال: فقم بنا يا علي ننظر ما تصنع، فنهضنا حتى أتينا حجرتها، فإذا هي تضرب العود وتغنّي: «من المنسرح»

أدور في القصر، لا أرى أحداً ... أشكو إليه، ولا يُكلِّمني
كأنّني قد أتيت معصيةً، ... ليست لها توبةٌ تُخلِّصني
فهل شفيعٍ لنا، إلى ملكٍ، ... قد زارني في الكرى فصالحني[2]
حتى إذا ما الصباحُ لاحَ لنا، ... عاد إلى هَجْره فصادمني

قال: فصاح أمير المؤمنين، وصحت معه. فتلقته وأكبّت على رجله تقبلها، فقال: ما هذا؟ فقالت: يا مولاي رأيت في ليلتي هذه كأنك صالحتني، فتعلّلت بما سمعت. قال: فأنا والله قد رأيت مثل ذلك. وقال: يا علي أرأيت أعجب من هذا وكيف اتفق ورجعنا إلى الموضع الذي كنا فيه. واصطلح. وما زالت تغنيه هذه الأبيات يومنا ذلك. وازدادت حظوتها عنده حتى كان من أمره ما كان. فتفرقت جواريه، فصارت محبوبة إلى الوصيف الكبير، فما زالت باكية حزينة، فدعاها يوماً مع من صار إليه من جواري المتوكل فأمرهن فغنّين. ثم أمرها فاستعفته فأبى، فقلن لها: لو كان في حزننا فرح لطال حزننا معك. وجيء بعود فغنّت به: «من مجزوء الخفيف»

---

(١) الوصيفة: الخادمة أو القيّمة على أمور النساء.
(٢) الشفيع: الساعي بالصلح، والكرى: النعاس والنوم.

أيُّ عيشٍ يَلَذُّ لي لا أرى فيه جَعْفرا
كلّ من كان ذا ضَناً وسقامٍ فقد بَرَا[1]
غيرَ محبوبة التي لو ترى الموتُ يُشترى

* * *

حديث عبد الملك بن مروان وجميل بن معمر

* ومن ذلك ما حكى جميل بن معمر العذري: أنه دخل على عبد الملك بن مروان، فقال له: يا جميل حدثني ببعض أحاديث بني عذرة، فإنه بلغني أنهم أصحاب أدب وغَزَل. قال: نعم يا أمير المؤمنين، اعلمك أن آل بثينة انتجعوا[2] عن حيِّهم، فوجدوا النجعة بموضع نازح[3] فظعنوا[4]، فخرجت أريدهم، فبينما أنا أسير إذ غلطت الطريق وأجنني[5] الليل فلاحت لي نار، فقصدتها حتى وردت على راع في أصل جبل قد انحنى عنه إلى كهف فيه، فسلّمت، فرد علي السلام، وقال: أظنّك قد غلطت الطريق؟ فقلت: أجل. فقال: انزل وبتِ الليلة، فإذا أصبحت وقفت على القصد. فنزلت فرحّب بي، وأكرمني، وذبح شاة، وأجّج ناره، وجعل يشوي ويلقي بين يدي، ويحدثني في خلال ذلك. ثم قام بإزار كان معه فوضع به جانب الخبا ومهد لي محلاً خالياً فنمت. فلما كان في الليل سمعته يبكي إلى شخص كان معه، فأرقت له ليلتي. فلما أصبحت طلبت الإذن فأبى، وقال: الضيافة ثلاث. فجلست وسألته عن اسمه ونسبه وحاله، فانتسب فإذا هو من بني عذرة، من أشرفهم. فقلت: وما الذي جاء بك إلى هذا؟ فأخبرني أنه كان

---

(١) الضنا: المرض والهزال والضعف، وبرا: شفي من علته.
(٢) انتجعوا: ارتحلوا طالبين الكلأ.
(٣) النازح: البعيد.
(٤) ظعنوا: أقاموا وحلّو.
(٥) أجنَّهُ الليل: أدركه وستره.

يهوى ابنة عم له، وأنه خطبها من أبيها فأبى أن يزوّجه إياها لقلة ذات يده، وأنه تزوجها رجل من بني كلاب وخرج بها عن الحي، وأسكنها في موضعه. وأنه رضي أن يكون لزوجها راعياً حتى تأتيه ابنة عمه فيراها. وأقبل يشكو قديم عشقه لها، وصبابته بها حتى أتى المساء، وحان وقت مجيئها، فجعل يتقلقل[1] ويقوم ويقعد، ثم وثب قائماً على قدميه، وأنشأ يقول: «من البسيط»

ما بال مَيَّةَ لا تأتي كعادتها ... أَعَاجَها طَرَبٌ أو صَدَّها شُغل[2]

لكنّ قلبيَ عنكم ليس يُشغِلُه ... حتى الممات وما لي غيرُكُمْ أَملُ

لو تعلمين الذي بي من فراقِكُمُ ... لما اعتذرتِ، ولا طابت لك العِلَلُ

نفسي فداؤك، قد أحْلَلْتِ بي سقماً ... تكاد من حَرّه الأعضاء تنفصل

لو أن ما بيَ مِن سُقْمٍ على جبلٍ ... لزال وانهدّ من أركانه الجبل

ثم قال لي: اجلس، يا أخا بني عذرة، حتى أكشف خبر ابنة عمي. ثم مضى فغاب عن بصري، فلم ألبث أن أقبل وعلى يديه محمول، وقد علا شهيقه ونحيبه، فقال: يا أخي هذه ابنة عمي أرادت زيادتي فاعرتضها الأسد فأكلها، ثم وضعها بين يدي، وقال: على رِسلِك[3]، حتى أعود إليك. فغاب عن نظري فأبطأ، حتى آيست من رجوعه، فلم لبث أن أقبل ورأس الأسد على يديه فوضعه، ثم قال: يا أخي إنك ستراني ميتاً فاعمد إلي وإلى ابنة عمي فأدْرِجنا[4] في كفن واحد، وادفنّا في قبر واحد، واكتب على قبرنا هذين البيتين: «من البسيط»

كُنَّا على ظهرها والعيش في مَهَلٍ ... والشملُ يجمعنا والدارُ والوطنُ

ففرّق الدهرُ بالتَّصْريف إلفتنا ... فصار يجمعنا في بطنها الكفن[5]

---

(١) يتقلقل: يتحرّك ويتقلّب في تصرفاته.

(٢) أعاجها: أوقفها وأمالها وألهاها، وصدّها: منعها.

(٣) على رسلك: على مهلك.

(٤) أدرجنا: لفّنا معاً.

(٥) التصريف: التقلّب وتصاريف الدهر: أحداثه ونوائبه.

ورُدَّ الغنَم إلى صاحبها، وأعلمه بقصتها.

ثم عمد إلى خناق وطرحه في عنقه، فناشدته الله لا تفعل، فأبى وخنق نفسه حتى مات. فلما أصبحت كفنتهما ودفنتهما، وكتبت الشعر كما أمر، ورددت الغنم إلى صاحبها وأعلمته بقصتهما، فحزن حزناً خفت عليه الهلاك أسفاً على ما فرط من عدم اجتماعهما.

* * *

من أخبار بني عذرة

* وقد رُوي عن محمد بن جعفر بن الزبير، قال: كنا عند عروة بن الزبير[1] وعنده رجل من بني عذرة، فقال له: يا عُذري بلغني أن فيكم رقةً وغَزَلًا فأخبرني ببعض ذلك؟ فقال: لقد خلف في الحي ثلاثين مريضاً ما بهم داء إلا الحب قد خامر قلوبهم وإن فيه من المرارة والنكد والكمد ما هو مستعذب عند أربابه، مستحسن عند أصحابه، حلو لا تعدله حلاوة، ومرٌّ لا تعدله مرارة. قال الكميت بن زيد[2] في ذلك: «من الكامل»

الحبُّ فيه حلاوةٌ ومرارةٌ ... سائلْ بذلك من تَطعَّم أو ذُقِ

---

(١) هو عروة بن الزبير، أبو عبد الله، تابعي وأحد كبار رجال الحديث قال ابن سعد عنه: كان فقيهاً عالماً كثير الحديث ثبتاً مأموناً وقال ابنه هشام عنه: صام أبي الدهر، ومات وهو صائم، وفي موته أقوال منها سنة ٩٣ هـ وسنة ٩٤ هـ «الكاشف للذهبي».

(٢) هو الكميت بن زيد الأسدي، ويكنّى أبا المُستهِل، وكان معلّماً يعلّم الصبيان بالكوفة، وكان أصمّ لا يسمع شيئاً، وكانت بينه وبين الطرمّاح مودّة رغم اختلافهما في الدين والرأي، حيث كان الكميت متعصّباً لأهل الكوفة، والطرمّاح متعصّباً لأهل الشام، وكانت له حادثة جميلة على الفرزدق حيث سمعهُ الكميت وهو صبيٌّ، فقال له الفرزدق: أيسرُّك أنّي أبوك، فقال الكميت: أمّا أبي فلا أريد به بدلاً، ولكن يسرّني أن تكون أمي، وهو شاعرٌ من شعراء العصر الأموي، كان موالياً لآل البيت «الشعر والشعراء».

مـا ذاق بـؤسَ معيشـةٍ ونـعـيـمَـهـا فـيـمـا مـضـى أحــدٌ إذا لـم يَـعْـشَـقِ

وقال آخر: «من الكامل»

يـا أيّها الـرجـلُ المعـذَّب بـالهـوى إنّـي بـأحـوال الـهـوى لَـعَـلِـيـمُ
الـحبُّ صـاحـبُـه يـبـيـتُ مـسَّـهـداً فـيـطـيـر مـنـه فـؤادُه ويَـهـيـمُ[1]
والـحبُّ داءٌ قـد تـضمَّـنـه الـحـشـا بين الـجـوانـح والضلوع مـقـيـمُ[2]
والـحـبُّ لا يـخـفـى وإن أخـفـيـتـه إن الـبـكَـاء عـلى الـحـبـيـب يـدوم
والـحـبُّ فـيـه حـلاوةٌ ومـرارةٌ والـحـبّ فـيـه شـقـاوةٌ ونـعـيـم
والـحـبُّ أهـون مـا يـكـون مـبـرَّحٌ والحبّ أصغـرُ مـا يكـون عـظيم[3]

وأنشدني أحمد بن يحيى: «من البسيط»

سَلْني عن الحبِّ يـا مَن ليس يعلَمُـهُ مـا أطيبَ الحبَّ لـولا أنَّـه نَكَـدُ[4]
طعمـان حـلوٌ ومـرٌّ لـيس يَـعْـدِلُـه فـي حَـلْقِ ذائـقـه مـرٌّ ولا شَـهَـدُ

وأنشد أبو الطيب[5]: «من البسيط»

سلني عن الحبِّ يـا مَن ليسَ يعلَمُـه عـنـدي مِن الحبِّ إنْ سـاءلتني خَبَـرُ
إنـي امـرؤٌ مـا زلـت مـشـتـهـراً لاقـيت فـيـه الـذي لم يـلقـه بشـر
الـحـبُّ أوّلـه عـذبٌ مـذاقـتـه لـكـنَّ آخـره الـتـنـغـيص والـكـدر

* * *

---

(١) المسهَّد: الأرق.
(٢) الحشا: ما انضمت عليه الضلوع وجوف البطن، والجوانح: الأضلاع.
(٣) المبرَّح: المعذَّب: أو الذي فيه شدة وتعب.
(٤) النّكد: التعب والشدّة.
(٥) هو أبو الطيب المتنبي الشاعر المشهور.

من أخبار عروة بن حزام

* وذكر ابن أبي عتيق[1]، قال: بينما أنا أسير في أرض بني عذرة، إذ أنا ببيت جديد، فدنوت منه، فإذا بعجوز تعلّل[2] شاباً قد نهكته العلة، وبانت عليه الذلة. فسألتها عن خبره، فقالت: هذا عروة بن حزام[3]. فدنوت منه، فسمعته يقول: «من البسيط»

من كان من أخواتي باكياً لغدٍ ... فاليوم، أني أراني اليوم مقبوضا

فقلت: أنت عروة بن حزام؟ قال: نعم، الذي أقول: «من الطويل»

جعلت لعرّاف اليمامة حكمَهُ ... وعرافِ نجدٍ إنْ هُمَا شفياني[4]

فقالا: نعم، تشفى من الداء كلِّه ... وقاما مع العوّاد يبتدراني[5]

فما تركا من سلوةٍ يعلمانها، ... ولا شُربةٍ إلاّ وقد سقياني[6]

فقالا: شفاك الله، والله مالنا، ... بما حملت منك الضلوع، يدان

فويلي على عفراء وَيْلاً كأنَّه ... على النحرِ والأحشاء حدُّ سِنان[7]

فعفراءُ أصفى الناس عندي مودةً، ... وعفراء عندي المُعرِضُ المتواني[8]

ثم شهق شهقة توهمت أنها غشية فتنحّيت عنه، ودنت العجوز فوجدته قد قضى نحبه. فما برحنا حتى دفناه.

---

(١) هو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر «ابن أبي عتيق» من ظرفاء المدينة، وأصحاب الجاه والغنى والترف، له أخبارٌ تنمُّ عن ذوقٍ أدبي مرهف.

(٢) تعلّل: تداوي.

(٣) هو عروة بن حزام بن مهاجر الضنبي، من بني عذره شاعر من قيمي العرب، كان يعشق ابنة عمه عفراء «تقدّم ذكره».

(٤) العرّاف: الطبيب عند العرب آنذاك.

(٥) الداء: المرض، والعوّاد: الزوّار، ويبتدران: يعالجان ويسألان.

(٦) السّلوة: يريد بها الحديث الذي يخفّف عن المريض وينسبه ما به من داء أوهم.

(٧) حدّ السّنان: الجانب القاطع من السيف وغيره.

(٨) المعرض: الذي يصدُّ عن جيبه ويهجره، والمتواني: المتلكىء.

وبلغ العشق أيضاً مجنون عامر إلى ما ذكرناه في موضعه.

* * *

إعرابية في الطواف

* قال بعضهم: سمعت إعرابية تطوف وهي تقول: اللهم مالكَ يوم القضا، وخالقَ الأرض والسماء، ارحمْ أهل الهوى، وأنقذهم من عظيم البلا، فإنك تسمع النَجوى[1]، قريب لمن دعا. ثم أنشأت تقول: «من البسيط»

يا ربّ إنك ذو مَنٍّ وذو سِعَةٍ دَارِكْ بعافيةٍ مِنْكَ المحبينا[2]
الذاكرين الهوى من بعدما رقدوا حتى نراهم على الأيدي مكّبينا

فقلت لها: يا هذه أيُقال هذا في الطواف؟ فقالت: إليك عنّي، لا يرهقك الحب. فقلت: وما الحب؟ فقالت: جَلَّ أن يَخْفى، ودَقَّ على أن يُرى: له كُمُونٌ[3] كَكُمُون النار في الحجر، إن قدحته أورى[4]، وإن تركته توارى. قال: فتبعتها حتى عرفت منزلها، فلما كان من غدٍ جاء مطر شديد فمررت ببابها وهي قاعدة مع أترابٍ[5] لها، وهنَّ يقلن لها: أضرَّ بنا المطر، ولولا ذاك لخرجنا إلى الطواف. فأنشأت تقول: «من الكامل»

قالوا أَضرَّ بنا السحابُ بقَطْرِهِ لما رأوها بعبرتي تحكي[6]
لا تعجبوا ممّا ترون، فإنّما تلك السماءَ لرحمتي تبكي

وقد زعم قوم أنه لا ذنب على أهل الهوى، ولا وزر على ذوي الضّنا[7]. إن

(١) النجوى: الإسرار، والدعاء بصوتٍ خفيّ.
(٢) المنّ: التفضل والعطاء، ودارِك: أي تدارك.
(٣) كمون: استتار.
(٤) أورى: اشتعل وأخرج ناره.
(٥) الأتراب: المثيلات والأصحاب في سنٍّ واحد.
(٦) القطر: المطر.
(٧) الضنا: التعب والألم من الحبّ.

خطاياهم تنمحي عنهم لطول بلائهم، وكثرة شقائهم، ولما يَلْقَوْن من القلق، ويعانون من الأرق.

* روى أبو الحسن المدايني عن الأصمعي قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو أدركت عفراء وعروة، لجمعت بينهما.

* * *

العرجي وأمّ الأوقص

* قال الزبير بن بكار: كان العرجي وهو عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، رضي الله عنه، يعشق أمّ الأوقص المخزومي القاضي، وهي امرأة من بني تميم[1]، فكان يتعرّض لها، فإذا رأته رمت بنفسها وتستّرت منه. فمرّ بها يوماً وهي في بعض نسوة وهنّ يتحدثن، فعرفها فأحب أن يراها من قرب، فعدل[2] عنها ولقي إعرابياً راكباً معه لبن رطب، فدفع دابته وثيابه وأخذ قَعُوده[3] ولبنه، ولبس ثيابه، ثم أقبل على النسوة. فصحن يا أعرابي، عندك لبن؟ قال: نعم. ومال إليهن، وجلس يتأمل التميمية وينظر أحياناً ألى الأرض كأنه يطلب شيئاً، وهن يشربن من اللبن، فقالت له امرأة منهن: أي شيء تطلب يا أعرابي أضاع منك في الأرض؟ قال: نعم، قلبي. فلما سمعت التميمية كلامه نظرت إليه، وكان أزرق، فعرفته، وقالت: ابن عمرو، ورب الكعبة. ووثبت فسترها نساؤها، وقلن له: انصرف عنا، لا حاجة لنا إلى لبنك. فمضى منصرفاً.

* * *

أحاديث العشق عند الأعراب

* قال العتبي: سمعت أعرابية تقول: مسكين العاشق، كل شيء عدوه:

---

(١) بنو تميم: قبيلة عربية معروفة في الجاهلية، لغتها حجّة بين لغات القبائل العربية.
(٢) عدل عنها: مال وغيّر طريقه.
(٣) قعوده: دابته.

هبوب الريح تقلقه، ولمعان البرق يؤرقه، ورسوم[1] الديار تُحرقه، والعذل[2] يؤلمه، والتذكير يسقمه. إذا دنا الليل منه هرب النوم عنه، ولقد تداويت بالقرب والبعد فما أنجح فيه دواء. ولقد أحسن الذي يقول: «من الطويل»

بِكُلٍ تداوينا فلم يشف ما بنا   على أن قرب الدار خيرٌ من البُعد

* وقال أعرابي: إنّ لي عيناً دموعاً، وقلباً مروعاً، فماذا يصنع كل واحد منهما بصاحبه مع أن داءهما دواؤهما، وسقمهما شفاؤهما.

* وذكر أعرابي وَجْدَه بامرأةٍ فقال: ما ازدادت مني بعداً إلا ازددت بها قرباً.

* وذكر أعرابي امرأةً كان يواصلها في شبابه، فقال: ما كانت أيامي معها إلا كأباهيم[3] القطا[4] قِصَرا، ثم طالت بعدها شوقاً إليها، وأسفاً عليها، فاليوم بعدها دهر، والساعة شهر.

* * *

حديث المرأة اللخمية

* قال أبو بكر بن دريد[5]: كانت امرأة من لخم[6] يقال لها سعدى تهوى ابن عمٍّ لها، يقال له عيسى. فلما خشي أهلها الفضيحة قالوا لها: إن نطقت فيه بشعر قطعنا لسانك. فعندها قالت: «من الطويل»

---

(١) أباهيم: جمع إبهام، وهي من الأصابع أعظمها في اليدين والرّجلين.

(٢) القطا: جمع قطاه وهو طائر مشهور يشبه الحمام ويميل لونه إلى الغبرة.

(٣) رسوم الدّيار: آثار منازلها.

(٤) العذل: اللوم.

(٥) هو محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، أبو بكر، من أئمة اللغة والأدب، كانوا يقولون: ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء، ولد في البصرة وانتقل إلى عُمان فأقام اثني عشر عاماً ثم عاد إلى البصرة، وانتقل إلى بغداد وأقام فيها إلى أن توفي سنة ٣٢١ هـ، من كتبه الاشتقاق.

(٦) لخم: من قبائل العرب، أصلهم من اليمن، ومنهم كانت ملوك العرب في الجاهلية، وهم آل عمرو بن عديّ بن نصر اللّخمي، نزلوا الحيرة وهم آل المنذر أيّ «المناذرة».

خليليّ إنْ أصعدتما أو هبطتما بلاداً هوى نفسي بها فاذكرانيا[1]
ولا تدعا إن لامَني ثَمَّ لائمُ على سَخَط الواشين أن تعذرانيا
فقد شفَّ جسمي بعد طولِ تجلُّدي أحاديثُ عن عيسى تشيب النواصيا[2]
سأرعى لعيسى الودَّ ما هبَّت الصَّبا وإن قطعوا في ذاك عمداً لسانيا[3]

* * *

طلاق قيس بن ذريح للبنى [4]

* وطلق قيس بن الذريح امرأته لبنى فندم على ذلك، وقال:

«من الوافر»

فَوَاكَبَدي على تَسْرِيح لُبنى فكان فراق لبنى كالخداع [5]
تكنّفني الوشاة فأزعجوني فيا للناس للواشي المطاعَ[6]
فأصبحت الغداة أَلُومُ نفسي على أمرٍ وليس بمستطاع
كمغبونٍ يعضُّ على يديه تبيَّن غبنه بعد البياع [7]

* * *

الحجّاج وابنة عبد الله بن جعفر

* وتزوج الحجاج ابنة عبد الله بن جعفر، فلما دخلت عليه نظر إليها وعبرتها نجود على خدها، فقال لها: بأبي وأمي، مِمَّ تبكين؟ فقالت: من شرفٍ اتضع، ومن ضعةٍ شرُفت. فلما كتب إليه عبد الملك بن مروان بطلاقها، قال لها: إن أمير المؤمنين أمرني بطلاقك. قالت: هو والله أبَرُّ بي ممّن زوجك إياي. فلما مات

---

(١) خليلي: صاحبيّ، وهي مثنّى خليل، منادى بحرف نداءٍ محذوف.

(٢) شفّ جسمي: أنحله وبراه، والتجلّد: الصبر، والنواصي: شعر مقدّم الرأس.

(٣) أرعى الودّ أحفظه، والصبّا: ريحٌ باردة تهبُّ من الشمال.

(٤) هو قيس بن ذريح أحد الشعراء الغزليين المشهورين «تقدّم ذكره».

(٥) فواكبدي: فوا أسفي وشقائي، والكبد: التعب والشقاء، والتسريح: الطلاق.

(٦) تكنّفني: أحاطني من كلّ جانب، والوشاة: جمع واشٍ وهو المفسد والنمّام.

(٧) المغبون: الذي انتقص حقّه، وانطلى عليه الخداع.

أبوها لم تبك عليه، فقيل لها في ذلك، فقالت: والله إن الحزن ليبعثني[1]، وإن الغيظ ليصمتني.

* * *

أخبار بعض الأعراب

* وكانت زينب بنت مرة عند ابن عم لها يقال له المغيرة فجرى بينهما عتاب فطلقها ثلاثاً فقالت: «من البسيط»

يا أيّها الراكب الغادي مطيّتُهُ ... عرِّج أَبُثُّك عن بعض الذي أجِدُ[2]

ما عالجَ الناسُ مِنْ وَجْدٍ ومن كَمَد ... إلا وَجَدْتُ به فوق الذي وَجَدوا

حسبي رضاه، وإنّي في مسرته ... وودّه آخر الأيام اجتهد

* كانت عند رجل امرأة يقال لها أم مالك وكان بها معجباً فأقسمت عليه أمّه أن يطلقها، فذهب عقله، ونحل جسمه. فحضره الموت، فدخلت عليه أم مالك تعوده، فلما ولت قال لأمه: يا عجوز ليهنك فَقْدُ ابنك في الدنيا، والإثم لك في الآخرة. ثم أنشأ يقول: «من الطويل»

لنا حاجة في آل مروان دونها ... من النفر الغُرّ الوجوه قَبيلُ[3]

فَمُتْ كَمداً إن كان يومك قد أتى ... أوِ آصبرْ على ما خَيَّلت فقليل[4]

فلما خرجت عنه، فاضت نفسه[5]. وما وصلت إلى منزلها حتى سقطت ميتة.

* قال إبراهيم بن عقبة: طلق أعرابي امرأته وحمله على ذلك عقله فندم. وأنشأ يقول: «من الطويل»

---

(١) يبعثني: أي يحملني.

(٢) الغادي: الرّائح أو السائر في الغدوة، وعرِّج: مال، والبث: البوح بالعشق، وأجد: من الوجد: أي شدّة العشق.

(٣) الغرّ الوجوه: الصّباح البيض، والقبيل: الجماعة.

(٤) الكمد: الهمّ والحزن، وخيّلت: توهمت.

(٥) فاضت نفسه: مات.

إذا ذُكــرتْ لــيلى تــرقــرق دمــعُــهُ كــأن لم تكن عينٌ بهــا قــبــلُ قُــرَّت
وإنّ ثــلاثــاً مــنــك لــو تــعلمــينــها دنــت دون حلو الــعيش حــتــى أَمَــرَّتِ

* * *

حديث الأعرابي والأعرابية

* أبو العيناء[1]، عن أبي حمزة الغساني قال: نزل أعرابي من بني أسد ببيت أعرابية من بني تميم ضيفاً، فأتته بِقِرى[2] حاضر، وماءٍ بارد. فجعل ينظر إليها من وراء الستر، ثم راودها عن نفسها، فقالت له: يا هذا أمَا يقرِّعك[3] الإسلام والكرم؟ كُلْ، وإن أردت غير ذلك فارتحل. فقال لها: زوجيني إذاً نفسَك. فقالت: الأولياء يزوجونك. فخاف أن لا يزوجوه للعداوة بين الحيين، فانتسب إلى بني عذرة فزوجوه فأقام عندهم زماناً. ثم علموا أنه أسدي فقالوا له: والله إنك لكفء كريم، ولكن نكره أن تتزوج منا وأنت حرب لنا ، فحل عن صاحبتنا ، وكان يحبها حباً شديداً فطلقها ، وقال : « من المتقارب » :

أحــبّــك يــا عــمَّ حُــبَّ الــحــيــاة ونــيــلَ الــمــنــى وبــلوغَ الــظَّفــر
ويُــعجــبــنــي مــنــك عــنــد الــلقــاء، حــيــاء الــكــلام، ومــوت الــنــظر
ونــائي الجبين، شــديــد البــيــاض، كــثيــف الجــوانــب، مــثــل الــقــمــر

قال أبو ذكوان: لم تقل العرب فيما يريده الرجال من النساء أحسن من هذا.

* * *

---

(١) هو محمد بن القاسم بن خلّاد بن ياسر الهاشمي، أديب وظريف، ومن أسرع الناس جوابا، ذكيّ جدّاً وحسن الشعر وخبيث اللسان، كفّ بصره بعد بلوغه أربعين سنة توفي في البصرة سنة ٢٨٣ هـ.

(٢) القرى: الضيافة والطعام.

(٣) يقرعك: يعنّفك ويمنعك ويكبحك.

(٤) الوهج: الحرارة المنبعثة عن النار، والضرام: الاتّقاد، والذكر: العضو التناسليّ عند الرجل.

حديث الخارجي

* قال: خرج محمد بن المشيري الخارجي إلى البصرة في طلب ميراث له، وبها نفر من قومه. فأقام بها حولاً ينشدهم ويحدثهم. وكانت امرأة منهم ذات جمال ومال لا يطمع فيها أحد. فقالوا له: يا أبا سلمان هل لك في امرأة منا، سيدة في قومها جمالاً وعقلاً، وعفافاً، ورأيا؛ قد سمعت بمقدمك، فَذُكِرْت لها، فزعمت أنك طلّقت زوجتك التي خلّفتها في بلدك فرغبت فيك، فإن أحببت أقمت عندنا فيما ترى من طيب بلادنا وربعنا، وعلينا صداقك[1]، وما تحتاج إليه؟ فأقبلوا به وأدبروا واجتهدوا فأبى عليهم، وقال في ذلك: «من الوافر»

أُساءَلُ بالعراق فراق سُعدى	ولا تبدي ولا يَرَها العراقُ
لئن رُبِحَ العراق لهجر سعدى	عليَّ أشدّ ما رَبِحَ الفراق
إذا عدلوا أقول لهم: لسعدى	خلائق لا يحلُّ لها الطلاق[2]
حرام أن يقول نساءُ قومٍ	تركتك أو تحدّث بي الرّفاق

* * *

حيلة المرأة الأهوازية

* كانت لرجل في الأهواز[3] ضيعة بالبصرة، وكان يتعاهدها في حين الانتفاع بالثمار. فتزوج بها امرأةً، وانتهى الخبر إلى امرأته الأهوازية فاستخرقت[4] كتاباً على لسان بعض أخوانه بالبصرة يعزيه في البصرية ويقول: إلحق المال الذي خلَّفت ولا تتأخر. وأعطت الكتاب لبعض الملاحين وجعلت له جُعْلا[5]. فلما وصل الكتاب إلى زوجها وَجد لموتها وجداً عظيماً، وقال للأهوازية: أصلحي لي سفرتي،

---

(١) الصداق: المهر.

(٢) الخلائق: الأخلاق والطبائع.

(٣) الأهواز: من أقاليم الدولة العباسية يسمّي اليوم خوزستان، وهو في إيران، وفيه مدينة عبدان النفطية.

(٤) استخرقت: اختلقت كذباً.

(٥) الجُعل: الأجر.

فإني راكب إلى البصرة. ففعلت، فلما أصبح الغد ركب فرسه، وأعطته السفرة، ثم قبضت على عنان فرسه وقالت له: ما تكثر اختلافك إلى البصرة إلا ولك بها امرأة تزوجتها؟ فقال لها: والله ما لي بالبصرة امرأة، للذي وقف عليه من الكتاب. فقالت له: لست أدري ما تقول؛ وإنما تحلف وتقول كل امرأة لي غيرك طالق ثلاثاً بقول جميع المسلمين؟ فللذي وقف عليه الرجل من موت البصرية قال في نفسه: تلك ماتت، فلم أُغِير صَدْر هذه، فقال لها: كل امرأة لي غيرك في جميع الأقاليم فهي طالق ثلاثاً بقول جميع المسلمين. فقالت له: لا تتعبن فقد طلقت الحبيبة. فندم الرجل، وأسقط ما في يديه.

* * *

من أخبار قيس وليلى

* ولما تزوجت ليلى صاحبة قيس بن الملوح، هام على وجهه مع الوحش، وكان يقول: «من الطويل»

لها في سواد القلب تسعةُ أسْهمٍ	وللناس في ذاك المكان عشير[1]
ولست بِمُحْصٍ حبّ ليلى لسائلٍ	مِنَ الناس إلا أن يقول كثير
وتُنْشَر نفسي بعد موتي لذكرها،	فموتٌ لنفسي مرّةٌ ونشور[2]
أتاني بظهر الغيب أنْ قد تزوجت،	فكادت بي الأرض البراح تمور[3]
فقلت، وقد أيقنت أن ليس بيننا	تلاقٍ، وعيني بالدموع تفور
لئن كان يهدي بردُ أنيابها	لأفقر مني إنّني لفقير[4]
فما أسرع الأخبار أن قد تزوجت،	فهل يأتِيَنّي بالطلاق بَشِيرُ؟

* * *

---

(١) سواد القلب: حبته أو دمه.

(٢) النشور: البعث بعد الموت.

(٣) البراح: المتسعة، وتمور: تدور وتضطرب.

(٤) يهدي: يقدّم، وبردُ أنيابها: كناية عن رضابها الذي يبرّد غلّة الحبيب، والعلى: الرفعة والشرف.

باب
ما جاء في الغيرة

* يروى عن عروة بن الزبير، عن أسماء بنت أبي بكر[١]، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر: لا شيء أَغْيَرُ من الله. وعن عبد الله بن مسعود[٢] أنه قال: إن الله ليغار للمسلم فليغر، وعنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: ليس شيء أغير مِن الله، من أجل ذلك حرّم الفواحش. وعن كعب بن مالك[٣] أن رسول الله ﷺ قال: الغيرة، غيرتان: فغيرة يحبها الله، وغيرة يكرهها الله. قلنا: يا رسول الله، ما الغيرة التي يحبها الله؟ قال: أن يغار أن يأتي معاصي الله، وينتهك محارمه. قلنا: وما الغيرة التي يكرهها: قال: أن يغار أحدكم في غير كنهه[٤]. وعن عبد الملك بن عمير بن عبد الله بن بكار أنه قال: الغيرة غيرتان: غيرة يصلح بها الرجل أهله، وغيرة تدخله النار.

* * *

---

(١) هي الأخت الكبرى للسيّدة عائشة أمّ المؤمنين، زوجها الزبير بن العوّام وابنها عقد الله، لقِّبت بذات النطاقين، لأنها شقّت رداءها لتحمل قربة الماء وكيس الخبز إلى النبيّ وأبيها عند الهجرة.

(٢) صحابيٌّ جليل، وسادسٌ منا أسلم، قضى حياته في خدمة النبي وهو حجّة في القرآن والحديث.

(٣) كعب بن مالك، صحابي جليل، من أكابر الشعراء، وكان في الإسلام شاعر النبي صلّى الله عليه وسلّم.

(٤) كنهَهُ: معناه وحقيقته.

غيرة نساء الأنبياء

* ويُروى: إن سارة[١] كانت تحب إبراهيم[٢] خليل الرحمن. فمكثت معه دهراً لا ترزق ولداً، فلما رأت ذلك وهب له هاجر[٣]، وكانت أمة لها قبطية[٤]، فولدت لإبراهيم إسماعيل صلى الله عليهما، فغارت من ذلك سارة ووجدت في نفسها، وعتبت على هاجر. فحلفت لتقطعن عضواً من أعضائها فقال لها إبراهيم، صلى الله على نبينا وعليه: هل لك أن تبرّي يمينك؟ قالت: كيف أصنع ؟ قال: اثقبي أذنيها وخَصِّفيها، والخصف هو الخياطة. ففعلت ذلك بها، فوضعت في أذني هاجر قرطين فازدادت حسناً. فقالت سارة: إني إنما زدتها جمالاً، فلم تتركه على كونها معه. ووجد بها إبراهيم وجداً شديداً، فنقلها إلى مكة وكان يزورها في كل وقت من الشام لشغفه بها، وقلة صبره عنها.

* * *

بعض غيرة الرجال على نسائهن

* وعن ابن أبي مليكة: أن ابن عمر[٥] سمع امرأته تكلم امرأة من وراء جدار، بينها وبينها قرابة لا يعلمها ابن عمر، قال: فجمع لها جرائد[٦] ثم أتى فضربها بها.

---

(١) سارة: هي زوجة إبراهيم الخليل، ووالدة اسحاق جدّ الاسرائيليين.

(٢) هو خليل الرحمن «واتخذ الله إبراهيم خليلاً» وأبو المؤمنين، تلقى الوحي في أور، ونزح منها إلى بلاد كنعان، وهو أبو إسحاق واسماعيل جدّ العرب.

(٣) هاجر: جارية سارة زوجتها إبراهيم فولدت له إسماعيل ثمّ لحقتها الغيرة فاختلفت معها وهاجر إبراهيم بها وبولدها إلى مكّة، وقصتّها معروفة.

(٤) قبطية: نسبة إلى الأقباط، وهم سكان مصر الأصليون، وهُمُ اليوم طائفة من المسيحيين الأقباط.

(٥) هو عبد الله بن عمر بن الخطّاب، تقدّم ذكره.

(٦) الجرائد: قضبان النخل ما دام عليها الخوص، وإلا فهي سعفة.

* وعن علقمة: أن معاذ بن جبيل[1] كان يأكل تفاحة ومعه امرأته فدخل عليه غلام، فناولته امرأته تفاحة قد أكلت منها فأوجعها ضرباً.

* * *

الغيرة عند بعض الأمم

* وقال بعضهم: لذة المرأة على قدر شهوتها، وغيرتها على قدر لذتها. واستدل بإفراط غيرتها على إفراط حرصها. وهذا القول خطأ قد علمنا أن الرجل أشد غيرة على المرأة من المرأة على الرجل. وربما كان الذي يبدو من المرأة عند تسّري[2] زوجها بالسراري وتزوّجه المهيرات[3]، وحين تراه مع بعضهن توهيماً للفعل أن ذلك من الطربة ولكراهة المشاركة فيه. وبعض ذلك يكون من طريق الألفة والنفاسة به، وليس شكل ما تلقى المرأة إذا رأت على فراشها، من شكل ما يلقى الرجل إذا رأى على فراش امرأته رجلاً. لأن المرأة قد عاينت أن الرجل له أربع نسوة وألف جارية يطؤهن بملك اليمين، لما أحله الله في الشريعة. وكذلك غيرة فحول الحيوان على إناثها، لأن فحل الحيوان يقاتل دونها كل فحل يعرض لها حتى تصير إلى الغالب، قال الراجز:

يغار والغيرة في خلق الذّكر والأمم تختلف في الغيرة

* * *

يغار والغيرة في خلق الذّكر

والأمم تختلف في الغيرة. فمن الصقالبة[3] ناس لا يتزوجون من قرب منه في النسب ولا الدار. وإذا مات البعل خنقت المرأة نفسها أسفاً عليه.

---

(١) صحابي جليل من الأنصار، أرسله النبيّ إلى اليمن ليدعو أهلها إلى الإسلام، حارب في أجنادين واليرموك، مات بالطاعون في عمواس.

(٢) التسرِّي: التمتع بالجواري.

(٣) المهيرات: واحدها مَهيرة، وهي الحرّة لأخذها المهر.

(٣) الصقالبة: قوم حمر الألوان، صهب الشعور، يتاخمون الخزر وبعض جبال الروم.

والمرأة في الهند إذا مات زوجها وأرادوا حرقه، جاءت ليحرقوها معه.

والديلمي[١] يخرج من الديلم إلى حدود ما بين دار الإسلام والديلم، ومعه امرأته وإخوانه وعماته فيبيعهن صفقة واحدة، ويسلمهن إلى المبتاع، لا تدمع عينه ولا عين واحدة من عياله.

آراء في الغيرة

* قال معاوية، رضي الله عنه: ثلاث خصال من السؤدد: الصلع، واندماج[٢] البطن، وترك الإفراط في الغيرة.

* ولما نزل قيس بن زهير[٣] ببعض العرب قال لهم: إني غيور، وأنا فخور، وأنا آنف[٤]؛ ولكن لا أغار حتى أرى، ولا أفخر حتى أفعل، ولا آنف حتى أضام[٥]. فعابوه بقوله: «لا أغار حتى أرى» ويظن به إنما عني رؤية السبب لا رؤية المرافقة.

وعابوا معاوية أيضاً بقوله هذا. ونسبوه إلى قلة الغيرة «وما أرى في قوله وترك الإفراط عيباً لأن الإفراط المجاوز للحق ولمقدار المصلحة وظلم الخليلة العفيفة والحرمة الكريمة غير لائق».

وأما قول نصيب[٦]: «من الطويل»

أهيمُ بدعدٍ ما حييت وإنْ أَمُتْ فيا ليت شعري من يهيم بها بعدي

---

(١) الدّيلم: قومٌ من الأتراك قيل: إن أصلهم عربي.
(٢) اندماج البطن: يريد انضمامها وعدم انتفاخها.
(٣) من شعراء نجد، سُمّي قيس الرأي لصحّة رأيه، وهو صاحب داحس الحصان الذي تنافس في السّباق مع الغبراء، ونشبت بعد ذلك حرب «داحس الغبراء» المعروفة.
(٤) أنف: أبيّ، أي يأبى الضيم.
(٥) أضام: أذلّ.
(٦) نصيب: من الشعراء الغزليين، كان عبداً أسوداً لرجلٍ من أهل وادي القرى، كانت أمّة أمةً سوداء فوقع بها سيّدها فأولدها نصيباً فوثب عليه عمّه بعد موت أبيه واستعبده، وكان يكنّى =

فإني لم أجد لـهُ تأويلاً. وعاب ذلك عليه عبد الملك بن مروان، وقال لجلسائه: أوَ لو كنتم قائلين هذا البيت ما كنتم تقولون؟ قالوا: لا ندري، فكيف كان أمير المؤمنين قائلاً؟ قال: كان يقول:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت ... فلا صَلُحت دعد لذي خلّةٍ بعدي[1]

* * *

أنشد أبو زيد[2] النحوي: «من الرّجز»

هل ينفْعك اليوم إنْ همت بهمْ ... كثرة ما توصي وتعفي والرتم

والرتم اسم للخيط الذي يعقد في الخنصر لتذكر الحاجة.

وكان معاوية بن أبي سفيان يتمثل بقول الشاعر: «من الكامل»

ولراكبٍ رجع السلام بكفّه ... ومودّعٍ لم يستطعْ تسليما

وقال آخر: «من الطويل»

وأضحى الغيور، أرغم الله أنفه، ... على ملتقانا قائماً يتمطّق[3]

وقد مدّ شدقيه من الغيظ والأذى ... كما مدّ شدقيه الحمار المحنّق

وقال الراعي[4]: «من الطويل»

= أبا الحجناء، حرّره عبد العزيز بن مروان.

(١) ذو خلّة: أي ذو خليلة.

(٢) هو أبو زيد الأنصاري، سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير بن قيس بن زيد من كبار النحويين، تتلمذ على المفضّل الضبّي، وهو من أئمة أهل الأدب واللغة والنوادر والغريب، من مؤلفاته «النوادر».

(٣) يتمطّق: يصوّت بلسانه، وتمطّقت القوس: تصدّعت وتشققت وربّما كان المعنى يفيد: الضيق والتبرّم.

(٤) هو حصين بن معاوية من بني نُمير، وقيل له الراعي: لأنه كان يصف الإبل في شعره، وقيل: هو عُبيد بن حصين، ويكنّى أبا جندل وكان أعور، وهجاه جرير لأنه اتهمه بالميل إلى الفرزدق «الشعر والشعراء».

وظـلّ الـغـيـور آرضـاً بـبـنـانـه كما عضّ برذونٌ على الفاس جامح[1]

لـقـد رابـنـي أنّ الـغـيـور يـودّنـي وأنّ نـدامـاي الكهـولُ الجحـاجـح[2]

وصَـدَّ ذوات الـظعن عنّي وقـد رأتْ كـلامي لمـراء السنـا الـطوامح؟[3]

وقال عبد الله بن الدمينة[4]: «من الطويل»

ولمـا لحقنـا بـالـحمـول، ودونـنـا خميص الحشا تؤذي القميص عواتقه[5]

عـرضنـا، فسلمنـا، فسلّم كـارهـاً علينـا، وتبـريـحٌ من الغيظ خـانقـه[6]

فـرافـقتـه مـقـدار ميـلٍ وليتـنـي، على زعمـه، مـا دمتُ حيّـاً أرافقـه

وقال مسكين الدارمي[7]: «من الطويل»

وإنـي امـرؤٌ لا تـلـتـقـيـنـيَ قـاعـداً إلى جنبِي عـرسي لا أُفـارقهـا شبـرا[8]

ولا مقسمٌ لا تبـرح الـدهـر بيتـهـا ليجعلهـا قبـل الممـات لهـا قـبـرا

إذا هي لم تُحصـن أمـام قنـاعـهـا، فليس بمنجيهـا بنـاي لـه قصـرا[9]

ولا حـاملي ظني، ولا قـول قـائـلٍ على غيـرها، حتى أحيط بهـا خُبرا[10]

---

(١) الأرض: القـاضم والعاضّ، والبـرذون: دابة دون الفـرس، غليظة الأعضـاء ضخمـة تتخذ للحمل، والجامح: الشارد.

(٢) رابنـي: حيّرنـي، والجحاجح: السادة الكرام ذوي الرأي.

(٣) صدّ: منع، وذوات الظعن: يريد النساء.

(٤) هـو عبـد الله بن عبيـد الله بن أحمـد، من بنـي عـامـر بن تيّم الله، من خثعم، أبـو السّري والدمينة أمّه، شاعر بدوي من أرق النـاس شعره، أكثـر شعره في الغـزل والنسيب، وهو من شعراء العصر الأموي توفي حوالي سنة ١٣٠ هـ.

(٥) خميص الحشا: ضامر البطن، والعواتق: جمع عاتق وهو ما بين المنكب والعنق.

(٦) التبريح: الألم والتجهُّم.

(٧) هو ربيعة بن عامر بن أُنيف من بنـي دارم، ومسكين لقبٌ له، لقب به بقوله:

وسُمّيت مسكينـاً وكـانت لحـاجـة وإنّـي لـمسكـيـن إلـى الله راغـب

(٨) عُرسي: زوجتـي.

(٩) تحصن: تعفّ.

(١٠) خبراً: علماً.

بني امرأً راعيت ما دمت شاهداً ... فكيف إذا ما سرت عن بيتها شهرا[1]؟

وقال مسكين أيضاً: «من المتقارب»

أَلاَ أَيُّها الغائرُ المستشيط، ... على ما تغار إذا لم تغر؟

تغار على الناس أن ينظروا! ... وهل يغبنُ الحاصنات النظر[3]؟

فما خير عرسٍ إذا خفتها ... وبتَّ عليها شديد الحذر؟!

تكاد تصفّق أضلاعه ... إذا ما رأى زائراً أو زفر[4]

فمن ذا يراعي له عرسه ... إذا ضمّه، والمطيّ، السفر؟

* * *

الشعراء الذين قتلهم غزلهم

* وثلاثة من شعراء أولاد العجم ممن كان مشتهراً بالغزل مذكوراً، بالشعر بالبادية، كلهم قتلوا منهم: وضاح اليمن[5]، ويسار الكواعب، وسحيم عبد بني الحسحاس[6]. وإنما قتلوا كفاً عن أولئك النساء، وحفظاً لهن، حين رأوا التعرّض، وشنعة تلك الأشعار لا يشغلهم عنها إلا قتلهم مخافة أن يكون ذلك القتل يحقق المقالة القبيحة. ألا ترى أن الحجاج بن يوسف في عتوّه[6] لم يتعرض لابن نمير في تشببه بزينب أخته مخافة أن يكون ذلك سبباً للخوض في ذكرها. فيزيد زائد، ويكثر

---

(١) راعيت: احترست، وشاهداً: حاضراً.

(٢) المستشيط: الثائر غضباً.

(٣) يغبن: ينتقص ويخدع.

(٤) تصفّق: تتحرّك.

(٥) هو عبد الرحمن بن إسماعيل، شاعر غزلي، شبّب بأم البنين زوجة الوليد بن عبد الملك فأمر بدفنه حيّاً حوالي سنة ٩٠هـ.

(٦) عبد بني الحسحاس، واسمه سُحيم، وكان حبشيّاً قبيحاً، اشتراه بنو الحسحاس وهم بطنٌ من أسد، ثمّ قتلوه لأنه تشبّب بنسائهم وأحرقوه سنة ٤٠ هـ له شعرٌ رقيق، وقد شهد النبيّ صلّى الله عليه وسلم.

مكثر. وكذلك معاوية بن أبي سفيان لم يتعرض لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت وكان يتشبب بابنته، حتى قال: «من الخفيف»

ثم حاضرتها إلى القبة الخضراء   نمسي في مرمرٍ مسنون[1]

أحاديث أهل الغيرة

* وحكى العتبي، قال: سمع عقيل بن علقمة المري بنتاً له ضحكت، فشهقت في آخر ضحكها. فأخذ السيف وحمل عليها وهو يقول: «من الرّجز»

فَرِقت، إنّي رجل فَرُوق،   من ضحكةٍ آخرها شهيق

قال: فنادت يا أخوتاه! فبادروا فحالوا بينه وبينها.

* وحكى أبو حاتم السجستاني[2]، عن الأصمعي، قال: كان عقيل بن علقمة غيوراً، وكان الخلفاء يصاهرونه، وكانت له ابنة يقال لها الحرباء. فكان إذا خرج إلى الشام خرج بها لفرط غيرته. فخرج بها مرة وبابن له يقال له عميس، فلما كانوا بدير سعد[3] قال عقيل: «من الطويل»

قضت وطراً من دير سعدٍ وربّما   غلا غرضٌ ناطحته بالجماجم

ثم قال لابنه أَجِزْ يا عميس[4]. فقال:

---

(١) حاضرتها: مشيت معها متحدثاً، والمرمر: نوع من الرّخام المصقول، والمسنون: الناعم الصقيل.

(٢) أحد العلماء اللغويين، عاش في البصرة وتعاطى بيع الكتب، تعلّم على الأصمعي وأبي عبيدة وأبي زيدٍ الأنصاري، له كتاب «النخل» وكتاب «الليل والنهار».

(٣) دير سعد: موضعٌ في البادية.

(٤) أجز: أي أن ينظم أحدهم بيتاً أو شطر بيت ويقول لآخر أن يتمّم شطره الثاني أو أن ينظم بيتاً آخر على وزنه وقافيته، والعميس: الأمر الذي لا يهتدي لوجهه، وقد أطلقه على ابنه لقباً.

فأصبحن بالموماة يحملن فتيةً، نشاوى من الإدلاج، ميل العمائم[1]

ثم قال لابنته: أجيزي، يا حرباء. فقالت:

كأنّ الكرى أَسقاهُمُ صرخديةً عقار تمشّت في المطا والقوائم[2]

فقال لها: وما يدريك أنت ما نعت الخمر؟ هذه صفة من قد شربها.

وأخذ السوط فأهوى نحوها، وجاء عميس فحال بينه وبينها، فضربه فأوجعه فرماه عميس بسهم، فشك فخذيه فبرك، فمضوا وتركوه حتى إذا بلغوا أداني المياه منهم، قالوا: اللهم أسقطنا جزوراً لنا. فأدرِكوه وخذوا معكم الماء. ففعلوا، فإذا عقيل بارك وهو يقول: «من الرجز»

إنّ بنيّ زمّلوني بالدم من يلق أبطال الرجال يُكْلَمِ[3]

ومن يكن درءٌ به يقوَّم شنشنةٌ أعرفها من أخزم[4]

ثم زوجها يزيد بن عبد الملك. وقد ذكرنا خبره في ما مضى.

* * *

رأي في تقلّب النساء

* قال: ومما يُحْدِثُ الهوى في قلوب النساء لغير أزواجهن، ويدعوهنّ إلى الحرص على الرجال، والطلب لهن، أمور منها: أن يُظهر لها زوجها شدة الحذر عليها، والاحتفاظ بها، والغيرة في غير موضعها. أو يكون الرجل منهمكاً في الفساد، مظاهراً لها بالزنا. فإن ذلك مما يغريها من طلب الرجال، والحرص عليهم. كما قال الشاعر: «من السّريع»

ما أحسن الغيرة فى حينها، وأقبح الغيرة في كل حين

---

(1) الموماة: الفلاة والمفازة، والإدلاج: سير الليل مطلقاً.

(2) الصرخدية: الخمر المنسوبة إلى صرخد، بل بالشام في جبل هوران، والمطا: الظهّر.

(3) يكلم: أي يُجرح.

(4) الدرء: الاندفاع بشدّة، ويقوّم: يثقّف ويصحّح، والشنشنة: الخلق والطبيعة، وفي المثل =

مــن لــم يــزل مُــتَّــهِــمــاً عِــرسَــهُ   متَّبعــاً فيهــا لــرجم الــظنــون[1]

أوشــك أن يُــغْــرِيــهــا بــالــذي   يــخــاف، أَو يــنــصبــهــا لــلعــيــون

حــسبــك مــن تحــصيــنهــا ضــمّهــا   مــنــك إلــى عــرضٍ نــقــيٍّ وديــن

لا تــطَّلْع مــنــك عــلى ريــبــةٍ   فيتبعُ المقــرون حبــل القــرين[2]

* * *

حديث عبد الله بن رواحة وزوجته

* ذكر الشعبي[3]: إن عبد الله بن رواحة[4] أصاب جارية لـه، فسمعت به امـرأته، فـأخذت شفـرة فأتتـه حين قام وقـالت له: أفعلتهـا يـا ابن رواحـة؟ فقـال: ما فعلت شيئاً. فقالت: لتقرأ قرآناً وإلا بعجتك بها. قـال: ففكرت في قـراءة القرآن وأنا جُنُب فَهِبتُ ذلك، وهي امرأة غيراء في يـدها شفـرة لا آمن أن تأتي بمـا قالت. فقلت: «من الطويل»

وفــيــنــا رسول الله يــتــلو كــتــابــه   إذا انشقَّ معـروفٌ من الصبح سـاطـع

أرانــا الهــدى، بعــد العَمَى، فقلوبنــا   بــه مــوقــنــاتٌ، إنّ مــا قــال واقـع

يبيت يجــافــي جنبــه عن فــراشــه،   إذا استثقلت بـالكـافـرين المضـاجـع

قال: فألقت السكين من يـدها، وقـالت: آمنت بالله، وكـذّبت البصر. قـال:

= شنشنة أعرفها من أخزم: وهذه الأبيات لأبي أخزم الطائي، وكان أخزم عـاقاً لأبيـه، فمات وترك بنين عقّوا جدّهم وضربوه وأدموه، فقال ذلك «اللسان».

(١) عرسه: زوجه، ورجم الظنون: التكلّم بالظنّ.

(٢) الريبة: الشك، والمقرون: المربوط.

(٣) الشعبي هـو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبـار الحميري، أبـو عمرو، راويـة من التابعين يضرب المثل بحفظه، اتصل بعبد الملك بن مروان وكـان نديمـه ورسولـه إلى ملك الروم، وهو من رجال الحديث توفي سنة ١٠٣ هـ.

(٤) هو عبد الله بن رواحة كاتب أسرار النبي، ومن كبار الصحابة، وهـو من الأشخاص القـلائل الذين كانوا يعرفون الكتابة في ذلك الوقت ومن الشعراء الذين نافحوا عن الإسلام.

فأتيت النبـي ﷺ فأخبرته بذلك، فضحك وأعجبه ما صنعت.

* * *

آراء في غيرة النّساء

* وكان بعض العلماء يقول: ليس المصيبة في معـاتبة الـرجل المـرأة، إنما المصيبة في معاتبتها إياه. فإنها إن نظرت إليه ووقع بقلبها موقع حب لم يلبث أن تصير في يده، وتبعث الرسائل والأشعار والتحف.

* قال إسْحق[1]: رأيت رجلاً بطريق مكة، تعادله في المحمل جارية قد شد عينيها والغطا مكشوف، ووجهها بادٍ، فقلت له في ذلـك. فقال: إنمـا أخاف عليهـا من عينيها، لا من عيون الناس.

* قال سعيد بن سُليمان: لأن يرى حرمتي ألفُ رجل على حـال يكشف منها، ولا تراهم، أحب إلي من أن ترى حرمتي رجلاً واحداً غير منكشف.

* واستـأذن ابن أم مكتوم[2] على رسـول الله ﷺ وعنده امـرأتان من نسـائه، فقال لهما: قوما وادخلا البيت. فقالتـا: يا رسـول الله، هو أعمى! فقـال: أفعمياوان أنتما؟

* * *

---

(١) إسحـاق: لعلّه إسحاق بن إبـراهيم المـوصلي، أبـو محمـد ابن النـديم، من أشهـر نـدمـاء الخلفاء، كان عالماً بـاللغة والمـوسيقى والتاريخ وعلوم الدين وعلم الكـلام، له مصنّفـات عديدة وديوان شعر «فهرس الأعلام».

(٢) هو عبد الله بن أمّ مكتوم، صحابـيّ اعمى، نزلت فيه آيات قرآنية.

بـاب
مـن هـذا الشـكـل

قال عمر رضي الله عنه: اضربوهن بالعري لأن الثياب هي الداعية إلى الخروج من الأعراس، والقيام في المناجاة، والظهور في الأعياد. فمتى كثر خروجها لم يعدمها أن ترى من هو من شكل طبعها، ولو كان بعلها أتم حسناً والذي رأت انقص حسناً، لكانت بما لا تملكه أطرف مما تملكه. وكانت مما لم تملَّه وتستكثر منه أشد الوجد وهي به أشد استقبالاً. كما قال: «من الطويل»

وللعين ملهى في البلاد ولم يقد هوى النفس شيئاً كاقتياد الطرائف[1]

وقيل لعقيل بن علقمة: أما تخاف على بناتك وقد عنسن[2] ولم تزوجهن؟ قال: كلا، أجوِّعهنّ فلا يأشرن[3]، وأعرِّيهنّ فلا ينظرن. فوافقت إحدى كلمتيه قول النبي ﷺ، ووافقت الأخرى قول عمر رضي الله عنه. فإن النبي ﷺ قال: الصوم وجاء[4]. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: اضربوهن بالعري.

* * *

(١) الطرائف: الأشياء المعجبة والمستحسنة.

(٢) عنسن: كبرن ولم يتزوّجن.

(٣) يأشرن: يبطرن ويمرحن.

(٤) الوجاء: الضرب باليد وغيرها.

الصّوت الحسن مبعثٌ للغيرة

* قال: وكان هرون بن عبد الله البردعي يقول لأهله: محرّم عليك أن نظرت إلى سائل يقف ببابك، وسمعت حلاوة نغمته. وكان ينهي الباعة إذا دخلوا سكنه عن النداء على بضائعهم. ورأيته مرة يضرب عطاراً سمعه يترنم بوصف العطر وكان ينفق بضاعته حسنُ صوته، فيقول: العود المطري[1] والمحلب[2] واللبان[3] والمسك والعنبر[4] ويردد ذلك بصوته فيرجعه[5]. فكان النساء يستمعن إليه ويشرفن من المطالع[6] ويتبعن الأبواب حتى تصل عيونهن إلى النظر إليه، وربما اشترين منه ما لا يحتجن إليه. قال: فقلت له: يا أبا وائل، فإنك قد أنعم الله عليك بشيء كنت تمنعه! قال: جعلت فداك، إنما أمنع منعي لنفسي لئلا يسمعه من في منزلي. فإن النساء أسرع شيء ذهاب القلوب إلى النغمة الحسنة، فإن كان معه حسن وجه برئت المرأة من الله إن لم تحتل في صرف قلبه إليها، قلت: لا، ولا كل هذا! قال: فأسألك إلا سألته أن يستعمل هذا الكلام مرة أو مرتين أو ثلاثاً في غير هذه السكة[4].

فذهبنا به إلى غيرها وجعل العطار ينادي فما أتم الثالثة حتى تحركت أكتافي له طرباً وجعلت لا أمر ولا أجيء لما سكرت من حسن صوته. قال: كيف تراه؟ قلت: أراه يستولي على قلوب الرجال. قال: فكم قلب الرجل على ترك التهتك من قلب المرأة؟ هذا إذا كانت بلغت من السن مبلغاً، فأما إذا كانت شابة ولها فضل

---

(١) العود الطري: شجرٌ له حبّ يجعل في الطيب.

(٢) المحلّب: شجرٌ له حبٌّ يجعل في الطيب.

(٣) اللبان: ضرب من الصمغ يقال له: الكندر: أو شجيرة لا تسمو أكثر من ذراعين ورقها وثمرها كورق الآس وثمره، أو هي شجرة الصنوبر.

(٤) المسك: ضربٌ من الطيب، يتكوّن من دم حيوان كالغزال والعنبر: الزعفران: أو مادة تنبعث منها رائحة ذكية إذا أحرقت.

(٥) رجّع صوته: ردّده مترنّماً به.

(٦) المطالع: الفتحات والسلالم.

جمال ، وهي ذات حاجة ، وخالية الذرع[1] من الفكرة في المعاش ، وخالية القلب ، وقد أمنت ضرب الزوج وتطليقه ، وغيرة الأخ ، وقلة صيانة الأب ، وأصابت من يشجعها على فعلها ، ويفتح لها أبواب نظرتها ، ويسعى لها في طلب الصديق ، ويحرضها على التهتك ؛ وقد قرب منها الصوت ، وخلت من الرقيب ، ولم يكن لها في الأرض إشراف ، ولا أهل عفاف ؛ فما يمرق السهم من الرمية كمروق[2] هذه إلى الباطل .

فما يمرق السهم من الرمية كمروق[3] هذه إلى الباطل.

* * *

متفرّقات

* وكانت هند بنت المهلب[4] من عقلاء النساء وكانت تقول: شيئان لا تُؤمن عليهما المرأة: الرجال، والطيب.

وأنشد إسحق بن إبراهيم[5]: «من الطويل»

وإنّي بها في كلّ حالٍ لواثقٌ ... ولكنّ سوء الظنّ من شدّة الحبِّ

وأنشد آخر: «من الكامل»

لا تأمننَّ على النساء ولو أخاً، ... ما في الرجال على النساء أمين

كلُّ الرجال وإن تعفّف جهده ... لا بدّ أنّ بنظرةٍ سيخون

* * *

---

(١) السكّة: الطريقة.

(٢) خالية الذّرع: أي مترفة منعّمة.

(٣) المروق: الاستعجال والتسرّع.

(٤) لعلّه المهلّب بن أبي صفرة قائد شجاع، «تقدّم ذكره».

(٥) هو إسحاق بن إبراهيم الموصلي، «تقدّم ذكره».

حديث ديك الجن مع الغلام والجارية

* وقال: كان عبد السلام بن رغبان المشهور بديك الجن[1] شاعراً أديباً، ذا همة حسنة. وكان له غلام كالقمر، وجارية كالشمس. وكان يهواهما جميعاً. فدخل ذات يوم فوجد الجارية معانقة للغلام تقبله، فشد عليهما فقتلهما جميعاً. ثم جلس عند رأس الجارية فبكاها طويلاً وقال: «من الكامل»

يا طلعةً طلع الحِمام عليها ... فجنى لها ثمر الردى بيديها[2]
حكَّمتُ سيفي في مجال خناقها ... ومدامعي تجري على خدّيها
روَّيتُ من دمها الثرى ولطالما ... روّى الهوى شفتيّ من شفتيها
فوحق نعليها، وما وطئ الحصى، ... شيءٌ أعزُّ عليَّ من عينيها
ما كان قَتْلِيها لأنّي لم أكن ... أبكي إذا سقط الغبار عليها
لكنْ بخلت على الأنام بحسنها ... وأنفت من نظر العيون إليها

ثم جلس عند رأسَ الغلام يبكي: «من الكامل»

أشفقت أن يرد الزمان بغدره ... أو أبتلي بعد الزمان بهجره
قمرٌ أنا استخرجته من دُجنةٍ ... لمودتي وجلوته في خدره[3]
فقتلته وبه عليّ كرامةٌ ... فليَ الحشا وله الفؤاد بأسره
عهدي به ميتاً كأحسن نائمٍ ... والطرف يسفح دمعتي في نحره
لو كان يدري الميت ماذا بعده ... بالحي منه بكى له في قبره
غُصَصٌ تكاد تفيض منها نفسه ... ويكاد يخرج قلبه من صدره

---

(١) هو عبد السّلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب الكلبي، شاعرٌ مجيد فيه مجون، سُمّي بديك الجن لأن عينيه كانتا خضراوان مولده ووفاته بحمص سنة ٢٣٥ هـ.

(٢) الحمام: الموت.

(٣) الدّجنة: الظلمة، وجلوته: أي جعلته يشرق، والخدر: الستر.

وأنشد الرازي[1]: «من المتقارب»

أمـا واهـتـزازك لـو أسـتـطيع ... لـمـا لـحظ الـنـاس بـدر الـتـمـام
ومـن أيـن لـلبـدر وجـهٌ يـمـيـت ... ويـحـيـي إذا شـاء بـالابـتـسـام
فـهبـه حَـكَـاك بـحـسـن الـضـيـا ... فـمـن أيـن لـلبـدر حسـن الـقـوام؟
أغـار عـلى حـسـنـه إذ حـكـا ... ك وكـان بـذلـك عـنـد الأنـام

وأنشد لأبي تمام[2]: «من الوافر»

بـنـفـسي مـن أغـار عـليـه مـنّي ... وأحـسـد مـقـلةً نـظرت إلـيـه
ولـو أنـي قـدرت طـمـستُ عـنـه ... عـيـون الـنـاس من حـذري عـليـه

وأنشد لآخر: «مجزوء الوافر»

أغـار عـلـيـك مـن قـلبـي ... ولـو أعـطيـتـنـي أمـلي
وأشـفـق أن أرى خـديـ ... ـك نـصـب مـواقـع الـقـبـل

* ويروى أن جميل بن معمر قال لبثينة: ما رأيت مصعب بن الزبير يخطر بالبلاد إلا أخذتني عليك الغيرة.

* * *

بين الجعفري وأبي نواس

* وعن علي بن عبد الله الجعفري، وكان شاعراً أديباً، قال: كنت أجلس بالمدينة وأنشد أشعاري، فحج أبو نواس[3] فلما صار إلى المدينة وأنا ذات يوم

---

(1) الرازي: هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي، فيلسوف، من الأئمة في صناعة الطب، أولع بالموسيقى والغناء ونظم الشعر في صغره، عمي في آخر عمره ومات في بغداد سنة ٣١٣ هـ له مؤلّفات ومصنّفات عديدة.

(2) أبو تمام: هو حبيب بن أوس الطائي، الشاعر العباسيّ المعروف.

(3) أبو نواس: هو الحسن بن هانىء الشاعر العباسيّ المعروف.

أنشد، والناس مجتمعون عليّ، إذ دخل أبو نواس. فرأيته من بين الناس ثم قال: يا هذا ألا تنشد بيتيك اللذين تكشحت(١) فيهما؟ فقلت: وما هما؟ قال: اللذان تقول فيهما: «من الطويل»

ولما بدا لي أنها لا تحبني ... وأن هواها ليس عنّي بمنجلي
تمنيت أن تبلى بغيري لعلّها ... تذوق حرارات الهوى فترقّ لي

قلت: أفلا أنشدك بيتي اللذين أتغاير فيهما؟ قال: بلى. فأنشدته: «من الخفيف»

ربما سرّني صدودك عني ... وطلابيك وامتناعك مني
حذراً أن يكون مفتاح غيري ... فإذا ما خلوت كنت التمني

قال: فسألت عنه. فقيل لي أبو نواس.

* * *

بين الأشعث بن قيس وصحابي

* قال الأشعث بن قيس(٢): نزلت ببعض أصحاب النبي ﷺ فقام إلى امرأته فضربها، فحجزت بينهما. قال: فرجع إلى فراشه، وقال: يا أشعث، احفظ شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ: «لا تسألن رجلاً فيم يضرب امرأته».

* * *

---

(١) تكشّحت فيهما: أي اكتويت بحرّ النار فيهما، أو أخفي فيهما حبّه، يقال: طوى كشحه على الأمر: أي أخفاه، والكشح: ما بين الخاصرة والسرّة ووسط الظهر من الجسم.

(٢) هو الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي، أبو محمد، أمير كندة في الجاهلية والإسلام، أسلم وشهد اليرموك، كما شهد صفّين مع الإمام علي بن أبي طالب، والنهروان، وكان من ذوي الرأي والاقدام توفي سنة ٤٠ هـ.

حديث البنات الأربع

* قال ابن عائشة[1]: كان أبو الاصبع العدواني[2] غيوراً، وكان له أربع بنات، فأبى أن يزوّجهن، فقالت واحدة منهن: لتقل كل واحدة منّا ما في نفسها.

فقالت كبراهن: «من الطويل»

ألا ليت زوجي من أُناسٍ ذوي غنى حديث الشباب طيب النشر والذكر[3]

لصوق بأكباد النساء كأنه خليفة جار لا يقيم على الهجر

قلن لها: أنت تريدين شاباً غنياً.

وقالت الثانية: «من الطويل»

عظيم رماد القدر رحبٌ فناؤه له جفنةٌ يشقى بها النيب والجزر[4]

له خلقان: الشيب من غير كبرةٍ تشين، ولا وانٍ ولا ضَرِعُ غمرُ[5]

فقلن لها: أنت تريدين سيداً.

وقالت الثالثة: «من الطويل»

ألا هل تراها مرّةً وخليلها بضمٍّ كبعل المشرفي المهند[6]

(١) لعلّه عبد الرحمن بن عبيد الله بن محمد ابن حفص التيمي، المعروف بابن عائشة شاعرٌ متأدّب، من أهل البصرة، قصد بغداد واتصل بالقاضي أحمد بن أبي داود، فمدحه توفي حوالي سنة ٢٢٧ هـ.

(٢) أبو الأصبع العدواني ويسمّى ذو الإصبع، وهو حرثان بن عدوان بن عمرو بن قيس عيلان، شاعر جاهلي، سمّي ذا الاصبع لأن حيّة نهشته في إصبعه فقطعها «الشعر والشعراء».

(٣) طيب النشر: طيّب الرائحة.

(٤) عظيم رماد القدر: كناية عن كرمه، والجفنة: القدر الكبير يطبخ فيه اللحم وغيره، والنيب: الإبل الهرمة، والجزر: ما يعدُّ للذبح من جزور، كالشاة وغيرها.

(٥) كبرة: أي تقدّم في السن، وتشين: تعيب والواني: الضعيف، والغمر: الجاهل، والمعنى أنها تريده رجلاً مكتملاً ناضجاً غير مسنّ.

(٦) المشرفي المهند: السيف المنسوب إلى الهند.

عـليـه رواءٌ لـلـيـسـار ورهـطه إذا ما انتمى من أهل بيتي ومحتدي[1]

فقلن لها: أنت تريدين ابن عم لك قد عرفته.

وقلن للصغرى: ما تقولين أنت؟ فقالت: لا أقول شيئاً. فقلن لها: لن ندعك لأنك اطلعت على أسرارنا وكتمت سرك. فقالت: لا أدري ما أقول، إلا أنه زوج من عود[2]، خيرٌ من قعود. قال: فخُطِبن، فزوّجهن جميعاً.

* * *

غيرة سليمان بن عبد الملك

* قال: كان سليمان بن عبد الملك[3] من أشد الناس غيرة. فحكى أبو زيد الأسدي قال: دخلت على سليمان بن عبد الملك وهو على دكان[4] مبلط بالرخام الأحمر، مفروش بالديباج الأصفر في وسط بستان قد أينعت ثماره، ورنّمت أطياره، وأزهر نبت الربيع؛ وعلى رأسه وصائف[5] كل واحدة أحسن من صاحبتها، فقلت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. وكان سليمان مطرقاً فرفع رأسه فقال: أبا زيد، في مثل هذا اليوم يصلب أحد حياً. فقلت: يا سيدي، يا أمير المؤمنين، أو قد قامت القيامة؟ قال: نعم على أهل الهوى سراً. ثم أطرق ورفع رأسه، وقال: أبا زيد ما يطيب في يومنا هذا؟ فقلت: قهوة حمراء، في زجاجة بيضاء، تناولنيها مقدودة هيفاء، مضمومة لفّاء دعجاء[6]، أشربها في كفّها، وأمس

---

(1) الرواء: المظهر: والمحتد: الأصل.

(2) زوجٌ من عود: أي زوج يدخل عليها ويروح عنها، أو زوج من عودها أي قريب لها.

(3) هو الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك بن مروان، الذي عهد بالخلافة لعمر بن عبد العزيز توفي سنة ٩٩ هـ، وهو الذي أسّس مدينة الرملة في فلسطين.

(4) الدُّكان: المصطبة التي يقعد عليها.

(5) الوصائف: الجواري.

(6) اللّفاء: المتكنزة، والدعجاء: التي في عيونها دعج وهو السّعة مع اشتداد في السّواد والبياض.

فمي بفمها: فأطرق سليمان مليّاً ودموعه تنحدر. فلما رأى الوصائف ذلك تنحَّين عنه، فرفع رأسه وقال: يا أبا زيد، حَلَلت والله في يوم فيه انقضاء أجلك، وتصرّم[1] مدتك، وفناء عمرك. والله لأضربن عنقك أو تخبرني ما الذي أثار هذه الصفة من قلبك؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، كنت جالساً على باب أخيك سعيد بن عبد الملك وإذا جارية قد خرجت إلى باب القصر عليها قميص إسكندراني، وفي رجليها نعلاها، قد أشرق بياض قدميها على حمرة نعليها؛ ولها ذؤابة[2] تضرب إلى حقويها[3]، وتسيَّل كالعثاكيل[4] على منكبيها؛ وطرة[5] قد أسبلت على جبينها؛ ولها صدفان[6] كأنهما نونان على وجنتيها، وحاجبان قد تقوّسا على محجري عينيها، وعينان مملوءتان سحراً، وأنف كأنه قصبة در، وهي تقول: «عباد الله ما الدواء لما لا يُشتكى، والعلاج مما لا يُنتمى؟ طال الحجاب، وأبطأ الكتاب. العقل ذاهب، واللب عازب، والعين عبرى، والأرق دائم، والوجد موجود، والنفس والهة، والفؤاد مختلس[7]. فرحم الله قوماً عاشوا تجلّداً، وماتوا تبلداً[8]، لو كان في الصبر حيلة، وإلى العزاء وسيلة، لكان أمراً جميلاً!». فقلت: «أيّتها الجارية أنسية أنت أم جنية سماوية أو أرضية، فقد أعجبني ذكاء عقلك، وأذهلني حسن منطقك؟» فسترت وجهها بكمها كأنّها لم ترني، وقالت: «أعذر أيها المتكلم، فما أوحش الوجد بلا مساعد، والمقاساة لصبٍّ[9] معاند». ثم انصرفت، فوالله يا أمير المؤمنين

---

(١) التصرّم: الانقطاع، وتصرّمت مدّته: أي انتهى عيشه.
(٢) الذؤابة: الخصلة من الشعر أو الضفيرة.
(٣) الحقو: الخاصرة.
(٤) العثاكيل: الشماريخ أو الأعذاق التي يكون عليها البسر في النخلة.
(٥) الطرة: ما تقطعه الجارية من الشعر فوق جبينها وتصفّفه.
(٦) الصدغ: ما بين العين والأذن.
(٧) مختلس: مسروق.
(٨) التجلّد: الصبر، والتبلّد: التلهّف والتحيّر.
(٩) الصبّ: العاشق.

ما أكلت طيباً إلا غصصت به لذكرها، ولا رأيت حسناً إلا سمج في عيني لحسنها.
فقال سليمان: أبا زيد، كاد الجهل يستفزّني، والصبا يعاودني، والحلم يعزب عني.
تلك الذلفاء [1] التي يقول فيها الشاعر: «من مجزوء الرّمل»

إنّـمـا الـذلـفـاء يـاقـوتـةٌ   أخـرجت من كيس دهقـان [2]

شراؤها على أخي ألف ألف درهم، وهي عاشقة لمولاها الذي باعها منه.
والله لا مات إلا بحسرتها، ولا فارق الدنيا إلا بغصتها. وفي الصبر سلوة، وفي توقع الموت نهية. قم أبا زيد فاكتم المفاوضة[3]، ويا غلام ثقل يده ببدرة[4].
قال: فلما هلك سعيد بن عبد الملك صارت الجارية إلى أخيه سليمان ولم يكن في عصرها أجمل منها، فملكت قلبه، وغلبت عليه دون سائر جواريه. فخرجا يوماً إلى دهناء[5] الغوطة[6] بموقع يقال له دير الرهبان فضرب فسطاطه في روضة خضراء مونقة، زهراء ذات حدائق وبهجة، حفها أنواع الزهر الغض. فمن بين أصفر فاقع، وأبيض ساطع، مثل النبات تحمل منه الريح نسيم المسك الأذفر[7]، ويؤدي تضوّع عرفها فتيت العنبر. وكان له مغن يأنس به، ويسكن إليه، ويكثر الخلوة معه، ويستمع حديثه، يقال له يسار. وكان أحسن الناس وجهاً، وأظرفهم ظرفاً. فأمر بضرب فسطاطه بالقرب منه وكانت الذلفاء قد خرجت مع سليمان إلى ذلك المنتزه. فلم يزل يسار يومه ذلك عند سليمان في أكمل سرور، وأتم حبور، إلى أن أتى الليل وحان انصراف يسار إلى موضعه فوجد جماعة قد أناخوا به، فسلموا

---

(١) الذلفاء: جارية سعيد بن عبد الملك، والذّلف: قصر الأنف وصغره.
(٢) الدّهقان: التاجر.
(٣) المفاوضة: أي ما أفضت إليك من سرّ.
(٤) البدرة: صرّه من النقود.
(٥) الدهناء: الفلاة.
(٦) الغوطة: البساتين المحدقة بدمشق يرويها نهر بردى.
(٧) الأذفر: الذي تفوح رائحته ويشتدّ طيبه.

عليه، فرد عليهم السلام جذلان بنزولهم، وفرح بدخولهم. فأحضر الطعام فأكلوا، وقدم الشراب فنالوا منه. ثم قال: هل من حاجة؟ قالوا: ما جئناك إلا للقرى. فقال: بالجانب الخصب نزلتم، وبالمنزل الرحب حللتم. فقالوا له: أما الطعام فقد أكلنا، وأما الشراب فقد حضر، وبقي السماع. قال: أما السماع فلا سبيل إليه مع غيرة أمير المؤمنين ونهيه إياي عن الغناء إلا ما كان في مجلسه. قالوا: فلا حاجة لنا في الطعام عندك ما لم تسمعنا. فلما رآهم غير موقلين[1] عنه رفع عقيرته[2] وغنى بهذه الأبيات: «من البسيط»

محجوبةٌ سمعت صوتي فأرّقها	في آخر الليل حتى ملَّها السهرُ
لم يحجبِ الصوتَ أجراسٌ ولا غلقٌ	فدمعها لطروق الصوت ينحدر[3]
في ليلة البدر لا يدري مضاجعها،	أوجهها عنده أضوا، أمِ القمرُ
لو خُلِّيتْ لمشتْ نحوي على قَدَمٍ	يكاد من لينه للمشي ينفطر[4]

قال: فلما سمعت الذلفاء صوت يسار خرجت إلى صحن الفسطاط[5] تسمع الصوت، فجعلت لا تسمع شيئاً من خلق، ولطافة قط، إلا الذي وافق المعنى. ومن نعت الليل واستماع الصوت إلا رأت ذلك كله في نفسها، فحرّك ذلك ساكناً كان في قلبها فهملت عيناها، وعلا نشيجها[6]. فانتبه سليمان فلم يجدها معه في الفسطاط فخرج إلى صحنه فرآها على تلك الحال، فقال لها: ما هذا يا ذلفاء؟ فقالت: يا أمير المؤمنين: «من الطويل»

---

(١) موقلين: ذاهبين، ووقل الرجل: رفع رجلاً وأثبت أخرى.

(٢) عقيرته: صوته، والأصل في ذلك أن رجلاً عُقرت رجله فرفعها وجعل يصيح بأعلى صوته، فقيل بعد ذلك لكلّ من رفع صوته؛ رفع عقيرته.

(٣) غلق: أبواب تغلق.

(٤) ينفطر: يتشقّق.

(٥) الفسطاط: البيت من الشعر يضرب في البادية.

(٦) النشيج: البكاء.

ألا رُبَّ صوتٍ رائع من مُشَوَّهٍ قبيحِ المحيّا واضعِ الأبِ والجدِ[1]
يروعك منه صوتُه ولعلَّه إلى أَمَةٍ يُعزى معاً وإلى عبد

فقال سليمان: دعيني من هذا، فوالله لقد خامر[2] قلبك منه ما خامر. يا غلام، عليّ بيسار. فدعت الذلفاء خادماً لها وقالت: إن سبقت إلى يسار فحذَّرته فلك عشرة آلاف درهم وأنت حر. فسبق رسول سليمان فأحضره فلما وقف بين يديه، وسليمان يرعد غيرة، قال: من أنت؟ فقال: يسار. فقال سليمان: «من الرّجز»

تثكل في الثّكل يساراً أُمُّه كان لها ريحانة تشمُّهُ
وخاله يثكله وعمه ذو شفة حياته تغمُّه

فقال يسار: «من الرّجز»

واستبقني إلى الصباح أعتذِرْ إنّ لساني بالشراب منكسرْ
فإن أكن أذنبت ذنباً أو عثر فالسّيد المولى أحقُّ من غفر[3]

ثم قال: يا يسار، ألم أنهك عن مثل هذا الفعل؟ فقال: يا أمير المؤمنين حملني الثمل[4] وقوم طرقوني[5]، وأنا عبد أمير المؤمنين، فإن رأى أن لا يضيع حظه مني فليفعل. قال: أما حظي منك فلم أضيعه، ولكن لا تركت للنساء فيك حظاً أبداً يا يسار. أما علمت أن الرجل إذا تغنى أصغت إليه المرأة؟ وأن الفرس إذا صهل تودّقت[6] له الحصان؛ وأن الفحل إذا هدر صغت[7] له الناقة. يا غلام إئتني

---

(١) واضع الأب والجد: أي وضيع وساقط، ولا حسب ولا نسب.
(٢) خامر: داخل، يقصد أنه قد دخل قلبك منه الحبّ.
(٣) عثر: زلّ وسقط وارتكب خطأً.
(٤) الثمل: شدّة السكر.
(٥) طرقوني: نزلوا ساحتي وبيتي، والطارق: الضيف الزائر ليلاً.
(٦) تودّقت: استأنست واقتربت منه.
(٧) صغت: مالت.

بختَّان. فختنه[1]، فعاش بعد ذلك سنة ومات. فسمي الدير دير الخصيان وبه يعرف إلى الآن.

وكتب إلى عثمان بن حيان المرّي عامله على المدينة: أن اخص من قبلك من المغنين. فخصي الدلال، فقال: الآن صرنا نساء حقاً.

* * *

أحاديث أهل الغيرة

* قال إسحق[2] بن إبراهيم الموصلي: قيل لعقيل بن علقمة وكان شديد الغيرة، وأراد سفراً: أين غيرتك على من تخلِّف؟ قال: أخلف معهن الجوع والعري، فأنهن إذا جعن لم يمزحن، وإذا عرين لم يبرحن.

* وعن المغيرة بن شعبة أن سعد بن عبادة قال: لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربت رأسه بالسيف. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: لا تعجبوا من غيرة سعد، فوالله إني لأغير من سعد، والله أغير مني، من أجل ذلك حرم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن. فقال: يا أبا ثابت، أكنت ضاربه بالسيف؟ قال: نعم والذي نزَّل عليك الكتاب. فقال رسول الله ﷺ: كفى بالسيف شا. ولم يتمها. أراد شاهداً لئلا يبالغ فيه الغيران والسكران.

* * *

غيرة امرىء القيس الشاعر

* قال عبد الله بن مسلم بن قتيبة[3]: كان امرؤ القيس بن حجر[4] مئناثاً

---

(١) ختنه: وهنا بمعنى خصاه.

(٢) هو إسحاق بن إبراهيم الموصلي، الأديب والمغنّي والموسيقي «تقدّم ذكره».

(٣) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينوري، أديب مشهور، من مؤلفاته الشعر والشعراء، وعيون الأخبار، وأدب الكاتب توفي سنة ٢٧٦ هـ.

(٤) هو الشاعر الجاهلي المشهور، أمير الشعر الجاهلي، وأحد أصحاب المعلّقات.

لا يولد له ذكر، وكان غيوراً شديد الغيرة، فإذا ولدت له بنت قتلها. فلما رأى نساؤه ذلك غيّبن بناتهن في أحياء العرب. وبلغه ذلك فركب راحلته وخرج مرتاداً لهن حتى أناخ على حي من أحياء العرب، وإذا جوارٍ مجتمعات، فقال: أيّتكنّ تجيز[1] لي هذا البيت ولها راحلتي. فسكتن عنه، وقالت ابنته: هات. فأنشأ يقول:
«من الكامل»

تَبلت فؤادَك إذ عَرَضْت عشيةً — بيضاءَ بهكنة عليها اللؤلؤ[2]

قال: فسكتت ساعة، ثم قالت:

لعقيلة الأدحي بات يحفّها — كنقا الظليم وزال عنها الجؤجؤ[3]

فضربها بالسيف فقتلها. وسار حتى نزل بحي آخر، فإذا بجوار يلعبن فقال: أيّتكنّ تجيز لي هذا البيت ولها راحلتي؟ فسكتن عنه، وقالت ابنته: هات. فقال:
«من الوافر»

إذا بركت تعالى مرفقاها — على مثل الحصير من الرّخام[4]

فسكتت ساعة، ثم قالت:

وقاموا بالعصي ليضربوها — فهبّتْ كالفنيق من النّعام[5]

قال: فقتلها، ثم سار حتى نزل إلى حي آخر، فإذا بجوارٍ يلعبن. فقال: أيّتكنّ تجيز لي هذا البيت ولها راحلتي؟ فسكتن عنه. وقالت ابنته: هات. فقال:
«من الكامل»

---

(١) تجيز: أي تكمل المعنى ببيتٍ آخر من الشعر وعلى وزنه ورويّه.
(٢) تبلت: أسقمت وذهبت بالعقل، والبهكنة: البيضاء الحسنة الخلق والسّمينة.
(٣) الأدحي: مبيض النعام في الرمل، والنقا: كلّ عظم ذي منحّ، والقطعة من الرمل المحدودبة، والظليم: ذكر النعام: والجؤجو: الصدر.
(٤) بركت: أناخت، والمرفقان: مثنّى مرفق، وهو الموصل بين السّاعد والعضد.
(٥) هبّت: ثارت، والفنيق: الفحل المكرّم من الإبل.

وكأنهن نعاج رملٍ هائلٍ ... بدفٍ يَمِذْنَ كما يميد الشارب[1]

فسكتت ساعة، ثم قالت:

بل هن أقرب في الخطا من خطوها ... إن الخرائد مشيها متقارب[2]

قال: فنزل إليها فقتلها وسار.

* * *

أحلام الأعراب القاتلة

* نزل أعرابي من طي[3]، يقال له المثنى بن معروف، بأبي جبر الفزاري فسمعه يوماً يقول: لوددت أني بت الليلة خالياً ببنت عبد الملك بن مروان. فقال المثنى: أحلالًا أم حراماً؟ فقال: ما أبالي. قال: فوثب إليه فضرب رأسه برحالة[4] فشجه، ثم ارتحل وهو يقول: «من الكامل»

أبلغ أمير المؤمنين رسالةً ... على النأي أني قد وترت أبا جبر[5]

نشرت على اليافوخ منه رحالة ... لنصري أمير المؤمنين ولا يدري[6]

وما كان شيءٌ غير أنّي سمعته ... ينادي نساء المؤمنين بلا مهر

قال: فبلغ ذلك أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فأهدر دم أبي جبر وبعث إلى المثنى بصلة جزيلة.

* وعن عبد الملك بن عمير قال: كانت هند بنت النعمان بن بشير

---

(١) الدف من الأرض أو الرمل: سندها وما ارتفع من جوانبها.

(٢) الخرائد: جمع خريدة وهي الفتاة البكر.

(٣) طيّ: قبيلة من قبائل ال[illegible]. هاجرت من اليمن بعد خراب سدّ مأرب وسكنت شمالي الجزيرة العربية.

(٤) الرّحالة: السّرج.

(٥) النأي: البعد، ووترت: ثأرت منه وقتلته.

(٦) اليافوخ: الرأس والجمجمة منه بالتحديد.

الأنصاري[1] عند روح بن زنباع[2]، وكانت امرأة فصيحة أديبة، برزة[3]؛ وكان روح رجلاً غيوراً، فرآها ذات يوم مشرفة على وفد من جذام[4]. فجعل يضربها، ويقول: أتشرفين وتنظرين إلى الرجال؟ قالت: ويحك، وهل أرى إلا جذاميا، والله ما أحب منهم الحلال فكيف الحرام؟ فقال روح في ذلك: «من الكامل»

أُثني عليك بأنّ باعكِ ضيِّق وبأنّ أصلك في جذامٍ ملتصق

وفيه تقول هند: «من الطويل»

وهل أنا إلّا مهرةٌ عربيةٌ سليلة أفراسٍ تحلَّلها بغلُ
فإن نتجت حرّاً كريماً فبالحرا وإن يك أقراف فما أنجب الفحل[5]

فقال لها روح: اللهم فإن مت قبلها فابتلها بزوج يلطم وجهها، ويقيء في حجرها. ومات روح بن زنباع وتزوجها بعده محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي، وكان شاباً جميلاً، شرّاباً للخمر؛ فأحبته حباً شديداً، فكان يلطم وجهها ويقيء في حجرها. فقالت: رحم الله أبا زرعة، فقد استجيبت دعوته. وأنشدت للخريمي[6]:

---

(1) هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري، أبو عبد الله أميرٌ وشاعر وخطيب وصحابيّ، شهد صفّين مع معاوية، وولّاه اليمن وحمص قتله خالد الكلاعي في مرج راهط سنة ٦٥ هـ وإليه تنسب معرّة النعمان بلد أبي العلاء المعرّي.

(2) هو روح بن زنباع بن روح بن سلامة الجذامي، أبو زرعة أمير فلسطين وسيّد اليمانية في الشام، له مع عبد الملك بن مروان وغيره أخبار توفي سنة ٨٤ هـ. «فهرس الأعلام».

(3) برزة: فاتنة وجميلة.

(4) جذام: اسم قبيلة عربية، وهي قبيلة روح بن زنباع.

(5) الحرا: الناحية: والحرا: موضع البيض، والحرا: الكناس وهو مأوى الظبي، والإقراف: الهجنة، والمقرف: النّذل، ومعنى قولها: فإن نتجت حرّاً كريماً فبالحرا هو أنها إن ولدت حرّاً فهو خليق بها أو جدير بأن يكون كذلك.

(6) الخريمي: هو إسحاق بن حسّان ويكنّى أبا يعقوب، من العجم، وهو مولى ابن خريم من ذبيان، وعمي أبو يعقوب بعد أن أسن، وقد اتصل بالبرامكة وله فيهم مدائح ومراثٍ جياد.

ما أحسن الغيرة في حينها ....

إلى آخر الأبيات المتقدمة.

وقال الشنفري(١): «من الوافر»

إذا ما جئتِ ما أنهاكِ عنه ولم أُنكر عليكِ فطلّقيني

فأنت البعل يومئذ فقومي بسوطك لا أبا لك فاضربيني

* * *

حذيث عاصم بن عمر بن الخطاب

* نزل عاصم بن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، خيمته بقُدَيْد(٢) بفناء بيت من بيوت قديد، وهو يريد مكة معتمراً، فحطّ رحله، وكان رجلاً جسيماً من أعظم الناس بدناً، وأحسنهم وجهاً. فأرسلت إليه ربّة البيت: يا هذا إن لي زوجاً غيوراً يمر الإنسان بجانب بيتي فيضربني، وإن رآك في هذا المنزل لقيت منه شراً، فأنشدك الله إلا تحولت عني. فأرسل إليها: إني قد نزلت وأنا مرتحل عن قليل وليس عليك من زوجك بي بأس، والتحويل يشقُّ علي. قال: فردت إليه الرسول حتى تحوّل عنها. ومرت به عجوز خارجة من عندها فدعاها وسألها عن المرأة، فقالت: هي خردية بنت أكثم، وتزوجها ربيع بن أصرم، ولها بني صغير سمته باسم أبيها. ثم ذهبت العجوز. وقال عاصم بن عمر أبيات شعر. ثم دخل زوجها واستقرّ في منزله، فلما فرغ من شعره سمعه وهو يضربها فصبر حتى علم أنه شفى غيظه ثم أنه أتاه، فصاح به، فخرج، فقال له: بأبي أنت، ما عرضك لي؟ فأخبره خبره وخبرها، فقال: بأبي أنت، لو كنت معي في منزلي ما كان عليّ منك بأس.

---

(١) الشنفري: هو عمرو بن مالك الأزدي، من قحطان، شاعرٌ جاهلي من فحول الطبقة الثانية، كان من فتّاك العرب، وأحد صعاليكهم، وصاحب لامية العرب، قتل حوالي سنة ٧٠ هـ.

(٢) قُديد: اسم موضع قرب مكة، لما رجع تبّع من المدينة بعد حربه لأهلها نزل قديداً فهبّت ريحٌ قدّت خيم أصحابه فسمّي قديداً «معجم البلدان».

* قال: كان عقيل بن علقمة من الغيرة والأنفة على ما ليس عليه أحد علمناه، فخطب إليه عبد الملك بن مروان ابنته على أحد بنيه، فقال: أما إذا كنت فاعلاً فجّنبني هجناك[1]. وخطب عقيل وقال: «من الوافر»

رددت صحيفة القرشيِّ لمّا أبت أعراقه إلّا احمرارا[2]

* * *

لقمان الحكيم والغيرة

* علي بن سليمان الأخفش[3] قال: قال ابن الكلبي[4]: كان لقمان[5] بن عاد حكيم العرب غيورا، فبنى لامرأته صرحاً وجعلها فيه، فنظر إليها رجل من الحي فعلقها، فأتى قومه فأخبرهم وجده بها، وسألهم الحيلة في أمره. فأمهلوه حتى أراد لقمان الغزو، فعمدوا إلى صاحبهم وشدّوه في حزمة سيوف وأتوا إلى لقمان فاستودعوها إياه، فوضع السلاح في بيته، فلما مضى تحرّك الرجل في السيوف، فقامت إليه المرأة تنظر فإذا هي برجل، فشكى إليها حبّه إياها، فلم يزل معها مقيماً حتى قدم لقمان فردّته في السيوف كما كان، وجاء قومه فاحتملوه. وإن لقمان نظر يوماً إلى نخامة[6] في السقف فقال: من تنخم هذه؟

---

(١) جنبني هجناك: أي أبناءك المولّدين من أمّهات غير عربيات.

(٢) الأعراق: الأصول، والإحمرار: كناية عن الأمهات غير العربيات، ويقال للأعاجم: بنو الأحمر، وبنو الأصفر.

(٣) هو علي بن سليمان بن الفضل: المعروف بالأخفش الأصغر من العلماء النحاة ومن أهل بغداد توفي فيها سنة ٣١٥ هـ.

(٤) ابن الكلبي: هو هشام بن محمد أبي النضر ابن السائب ابن بشر الكلبي، أبو المنذر مؤرّخ عالم بالأنساب وأخبار العرب وأيامها كثير التصانيف من أهل الكوفة ووفاته فيها سنة ٢٠٤ هـ.

(٥) هو لقمان بن عاد من حكماء العرب في الجاهلية، وتنسب إليه الأمثال والحكم والأقوال، زعم أصحاب الأساطير أنه عاش عمر سبعة نسور مبالغةً في طول حياته، وهو غير لقمان الحكيم المذكور في القرآن الكريم «فهرس الأعلام».

(٦) النخامة: ما يدفعه الإنسان من فمه أو أنفه كالبصاق والمخاط.

فقالت: أنا. قال: فتنخمي. فقصرت فقال: يا ويلتاه والسيوف دهتني. فقتلها ثم نزل فلقي ابنته صخر صاعدة فأخذ حجراً فهشم رأسها فماتت. وقال: أنت أيضاً امرأة. فضربت العرب بذلك المثل، فكان يقول المظلوم منهم: ما أذنبت إلا ذنب صخر.

* * *

حديث والي عمر بن الخطاب

* ولّى عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، النعمان بن نضلة العدوي بميسان[١]، وأراد رحيل امرأته معه، فأبت ذلك وكرهته. فلما وصل إلى ميسان أراد أن يغيرها فترحل إليه، فكتب إليها: «من الطويل»

ألا هل أتى الخنساء أن خليلها ... بميسان يُسقى في زجاجٍ وحنتم[٢]
إذا شئت غنّتني دهاقين قريةٍ ... وصاحبه يجثو على خدٍّ مبسم[٣]
فإن كنت ندماني فبالأكبر اسقني ... ولا تسقني بالأصغر المتثلّم[٤]
لعلّ أمير المؤمنين يسوؤه ... تنادمنا في الجوسق المتهدّم[٥]

فبلغت الأبيات عمر بن الخطاب، فقال: اي والله، وأبي وأبيك، يسوؤني. يا غلام، اكتب بعزله. فلما قدم على عمر بكّته[٦] بهذا، فقال: يا أمير المؤمنين ما شربتها قط، ولا قلت الأبيات إلا بسبب كذا. فقال عمر: أظنُّ ذلك ولكن لا تعمل لي عملاً أبدا.

* * *

---

(١) ميسان: اسم كورة.
(٢) الخليل: الزوج والصاحب، والحتم: جرارٌ خضر كانت تحمل إلى المدينة وفيها الخمر.
(٣) الدهاقين: السادة والتّجار.
(٤) الأكبر: أي الكأس الأكبر، والمتثلّم: الذي فيه ثلمة، وهي الشقّ أو الكسر.
(٥) الجوسق: الحصن والقصر.
(٦) بكّته: قرّعه وأنّبه.

ردّ روح بن زنباع على زوجته

* قالت هند بنت النعمان بن بشير لزوجها روح بن زنباع، وكان شديد الغيرة: عجباً منك كيف يسوِّدك قومك وفيك ثلاث خصال أنت من جذام وأنت جبان، وأنت غيور؟ فقال لها: أما جذام فإني في أرومتها[1]؛ وأما الجبن فإنما لي نفس واحدة فأنا أحفظها، ولو كانت لي نفس أخرى لجدت بها؛ وأما الغيرة فحقيق لمن كانت له امرأة حمقاء مثلك أن يغار عليها مخافة أن تجيئه بولد من غيره فتقذف به في حجره.

* * *

حديث العطاء والجارية

* حكى دعبل بن علي[2] قال: عبث عطار اسمه فيروز بامرأة من الشام تسومه عطراً فعلقت بقلبه، فقعد لها على طريقها، فلما أضجرها قالت: والله لو أن عبد الله بن سيرة بقربي ما طمعت في هذا مني. فبلغت عبد الله بن سيرة هذه الكلمة وهو في البعث بأرمينية[3]، فترك مركزه وأقبل لا يلوي على أحد، حتى وقف ببابها ليلاً، وكان يوصف بشدة الغيرة، فاستأذن عليها، فأذنت له، فقال لها: أيتها المرأة من هذا الذي عبث بك حتى تمنّيت أني بقربك؟ قالت: رجل عطار. قال لها: فما ابتنى؟ قالت: لا. قال لها: فعديه الليلة القابلة وإني أسبقه إلى بيتك. فبعثت إليه تقول له: إذا أبيت إلا ما تريد، فهلم إلى بيتي الليلة عندي. فأقبل إليها وقد سبقه ابن سيرة، فلما دخل وثب عليه وضربه ضربة رمى برأسه، ثم قتل خادمها، وقال لها: إنما قتلته لئلا يطلع على الخبر أحد من الناس. ثم ناولها مائة دينار، وقال لها: اشتري بها خادماً وأنفقي باقيها على نفسك. ثم قال: هلمي فأساً فقلع رأس البالوعة[4] ثم جرّهما فألقاهما فيها، ثم سوى رأس البالوعة، وقال

---

(١) الأرومة: الأصل والشرف الباسق.
(٢) هو دِعْبِل بن علي الخزاعي الشاعر المعروف بولائه لآل البيت.
(٣) أرمينية: بلادٌ في آسيا الصغرى جنوب القوقاز يجتاز نهر آراس.
(٤) البالوعة: مجرى المياه القذرة.

للمرأة: أظهري أن الخادم قد أبق[1]. ثم خرج، ولم يعلم به أحد، ولم يأت منزله حتى قدم أرمينية وقال في ذلك: «من البسيط»

إنّ المنايا لِغَيْرانٍ لَمُعْرِضةٌ يغتاله النحرُ أو يغتاله الأسدُ
أو عقربٌ أو شجىً في الحلق معترضٌ أو حيّةٌ في أعالى منتهى الزّبدِ[2]

* * *

حديث ابن الدمينة وزوجته

* وكانت لابن الدمينة[3] امرأة يقال لها حماء، وكان مزاحم بن عمر السلولي[4] يأتيها ويتحدث إليها، فمنعها ابن الدمينة مَن ذلك فاشتد ذلك عليه، فقال مزاحم عند ذلك يذكرها: «من البسيط»

يا ابن الدّمينة والأخبار تحملها وخد النجائب تبديها وتنميها[5]

فلما بلغ ابن الدمينة ذلك عرف العلامة التي في زوجته وعلم أنه لم ير ذلك منها إلا وقد أفضى إليها. فأتى امرأته فقال: قد بلغني غشيان مزاحم لك، وقد قال فيك ما قال. فأنكرت ذلك، وقالت: والله ما رأى ذلك الموضع قط. قال: فما أعلمه بعلامتك التي وصفها؟ قالت: النساء رأين ذلك إذ كنت جارتهن، فتحدثن بذلك، فسمعه مزاحم. وتغافل ابن الدمينة عن مزاحم حتى ظن أنه قد ذهب من قلبه، ثم قال لامرأته: لئن لم ترسلي إليه الليلة يأتيك في موضع كذا لأقتلنك. فأرسلت إليه: إنك قد سمّعت بي ولا أحب أن تأتيني وأنا سآتيك في موضع كذا. فقعد في الموضع ابن الدمينة وأصحابه، وجاء مزاحم وهو يظن أنها في الموضع

---

(١) أبق: هرب.

(٢) الشجى: ما اعترض في الحلق من عودٍ أو عظمٍ يسبّب الأذى، والزّبد: يقصد به منتهى الشدّة.

(٣) ابن الدمينة: هو عبد الله بن عبيد الله بن أحمد مِن خثعم شاعر بدويّ والدمينة أمّه «تقدّم ذكره».

(٢) هو مزاحم بن عمرو السلولي، من شعراء العصر الأموي، شبّب بزوجة ابن الدمينة .

(٤) وخد النجائب: سير النوق.

(٥)

الذي وعدته به، فخرجوا إليه وأوثقوه وصرّوا صرّة من رمل في ثوب وضربوا بها كبده حتى مات، واحتملوه حتى أتوا به ناحية دور قومه فطرحوه بها. وجاء أهله فأخذوه ولم يجدوا به أثر سلاح، فعلموا أن ابن الدمينة قتله. ورجع ابن الدمينة إلى امرأته فقتلها وقتل ابنة له منها، وطلبه السلولويون[1] فلم يجدوه.

* * *

حديث الرجل العقيلي والجارية

* وحكى الثوري[2]: أن رجلاً من بني عقيل[3] تعلق جارية وأبى أهلها أن يزوجوه إياها، وكانت من أجمل النساء، وكان اسمها ليلى، فسمع بها رجل موسر من ثقيف يقال له حارثة بن عوف، فقدم على أهلها فأرغبهم، فزوجوه وظعن[4] بها. فقال العقيلي الذي كان تعلقّها: «من الطويل»

أَلا إنّ ليلى العامريّة أصبحتْ	تقطّع إلاّ من ثقيفٍ وصالها
كأنّ مع الركب الذين تحمّلوا	غمامة صيفٍ زعزعتها شمالها[5]

ثم اشتد شوقه وزاد ولعه، فخرج في اثرها حتى قدم الطائف، فانتسب أنه أخ لها وصدّقت هي فأدخله زوجها، وذبح له ونحر، وكان صاحب خمر. فجلس هو والثقفي يشربان وهي تسقيهما فلما أخذت الخمر في العقيلي باح بسره، فلما سمعه الثقفي همّ به ثم غلبه السكر فخرج العقيلي تحت الليل وتبعه الثقفي بأكلبٍ له عقر[6] فأدركه وقد شارف بلاد بني كليب، وقد غلبه العطش فمات. فخلى أكلبه

---

(١) السلوليون: هم قوم مزاحم بن عامر.

(٢) الثوري: هو سفيان الثوري، أبو عبد الله، من مضر، شيخ المحدثين، كان سيّد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى ولد ونشأ في الكوفة، مات في البصرة مستخفياً سنة ١٦١ هـ ولابن الجوزي كتابٌ في مناقبه «فهرس الاعلام».

(٣) بنو عقيل: قبيلة عربية، أقامت في الموصل أيام الحمدانيين.

(٤) ظعن بها: رحل بها إلى دياره.

(٥) تحمّلوا: ارتحلوا، وزعزعتها: فرّقتها، وشمالها: يريد الريح الشمالية.

(٦) عقر: أي جارحة، واحدها عقور.

على جيفته فأكلته. فسمعت بذلك الكلابيون فراحوا في أثر القفي فأدركوه فقتلوه وخلوا عليه أكلبه فأكلته. وسمع العقيليون بخبر الرجلين فركبوا إلى المرأة فطرقوها في منزله فقتلوها، ورحلوا، فوثبت عليها أكلب زوجها فأكلتها. فقال جار الثقفي:
«من الطويل»

لعمري لقد ساق العقيليّ حتفُهُ	وما خُبْر ليلى كان عنها بأبعد
وخبر الفتى القيسي قد سيق نحوه	وأمسى مقيماً بين أضلاع أزبد[1]
أقاموا جميعاً رهن أجواف أكلب	كذلك أمر الله في اليوم والغد

* * *

أحاديث شريفة في الغيرة

* ويروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: الغيرة من الإيمان، وأيما رجل أحسّ بشيء من الفجور في أهله فلم يغيره، إلا بعث الله إليه ملكاً يقول له غِرْ أربعين يوماً، فإن لم يفعل مسح بجانحه على عينيه، فإن رأى حسناً لم يدره، وإن رأى قبيحاً لم ينكره

وعنه ﷺ أنه قال: كتب الجهاد على رجال أمتي، والغيرة على نسائها، فمن صبرت منهن واحتسبت أعطاها الله أجر الشهيد.

* * *

حديث الأحوص وجلده

* قال الأحوص[2] يتشبّب بأمّ جعفر الحطمية: «من الطويل»

---

(١) خُبْر: علم، وأضلاع أزبد: أي أضلاع الكلاب الثائرة.

(٢) هو الأحوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت الأنصاري، وكان يُرمى بالعيب والزّنا، وشكي إلى عمر بن عبد العزيز فنفاه من المدينة إلى قرية نائية في اليمن، وهو شاعر غزل «الشعر والشعراء».

أدور، فلولا أن أرى أمّ جعفرٍ   بأبياتكم، ما درت حيث أدورُ
وما كنت دوّاراً ولكنّ ذا الهوى،   إذا لم يزر لا بدّ أنْ سيزورُ
لقد منعت معروفها أمُّ جعفرٍ،   وإنّي إلى معروفها لفقير

فاستعدى أيمن، أخوها، عليه عامل المدينة وكان أيمن جسيماً ضخماً وكان الأحوص نحيفاً، فدفع إلى كل واحد منهن سوطاً وقال لخالد: اضرب الأحوص.

فقال بعض الشعراء: «من الطويل»

لقد منع المعروف من أمّ جعفرٍ   أخو ثقةٍ عند الحفاظ صبورُ[1]
علاك بمتن السوط حتى لقيته   بأصغر من ماء الصّفاق يفور[2]

قال الأحوص بعد ذلك: «من الطويل»

إذا أنا لم أغفر لأيمن ذنبَهُ   فمن ذا الذي يعفو له ذنبه بعدي
يسيءُ فأعفو ذنبه، فتردّني   أيادٍ يدانيها مباركةً عندي

* * *

حديث الحنفي وزوجته

* تزوج عبد الله بن يزيد الحنفي امرأة حسناء، وكان رجلاً ثقيلاً جسيماً ظريفاً، فأحبّها حباً شديداً، وكان من أشد الناس غيرة. فدعاه حبه لها، وشدة غيرته عليها، أن خرج بها إلى بعض البوادي فابتنى لها قصراً وسكن به وأقام معها مدة. وخرج عمر بن سعيد العبدي يريد سفراً له، فأخذته السماء في بعض الطريق فنظر، فإذا هو بقصر عظيم، فعدل إليه، وقرع بابه، فخرج إليه عبد الله بن يزيد فعرفه، فسلم عليه وأنزله، وهيأ له طعاماً ثم دعا بشراب من خمر عتيق. فبينما هما يشربان إذ تطلعت المرأة فرأت ابن سعيد وكان غلاماً شاباً، وسكر زوجها سكراً شديداً فخرجت المرأة إلى عمرو بن سعيد فحدثته وآنسته ودعته إلى نفسها فأبى، وقال:

---

(١) الحفاظ: الحميّة والنخوة.

(٢) ماء الصّفاق: الماء الذي يصبّ في القربة الجديدة فيحرّك فيها فيصفّر.

ما كنت بالذي أفعل برجل أتاني منزله. ولم يزل يدافعها[1] حتى أفاق عبد الله بن يزيد من سكره، فأنشأ عمر يقول: «من الخفيف»

رُبَّ بيضاء خصرها يتثنّى قد دعتني لوصلها فأبيتُ[2]
لم يكن شأني العفافُ ولكن كنت ندمان زوجها فاستحيت

فعلم عبد الله بن يزيد ما أراد، فلما انصرف عمرو بن سعيد عمد عبد الله إلى المرأة فجعل في عنقها حبلاً وعلقها به إلى السقف، فاضطربت حتى ماتت. وعلم أن النساء لا حفظ لهن، وآلى على نفسه أن لا يتزوج امرأة أبداً. وترك قصره وعاد إلى منزله.

* * *

حديث الهاشمي وابنة عمه

* وقال الفضيل بن الهاشمي: كنت مع ابنة عمي نائماً على سرير إذ ظهرت إلي بعض جواري، فنزلت، فقضيت حاجتي، ثم انصرفت. فبينما أنا راجع، إذ لدغتني عقرب فصبرت حتى عدت إلى موضعي من السرير، فغلبني الوجع، فصحت، فقالت لي ابنة عمي: ما لك؟ قلت لها: لدغتني عقرب. قالت: وعلى السرير عقرب؟ قلت: نزلت لأبول فأصابتني، ففطنت، فلما أصبحت جمعت خدمها واستحلفتهن أن لا يقتلن عقرباً في دارها إلى سنة. ثم قالت: «من المتقارب»

إذا عُصي الله في دارنا فإنّ عقاربنا تغضبُ
ودارٍ إذا نام حرّاسها أقام الحدود بها العقرب[3]

* * *

(١) يدافعها: يمتنع عنها.
(٢) يتثنّى: يتحرّك ويميل.
(٣) الحدود: جمع حدّ وهو في الشريعة الإسلامية العقاب.

من حكايات عمر بن أبي ربيعة في الطواف

* قالوا: وبينا ابن أبي ربيعة[1] في الطواف، إذ رأى جارية من أهل البصرة[2]، فأعجبته، فدنا منها، فكلمها، فلم تلتفت إليه. فلما كان في الليلة الثانية عاودها، فقالت له: إليك عني أيها الرجل فإنك في موضع عظيم الحرمة! وألح عليها وشغلها عن الطواف، فأتت زوجها، فقالت له: تعال معي فأرني المناسك. فأقبلت وهو معها وغمر جالس على طريقها فلما رأى الرجل معها عدل عنها فقالت: «من البسيط»

تعدو الذئاب على من لا كلاب له   وتتقي مربض المستأسد الحامي

فحدث المنصور هذا الحديث، فقال: وددت أنه لم تبق فتاة من قريش في خدرها[3] إلا سمعت الحديث.

* * *

غيرة عائشة

* عروة بن الزبير، عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: ما غرت على امرأة لرسول الله ﷺ ما غرت على خديجة. ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين، لما أسمع من كثرة ذكره إياها. وكان يذبح الشاة فيفرقها على صدائق[4] خديجة. قال: ودخل رسول الله ﷺ على خديجة وهي في مرضها الذي توفيت فيه فقال لها: بالكره مني يا خديجة ما أرى منك، وقد يجعل الله في الكره خيراً كثيراً. أما علمت أن الله زوَّجني معك في الجنة مريم ابنة عمران، وكلثم أخت موسى، وآسية امرأة فرعون؟ قالت: وقد فعل الله ذلك برسوله؟ قال: نعم. قالت: فبالرفاه والبنين.

* * *

---

(١) ابن أبي ربيعة: أي عمر بن أبي ربيعة الشاعر الغزلي المعروف.

(٢) البصرة مدينة في العراق ومرفأ على شطّ العرب.

(٣) الخدر: الستر.

(٤) صدائق: أصحابها من النّساء.

بـاب
مـا ذكر من وفـاء النساء

وفاء المرأة السلميّة

* حكى الأصمعي، عن رجل من بني ضبة[١] قال: ضلّت لي إبل فخرجت في طلبها حتى أتيت بلاد بني سليم[٢]، فلما كنت في بعض أحومها[٣]، إذا جارية غشى بصري إشراق وجهها، فقالت: ما بغيتك فإني أراك مولها؟ قلت: إبل ضلت لي، فأنا في طلبها. قالت: فتحب أن أرشدك إلى من هي عنده؟ قلت: نعم. قالت: الذي أعطاكهن هو الذي أخذهن فإن شاء ردهن، فأسأله من طريق اليقين لا من طريق الاختيار. فأعجبني ما رأيت من جمالها وحسن منطقها، فقلت لها: هل لك من بعل؟ قالت: كان والله فدعى فأجاب إلى ما منه خُلِق، ونعم البعل كان. قلت لها: فهل لك في بعل لا تذم خلائقه، ولا تخشى بوائقه[٤]؟ فأطرقت ساعة ثم رفعت رأسها وعيناها تذرفان دموعاً فأنشأت تقول: «من البسيط»

كُنّا كغُصنين من بَانٍ غذاؤُهما ماءُ الجداولِ في رَوْضَاتِ جَنَّاتِ[٥]

---

(١) بنو ضبة، قبيلة عربية وهي فرعٌ من بني معدّ، جدّها معاوية بن كلاب، وسمّي ضباب لأن أولاده كانت أسماؤهم: ضباب وضبٌ ومضب، وكان مسكنهم حمى ضارية في نجد.

(٢) بنو سليم: قبيلة عربية.

(٣) الأحوم: جمع حوم، وهو القطيع من الإبل.

(٤) البوائق: جمع بائقة وهي الشرّ والداهية.

(٥) الباان: شجرٌ معتدل القوام ليّن، يؤخذ من حبّة دهنٌ طيّب.

فاجتثّ صاحبَها من جنبِ صاحبِه دهرٌ يَكِرُّ بِفَرْحَاتٍ وتَرْحَاتِ[1]
وكان عَاهَدني إن خانَني زمنٌ أن لا يُضاجِع أُنثى بعد مَوْتات
وكنتُ عَاهَدته أيضاً، فعاجَلَه ريبُ المنونِ قريباً مُذْ سُنَيْنَاتِ
فاصْرِف عتابَك عمَّن ليس يصرفه عن الوفاءِ له خُلْب التحيات[2]

* * *

حديث الأصمعي والرشيد والجارية

* قال الأصمعي: قال لي الرشيد: امض إلى بادية البصرة فخذ من تحف كلامهم وطرف حديثهم. فانحدرت، فنزلت على صديق لي بالبصرة، ثم بكرت أنا وهو إلى المقابر، فلما صرت إليها إذا بجارية نادى إلينا ريح عطرها قبل الدنو منها، عليها ثياب مصبغات وحلى، وهي تبكي أحر بكاء. فقلت: يا جارية ما شأنك؟ فأنشأت تقول: «من الطويل»

فإنْ تسألاني فِيمَ حُزْني؟ فإنني رهينةُ هذا القبرِ يا فتيان[3]
أهابُك إجلالاً، وإن كنتَ في الثرى، مخافة يوم إن يَسُؤْكَ مكاني
وإنّي لأسْتَحْييك، والتربُ بيننا، كما كنتُ استحييك حين تراني

فقلنا لها: ما رأينا أكثر من التفاوت[4] بين زيّك وحزنك فأخبري بشأنك؟ فأنشأت تقول: «من البسيط»

يا صاحبَ القبرِ، يا مَنْ كان يُؤنسُني حيّاً، ويُكثر في الدنيا مُواساتي
أزور قبرَك في حِلْيٍ وفي حِلَلٍ، كأنّني لستُ من أهلِ المُصيباتِ
فمَن رآني، رأى عَبْرَى مفجعةً مشهورَة الزِّي تَبْكي بين أمواتِ

فقلنا لها: وما الرجل منك؟ قالت: بَعْلي، وكان يحب أن يراني في مثل هذا

---

(١) اجتثّ: اقتطع واقتلع، ويكرّ: يتعاقب نزوله، والترحات: الأحزان.
(٢) الخلب: الخداع، أو ما يجعل الإنسان يميل بالعواطف أو الاسماع.
(٣) الرهينة: الحبيسة.
(٤) التفاوت: الفروق.

الزيّ، فآليت على نفسي أن لا أغشى[1] قبره إلا في مثل هذا الزي لأنه كان يحبه أيام حياته، وأنكرتماه أنتما علي.

قال الأصمعي: فسألتها عن خبرها ومنزلها. وأتيت الرشيد فحدثته بما سمعت ورأيت، حتى حدثته حديث الجارية. فقال: لا بد أن ترجع حتى تخطبها إلي من وليّها، وتحملها إلي، ولا يكون من ذلك بد. ووجّه معي خادماً ومالاً كثيراً. فرجعت إلى قومها فأخبرتهم الخبر، فأجابوا وزوجوها من أمير المؤمنين وحملوها معنا وهي لا تعلم. فلما صرنا إلى المدائن[2] نما إليها الخبر، فشهقت شهقة فماتت، فدفناها هنالك. وسرت إلى الرشيد فأخبرته الخبر، فما ذكرها وقتاً من الأوقات إلا بكى أسفاً عليها.

* * *

حديث المرأة التي مات عنها بعلها

* توفي رجل وبقيت امرأته شابة جميلة، فما زال بها النساء حتى تزوجت. فلما كانت ليلة زفافها رأت في المنام زوجها الأول آخذاً بعارضتي الباب وقد فتح يديه وهو يقول: «من البسيط»

حَيَّيْتُ ساكن هذا البيت كلَّهُمُ ... إلاَّ الرباب فإنّي لا أُحييها
أمست عروساً وأمسى مسكني جدثٌ ... بين القبورِ وإني لا أُلاقيها
واستبدلت بَدَلاً غيري، فقد علمتْ ... أنّ القبورَ تُواري مَنْ ثَوَى فيها
قد كنتُ أَحْسَبُها للعهدِ راغبةً ... حتى تموتَ وما جفت مآقيها

ففزعت من نومها فزعاً شديداً، وأصبحت فاركاً ــ أي مبغضة للأزواج ــ وآلت أن لا يصل إليها رجل بعده أبداً.

* * *

---

(١) أغشى: أزور وألمُّ.

(٢) المدائن: اسمٌ أطلق على مدينة أو مجموعة من المدن في العراق على بعد ٣٠ كلم جنوبي بغداد، على شطّ دجلة، فتحها سعيد بن أبي وقّاص سنة ٦٤٧ م.

نائلة الكلبي وموت عثمان

* ولما قتل عثمان، رضي الله عنه، وقفت يوماً على قبره نائلة بنت[1] الفراصة الكلبي، فترحمت عليه ثم انصرفت إلى منزلها، ثم قالت: إني رأيت الحزن يبلى كما يبلى الثوب، وقد خفت أن يبلى حزن عثمان في قلبي. فدعت بفهر[2] فهتفت[3] فاها، وقالت: والله لا يقعد رجل مني مقعد عثمان أبداً. وخطبها معاوية فبعثت إليه أسنانها، وقالت: أذات عروس ترى؟ وقالوا: لم يكن في النساء أحسن منها مضحكاً.

* * *

حديث الرجل العذري وزوجته

* وعن أبي حمزة الكناني قال: كنت في حرس خالد بن عبد الله القسري[3]، فقال خالد: من يحدثني بحديث عسى يستريح إليه قلبي؟ فقلت: أنا. فقال: هات. فقلت: إنه بلغني أنه كان فتى من بني عذرة، وكانت له امرأة منهم، وكان شديد الحب لها، وكانت له مثل ذلك، فبينا هو ذات يوم ينظر وجهها إذ بكى، فنظرت إلى وجهه وبكت، فقالت له: ما الذي أبكاك؟ قال: والله، أتصدقيني إن صدقتك، قالت: نعم. قال لها: ذكرت حسنك وجمالك وشدة حبي، فقلت أموت فتتزوج زوجاً غيري. فقالت: والله والله، أن ذاك الذي أبكاك؟ قال: نعم. قالت: وأنا ذكرت حسنك وجمالك وشدة حبي لك فقلت أموت فيتزوج امرأة غيري. قال الرجل: فإنّ النساء حرام علي بعدك. فلبثا ما شاء الله. ثم إن الرجل توفي فجزعت عليه جزعاً شديداً فخاف أهلها على عقلها أن يذهل[4]، فأجمع رأيهم على أن يزوجوها، وهي كارهة، لعلها تتسلى عنه. فلما كان في الليلة التي

(٣) هو خالد بن عبد الله بن يزيد القسري، أبو الهيثم. أمير العرافين وأحد خطباء العرب وأجوادهم، يماني الأصل، قتل في أيام الوليد بن عبد الملك سنة ١٢٦ هـ وكان يرمى بالزندقة.

(٤) يذهل: يفسد ويذهب.

تُهدى فيها إلى بيت زوجها، وقد نام أهل البيت، والماشطة[1] تهيء من شعرها، إذ نامت نومة يسيرة فرأت زوجها الأول داخلاً عليها من الباب وهو يقول: خنت يا فلانة عهدي، والله لا هنيت العيش بعدي، فانتبهت مرعوبة، وخرجت هاربة على وجهها، وطلبها أهلها فلم يقعوا لها على خبر.

* * *

الحنين القاتل

* قال إسحق: خرجت امرأة من قريش من بني زهرة[2] إلى المدينة تقضي حقاً لبعض القرشيين. وكانت ظريفة جميلة، فرآها من بني أمية رجل فأعجبته، وتأملها فأخذت بقلبه، وسأل عنها فقيل له: هذه حميدة بنت عمر بن عبد الله بن حمزة. ووصفت له بما زاد فيها كلفه[3]، فخطبها إلى أهلها فزوجوه إيّاها على كره منها، وأهديت إليه فرأت من كرمه وأدبه وحسن عشرته ما وجدت به، فلم تقم عنده إلا قليلاً حتى أخرج أهل المدينة بني أمية إلى الشام، فنزل بها أمر ما ابتليت بمثله، فاشتد بكاؤها الى زوجها وبكاؤه عليها، وخيّرت بين أن تجمع معه مفارقة الأهل والولد والأقارب والوطن أو تتخلف عنه مع ما تجد به، فلم تجد شيئاً أخف عندها من الخروج معه مختارة له على الدنيا وما فيها. فلما صارت بالشام صارت تبكي ليلها ونهارها ولا تتهنّأ[4] طعاماً ولا شراباً شوقاً إلى أهلها ووطنها، فخرجت يوماً بدمشق مع نسوة تقضي حقاً لبعض القرشيين فمرت بفتى جالس على باب منزله، وهو يتمثل بهذه الأبيات: «من الطويل»

ألا ليت شعري، هل تغيّر بعدنا صحون المصلى، أم كعهدي القرائن[5]؟

---

(١) الماشطة: المزيّنة.

(٢) بنو زهرة: قبيلة قرشية.

(٣) الكلف: العشق والهيام.

(٤) تتهنّأ: تستسيغ وتستمرئ.

(٥) صحون المصلى: الصحن ساحة الدار والمسجد.

وهـل أدورٌ حـول الـبـلاد عـوامـرٌ[1] من الحيّ، أم هـل بالمـدينـة سـاكن؟

إذا لمعت نحـو الحجـاز سحـابـةٌ، دعـا الشـوق منّي بـرقهـا المتيـامن[2]

ومـا أشخصتنا رغبـةٌ عن بـلادنـا، ولـكـنّـه مـا قـدَّر الله كـائـنُ[3]

فلما سمعت المرأة ذكر بلدها وعرفت المواضـع، تنفست نفسـاً صدع فؤادهـا فـوقعت ميتة. فحملت إلى أهلهـا وجاء زوجهـا، وقد عـرف الخبر، فـانكب عليهـا فوقـع عنها ميتاً. فغسلا جميعاً وكفنا ودفنا في قبر واحد.

* * *

عبد الملك بن مروان وزوجة عبد الله بن الزبير

* وكـانت خـولـة بنت منظور بن زيـاد الفـزاري عنـد الحسن بن علي بن أبـي طـالب، رضي الله عنهم، وكانت أختهـا عند عبـد الله بن الزبيـر، وهي أحسن الناس ثغـراً، وأتمّهم جمالاً. فلما رأى ذلك عبـد الملك بن مروان قتـل عبد الله بن الزبير زوجها، ثم خطبها، فكرهت أن تتزوجه وهـو قاتـل زوجها، فـأخذت فهـراً[4] وكسرت به أسنانها. وجاءها رسول عبد الملك فخطبها، فأذنت له ليراها، فأدى إليها رسالته ورأى ما بها، فقالت: ما لي عن أمير المؤمنين رغبة، ولكني كمـا ترى، فـإن أحبني فأنا بين يديه. فأتاه الرسول فأعلمه بذلك، فقال: أنا، والله، إنما أردتها على حسن ثغرها الذي بلغني، وأما الآن فلا حاجة لي فيها.

* * *

وفاء بني عوف الشيبانيين

* وممن يُضـرب به المثـل في الوفـاء جماعـة بنت عوف بن محلم الشيبـاني وذلـك أن عمرو بن عبـد الملك طلب مـروان القـرط وهـو مـروان بن زنبـاع العبسي

---

(١) أدورٌ: جمع دار، والبلاط: اسم موضع في المدينة. بين المسجد والسوق مبلّط.

(٢) المتيامن: السائرة يمنة.

(٣) أشخصتنا: أبعدتنا.

(٤) الفهر: الحجر أو ما يسحق به الطيب.

فخرج هارباً حتى هجم على أبيات بني شيبان[1]، فنظر إلى أعظمها بيتاً ببصره فإذا هو بيت جماعة بنت عوف فألقى نفسه بين يديها فاستجارها، فأجارته. ولحقته خيل عمرو فبعثت إلى أبيها فعرّفته أنها أجارته فمنعهم عوف عنه وانصرف أصحاب عمرو. فأرسل عمرو إلى عوف قد آليت ألا أقطع طلبي إلا أن تضع يده في يدي. فقال عوف: والله ما يكون ذلك أبداً لكن يدي بين يديك ويده. قال: فرضي عمرو بذلك. فوضع مروان يده في يد عوف ووضع عوف يده في يد عمرو. فقال عمرو: لا حُرَّ بوادي عوف. فذهبت مثلاً.

* * *

حديث المرأة اليشكريّة

* العتبي قال: كان خالد بن عبد الله القسري ذات ليلة مع فقهاء من أهل الكوفة[٥] فقال بعضهم: حدثونا حديثاً لبعض العشاق. قال أحدهم: أصلح الله الأمير، ذكر هشام بن عبد الملك غدر النساء وسرعة رجوعهن. فقال له بعض جلسائه: أنا أحدثك، يا أمير المؤمنين: بلغني عن امرأة من يشكر[2] يقال لها أم عقبة بنت عمرو بن الأعران، وإنها كانت عند ابن عم لها يقال له غسان، وكان شديد المحبة لها، والوجد بها، وكانت له كذلك. فأقام بها على هذا الحال ما شاء الله، لا يزيد كل واحد منهما بصاحبه إلا اعتباطاً[3]. فلما حضرت غسان الوفاة قال لها: يا أم عقبة اسمعي ما أقول، وأجيبي عن نفسك بحق. فقالت له: والله لا أجيبك بكذب، ولا أجعله آخر حظك معي. فقال: إني رجوت أن تحفظي العهد، وأن تكوني لي إن مت عند الرجاء. أنا والله واثق بك، غير أني بسوء الظن أخاف غدر النساء. ثم اعتقل لسانه فلم ينطق حتى مات. فلم تمكث معه إلا قليلاً حتى خطبت من كل مكان، ورغب فيها الأزواج لاجتماع الخصال الفاضلة فيها من

---

(١) بنو شيبان قبيلة عربية تحدّر منها عددٌ من الأمراء الشجعان.

(٢) يشكر: قبيلة أوحي بالسّراة.

(٣) اغتباطاً: سعادة.

العقل والجمال والمال والعفاف والحسب. فقالت مجيبةً له: «من الطويل»

سأحفظ غُسَاناً، على بعد داره، وأرعاهُ حتى نلتقي يومَ نُحْشَرُ
وإنّي لفي شُغْلٍ عن الناس كلِّهمْ، فكُفُّوا، فما مثلي من الناس يَغْدُرُ
سأبكي عليه، ما حَيِيْتُ، بدمعةٍ تحولُ على الخدين مني فَتَكْثُرُ

فيئس الناس منها حيناً. فلما طالت بها الأيام نسيت عهده، وقالت: من قد مات فقد فات. وأجابت بعض خطابها فتزوجها المقدام بن حابس، وقد كان بها معجباً. فلما كانت الليلة التي أراد بها الدخول، أتاها في منامها زوجها الأول فقال لها: «من الطويل»

غدرتِ، ولم تَرْعَيْ لبعلِك حرمةً، ولم تعرفي حَقاً، ولم ترعي لي عهدا
غدرتِ به لمّا ثوى في ضَرِيحه، كذلك يُنسَى كل من سَكَن اللحدا

فانتبهت مرتاعة مستحيية منه كأنّه يراها أو تراه كأنه في جانب البيت. فأنكر حالها من حضرها، وقلن لها: ما لك؟ وما بالك؟ قالت: ما ترك لي غسان في الحياة إربا[1]، أتاني الساعة فأنشدني هذه الأبيات. ثم أنشدتها بدمع غزير، وانتحاب شديد من قلب جريح موجع. فلما سمعن ذلك منها أخذن بها في حديث آخر فتنسى ما هي فيه، فتغفلتهن ثم قامت كأنها تقضي حاجة فأبطأت عليهن، فقمن في طلبها، فوجدنها قد جعلت السوط في حلقها وربطتها إلى عمود البيت وجبذت[2] نفسها حتى ماتت. فلما بلغ ذلك زوجها المقدام، حسن عزاؤه عنها، وقال: هكذا فليكن النساء في الوفاء، قلَّ من يحفظ ميتاً، إنما هي أيام قلائل حتى يُنسى وعنه يُتسلى.

* * *

وفاء جميل بن معمر

* استعدى آل بثينة مروان بن الحكم على جميل بن معمر، فهرب حتى أتى

---

(١) الإرب: الغاية والمنى.
(٢) جبذت: شدّت، لغة في جذب.

رجلاً شريفاً من بني عذرة في أقصى بلادهم وله بنات سبع كأنهن البدور جمالاً. فقال الشيخ لبناته: تحلّين بأجود حليكن، والبسن فاخر ثيابكن، ثم تعرضن لجميل. فمن اختار منكن زوجته إياها. ففعلن ذلك مراراً وجعلن يعارضنه[1]، فلم يلتفت إليهن. وأنشأ يقول: «من الطويل»

حلفت لكي تَعْلَمْنَ أنّي صادقٌ، وللصديق خيرٌ في الأمور وأنجحُ
لَتكليمُ يومٍ من بثينة واحدٍ ورؤيتها عندي، ألذّ وأملح
من الدهر أن أخلو بكنّ فإنّما، أُعالج قلباً طامحاً حيث يطمح

قال أبوهن: دعن هذا، فوالله لا أفلح أبداً.

* * *

خطبة النبيّ ﷺ لأم هاني

* كانت أم هاني بنت أبي طالب[2] تحت زوجها هبيرة بن أبي ليث المخزومي، فهرب يوم فتح مكة إلى اليمن فمات كافراً. فخطب رسول الله ﷺ أم هانيءٍ فقالت: والله لقد كنت أحبك في الجاهلية فكيف في الإسلام؟ ولكنني امرأة مصيبة[3]، وأكره أن يؤذوك. فقال النبي ﷺ: نساء قريش خير نساء ركبن المطايا، أحناهن على ولد صغير، وأرغاهن[4]، على زوج ذي يد.

* * *

الوفاء القاتل

* أبو بكر الأنباري[5]، عن أبي اليسر قال: دخلت منزل نخاس[6] لشراء

---

(١) يعارضنه: يتحرّشن به.
(٢) هي هند بنت أبي طالب.
(٣) مصيبة: أي فيها شرّ.
(٤) أرغاهن؛ من رغى رغاء: أي صوّت وضج، والمعنى: أشفقهن على الرجل الذي به عُسر.
(٥) هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشّار، من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة، ومن أكثر الناس حفظاً للشعر والأخبار ولد في الأنبار على نهر الفرات، وتوفي ببغداد سنة ٣٢٨ هـ.
(٦) النخّاس: تاجر الجواري والعبيد.

جارية، فسمعت في بيت بإزاء البيت جارية تقول: «من الطويل»

وكنّا كزوج من قطا في مفازةٍ لدى خفض عيشٍ معجبٍ مونقٍ رغدِ[1]
أصابهما ريب الزمان فأفردا ولم أر شيئاً قط أوحش من فرد

فقلت للنخاس: أعرض عليّ هذه المنشدة. فقال: إنها حزينة. قلت: ولم ذلك؟ قال: اشتريتها من ميراث، فهي باكية على مولاها. ثم لم ألبث أن أنشدت: «من الطويل»

وكنّا كغصني بانةٍ وسط دوحةٍ نشمُّ جنا الجنات في عيشةٍ رغد[2]
فأُفرد هذا الغصن من ذاك قاطعٌ فيا فردةً باتتْ تحنُّ إلى فرد

قال أبو السمراء: فكتبت إلى عبد الله بن طاهر[3] بخبرها. فكتب إلي: أن الق عليها هذا البيت، فإن أجازته فاشترها ولو كانت بخراج خراسان. والبيت: «من مخلّع البسيط»

قريب صدٍّ، بعيدُ وصلٍ، جعلت منه لي ملاذا[4]

(فقالت مسرعة):

فعاتبوه، فزاد شوقاً، فمات عشقاً، فكان ماذا

قال أبو السمراء: فاشتريتها بألف دينار وحملتها إليه. فماتت في الطريق، فكانت إحدى الحسرات.

* * *

---

(١) القطا: طائر أغبر يشبه الحمام، يقيم في الصحراء، والمفازة: الأرض الصحراوية النائية، وخفض العيش: سعته.

(٢) البانة: شجرة لينة الأغصان، يستخرج من حبّها الطيب.

(٣) عبد الله بن طاهر، قائد وسياسي في أيّام العباسيين «تقدّم ذكره».

(٤) الصدّ: الإعراض، والوصل: اللقاء، والملاذ: الحمى والعون.

وفاء امرأة

* قال الأصمعي: خرج سليمان بن عبد الملك ومعه سليمان بن المهلب بن أبي صفرة من دمشق متنزهين، فمرّا بالجبّانة، وإذا امرأة جالسة على قبر تبكي، فهبّت الريح، فرفعت البرقع عن وجهها، فكأنها غمامة جَلَت شمساً، فوقفنا متعجبين ننظر إليها، فقال لها ابن المهلب: يا أَمَةَ الله، هل لك في أمير المؤمنين بعلاً؟ فنظرت إليهما، ثم نظرت إلى القبر، وقالت: «من الطويل»

فإن تسألاني عن هوايَ، فإنه ... بملحود هذا القبر، يا فتيانِ
وإني لأستحييه والترب بيننا، ... كما كنت أستحييه وهو يراني

فانصرفنا ونحن متعجبون.

* * *

من أخرسها الوفاء

* قال الأصمعي: رأيت بالبادية إعرابية لا تتكلم، فقلت: أخرساء هي؟ فقيل لي: لا، ولكنها كان زوجها معجباً بنغمتها فتوفي، فآلت أن لا تتكلم بعده أبداً.

* * *

من عجائب الصُّدف

* قال الفرزدق: أبقَ[1] لرجل من بني نهشل[2]، يقال له حصن، غلام. فخرجت في طلبه أريد اليمامة[3]. فلما صرت في ماء لبني حنيفة[4] ارتفعت لي سحابة، فرعدت وبرقت وأرخت عزاليها[5]، فَعَدَلْتُ إلى بعض ديارهم وسألت

(١) أبق: هرب.
(٢) بنو نهشل: قومٌ من آل الفرزدق.
(٣) اليمامة: بلاد في أواسط الجزيرة العربية.
(٤) بنو حنيفة: قبيلة عربية من بني بكر بن وائل.
(٥) أرخت عزاليها: أي أخذت تمطر بشدّه، والغزلاء: فتحة القربة من أسفل حيث ينصبُّ منها الماء.

القرا[1]. فأجابوا، ودخلت الدار، وانخت ناقتي، وجلست. فإذا جارية كأنها طلعة قمر، فقالت: ممّن الرجل؟ قلت: من بني حنظلة[2]. قالت: من أي حنظلة؟ قلت: من بني نهشل. قالت: فأنت من الذين يقول فيهم الفرزدق: «من الكامل»

إنّ الذي سمك السماء بنى لنا ... بيتاً دعائمه أعزُّ وأطولُ
بيتاً زرارُه محتبٍ لِفِنائِه ... ومجاشعٌ وأبو الفوارسُ نَهْشَلُ[3]

فقلت: نعم. فتبسمت، ثم قالت: فإن جريراً هدم قوله، حيث يقول:

أخزى الذي سمك السماء مجاشعاً ... وأحل بيتك بالحضيض الأسفلِ[4]

قال: فأعجبني ما رأيت من جمالها وفصاحتها، ثم قالت لي: أين تؤمّ[5]؟ قلت: اليمامة. فتنفست نفساً وصل إليّ حرُّه، فقلت: أذات خِدْر[6]، أم ذات بعل؟ فبكت. فقلت: ما أجبتني عما سألتك. قال: فلما فهمت قولي ولم تكن أولاً فهمته من شدة استغراقها، فلما كان بعد ساعة أنشأت تقول: «من الوافر»

يُخيَّل لي، أبا عمرو بن كعبٍ، ... بأنك قد حُملت على سرير
فإن يك هكذا، يا عمرو، إني ... مُبكرةٌ عليك إلى القبور

ثم شهقت شهقة فماتت. فقلت لهم: من هذه؟ قالوا: عقيلة بنت الضحاك بن النعمان بن المنذر. قلت: فمن عمرو؟ قالوا: ابن عمها، خطبها ولم يدخل بها. فارتحلتُ من عندهم فدخلت اليمامة، فسألت عن عمرو فإذا به قد دفن في ذلك الوقت من ذلك اليوم.

* * *

---

(١) القرا: الضيافة.

(٢) بنو حنظلة: قبيلة من معدّ كان لها شأن في أيام العرب.

(٣) محتبٍ بفنائه: مشتملٍ بثوبه، والفناء: ساحة الدار.

(٤) سمك السّماء: بناها وأعلاها، والحضيض: الدّرك الأسفل.

(٥) تؤم: تقصد.

(٦) ذات خدر: أي أنها ما زالت غرباء، والخدر: الستر.

الرأي الفصل

* يُروى عن سماك بن حرب: أن زيد بن حارثة[1] قال: يا رسول الله، انطلق بنا إلى فلانة نخطبها عليك أو عليّ إن لم تعجبك. فأتيناها فذكر لها زيد رسول الله ﷺ فقالت له: يا رسول الله، إني عاهدت زوجي ألاّ أتزوج بعده أبداً، وأعطاني مثل ذلك. فقال لها رسول الله ﷺ: إن كان ذلك في الإسلام فَفِي له، وإن كان ذلك في الجاهلية فليس بشيء.

* قال الأصمعي: خرجت إلى مقابر البصرة، فإذا أنا بامرأة على قبر، من أجمل النساء، وهي تندب صاحبه وتقول: «من مخلّع البسيط»

هل أخبر القبر سائليهِ ... أم قرَّ عيناً بزائريهِ
أم هل تراه أحاط علماً ... بالجسد المستكنِّ فيه[2]
يا جبلاً كان ذا امتناع ... وطود عزٍّ أعدّ لآمليه
يا نخلةً طلعها نضيدٌ ... يقرب من كفِّ مجتنيهِ[3]
يا موت ماذا أردت منّي ... حقّقت ما كنت أتّقيهِ
دهرٌ رماني بفقد إلفي ... أذمُّ دهري وأشتكيه
أمّنك الله كلَّ خوفٍ ... وكلَّ ما كنت تتّقيه
أسْكنك الله في جنانٍ ... تكون أمناً لساكنيه

قال: فقلت لها: يا أمة الله، ما هذا منك؟ قالت: لو علمت مكانك ما أنشدت حرفاً، هذا زوجي وسروري وأنسي، والله لا زلت هكذا أبداً أو ألحق به. قلت لها: أعيدي عليّ الشعر. فقالت: هذا من ذاك. فقلت: خذي إليك. وأنشدتها الأبيات، فقالت: فإن يكن في الدنيا الأصمعي فأنت هو.

* * *

(١) زيد بن حارثة، مولى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وهو من الأوائل الذين دخلوا الإسلام، وقد أعتقه الرسول، قتل في موقعة مؤتة.
(٢) المستكن فيه: المقيمُ فيه.
(٣) الطلع: ما يبدو من ثمرة النخل أول ظهورها، والنضيد: المرتّب والمنسّق.

حديث أشجع السلمي والجارية

* قال: كان لأشجع بن عمرو السلمي[1] جارية، يقال لها ريم، وكان يجد بها وجداً شديداً، وتجد به. وكانت تحلف له أنها إن بقيت بعده لم يحكم عليها رجل أبداً. فقال يخاطبها: «من الطويل»

إذا غمضت فوقي جفونُ حفيرةٍ[2] ... من الأرض فابكيني بما كنت أصنع

تعزّيك عنّي، بعد ذلك سلوةٌ، ... وإن ليس فيمن وارت الأرض مطمع

فأجابته ريم تقول: «من الطويل»

ذكرت فراقاً والفراق يصدّعُ[3]، ... وأيّ حياةٍ بعد موتك تنفعُ[1]

إذا الزمن الغدّار فرّق بيننا، ... فماليَ في طيبٍ من العيش مطمع

فلو أبصرت عيناك عينيَّ أبصرت، ... شآبيب جُذْرٍ غيثها ليس تقشع[4]

وقال فيها أيضاً: «من الطويل»

وليس لأخوان النساء تطاولٌ، ... ولكنَّ إخوان الرجال يطولُ

فلا تبخلي بالدمع عنّي فإنّ مَن، ... يضنُّ بدمعٍ، عن هوًى، لبخيلُ

فما لي إلى ردّ الشبيبة حيلةٌ، ... ولا لي إلى دفع المنون سبيلُ

وإن لداتي قد مضوا لسبيلهم، ... وإنّ بقائي بعدهم لقليلُ[5]

---

(١) هو أشجع بن عمرو السلّمي، أبو الوليد، من بني سُليم من قيس عيلان شاعرٌ فحل كان معاصراً بشّار، مدح البرامكة وقربّه الرّشيد أخباره كثيرة مات حوالي سنة ١٩٥هـ.

(٢) غمضت جفون حفيرة: أي إذا مات وألحد التراب.

(٣) يصدّع: يفرق ويشتّت.

(٤) الشآبيب: جمع شؤبوب، وهو الدفعة من المطر، والحدر: المنحدرة إلى أسفل، والغيث: المطر، شبّهت دموعها بزخّات المطر وليس تقشع: أي أن السّحابة تظل متواصلة في تدفقها الذي لا ينقطع، وانقشع السحاب: أي جلا وزال.

(٥) لداتي: واحدها لدة، وهي الأتراب، أو من هم في سنّ متقارب.

فأجابته ريم: «من الطويل»

بكى من صروفٍ خطبهنَّ جليلُ ... ومن ذا به عُمْرُ الحياة يطول؟
ومن ذا الذي ينعي على حدث الرّدى، ... وللموت في إثر النفوس رسول[1]
وكلُّ جليلٍ سوف يلقى حِمامه، ... وكلّ نعيم دائمٍ سيزول[2]
لي الويل، إنْ عمّرت بعدك ساعةً، ... وإنّ كثير الويل لي لقليل
وتزعم أنّي لا أجودُ بعبرةٍ، ... إذا نجمهُ قد حان منه أُفول
ومن ذا الذي أبكي لهُ، إن فقدته، ... سواك، ومن دمعي عليه يسيل
فلا وُقِّيتْ ريمٌ، إذاً، ما تخافه ... إذا ناب خطبٌ للزمان جليل[3]
ولا لقيت يوم القيامة ربّها ... وميزانها بالصالحات ثقيل
إذا ما سخا قلبُ امرىءٍ بمودّةٍ، ... فقلبي بودٍّ عن سواك بخيل

ولمّا مات أشجع، آلت على نفسها أن لا تأكل طعاماً، ولا تذوق شراباً.
فعاشت بعده أياماً، ثم توفيت، فدفنت إلى جانبه.

* * *

(١) حدث الرّدى: أي حدوثه، والرّدى الموت.
(٢) الجليل: الأمر العظيم، وهو من الأضداد يطلق على العظيم والهيّن.
(٣) وُقيت: كفّت وجُنّبت، وناب: حلّ، والخطب: المصاب.

باب
ما يُذكر من غدر النساء

آراء في النّساء

* قال عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: أستعيذوا بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهنّ على حذر.

قال عمرو[1] الملك: «من الخفيف»

إنّ من غرّه النساء بودٍّ ... بعد هندٍ لجاهلٌ مغرور

حلوة العين واللسان وفيها ... كلُّ شيءٍ يجنُّ فيه الضمير[2]

وقال طفيل الغنوي[3]: «من البسيط»

إنّ النساء لأشجارٌ تبين لنا ... منهنّ مرٌّ، وبعض المرّ مأكول

إنّ النساء متى يُنهين عن خلقٍ ... فإنه واقعٌ لا بدّ مفعول

وفي حديث مرفوع[4]: إن المرأة خلقت من ضلع عوجاء، فإن ذهبْتَ تقوّمها

---

(١) لعلّه عمرو بن هند بن مضرّط الحجارة الملك، وهند أمه وأبوه المنذر بن امرىء القيس بن النعمان اللخمي، وهند أمه هي عمّة امرىء القيس الشاعر، ولقّب مضرّط الحجارة لشدّته وقسوته قتله الشاعر عمرو بن كلثوم. «معجم الشعراء».

(٢) يجفُّ: يستتر، وهنا بمعنى يخفي ويحلم.

(٣) هو طفيل بن كعب الغنوي، أبو محمد، وكان من أوقف الناس للخيل، وكان يقال له في الجاهلية «المحبِّر» لحسن شعره «تقدّم ذكره».

(٤) المرفوع: هو الحديث الذي يُسلسل إسناده إلى النبي عليه الصلاة والسلام.

كسرتها، فاستمتع بها على عوجٍ فيها.

وكان أبو ذر الغفاري[1] يقعد على منبر رسول الله ﷺ فينشده: «من الطويل»

هي الضِّلع العوجاء لست تقيمها ... ألا إنَّ تقويم الضلوع انكسارها[2]

أيجمعن ضعفاً واقتداراً على الفتى، ... أليس عجيباً ضعفها واقتدارها؟

وفي الحديث: شاوروهنّ وخالفوهنّ، فإن في خلافهنّ البركة.

قال علقمة بن عبدة[3]: «من الطويل»

فإن تسألوني بالنساءِ فإنّني ... بصيرٌ بأدواء النساء طبيبُ[4]

إذا شاب رأس المرء أو قلّ ماله ... فليس له في ودِّهنَّ نصيبُ

وقال أبو عبيدة[5]: حجت امرأة عجير السلولي معه، فأقبلت لا تطرق على شاب في الرفقة إلا وتكشف وجهها، فقال في ذلك: «من الطويل»

أيا ربِّ، لا تغفرْ لعتمة ذنبها، ... وإنْ لم يعاقبها العجير، فعاقبِ

حرامٌ عليك الحجُّ لا تطعمينه ... إذا كان حجّ المسلمات التّوائبِ

---

(١) هو الصحابي الجليل أبو ذرّ الغفاري؛ قيل: إن اسمه جندب بن جنادة، وقيل: بريد بن جنادة، قال الرسول صلّى الله عليه وسلم: ما أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذرّ» مات بالرّبذة بعد أن نفاه الخليفة الثالث عثمان بن عفان إلى الشام «الكاشف للذهبي».

(٢) تقيمها: من التقويم وهو اعتدال الشيء بعد اعوجاجه.

(٣) هو علقمة بن عبدة ويقال له: علقمة الفحل، شاعر جاهليٌّ من بني تميم، وسُمّي بالفحل لأنه احتكم مع امرىء القيس إلى امرأته أمّ جندب، فحكمت لعلقمة على زوجها امرىء القيس فقال لها زوجها: ما هو بأشعر منّي ولكنّك له وامق، وقيل: إن تسميته بالفحل ليس لذلك، بل لأن هناك رجلاً في قومه يقال له علقمة الخصيّ، ففرّقوا بينهما بهذا الاسم «الشعرا والشعراء».

(٤) أدواء: جمع دواء، والطبيب: الخبير والحاكم.

(٥) هو معمّر بن المثنّى التيّمي بالولاء، النحوي البصري، من أئمة العلم بالأدب واللغة، مولده ووفاته في البصرة، قال الجاحظ: لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه، وكان

وقال أعرابي: «من الكامل»

لا تكثري قولاً: منحتك ودّنا، فقولك هذا للفؤاد مريبُ
تعدّين ما أوليتني منك قابلاً، وللفارس العجلان منك نصيب؟

* أراد رجل أن يشتري قينة[1] وقد كان أحبها، فبات عند مولاها ليلة فأمكنته من نفسها وكان الامتناع منه، فأنشأ يقول: «من الخفيف»

ما رأينا بواسطٍ كسليمى منظراً لو تُزينُه بعفاف[2]
بتُّ في جنبها وبات ضجيعي جُنُب القلب طاهر الأطراف[3]
فأقيمي مقامنا ثم بيني، لست عندي من فتية الأشراف

وقال آخر: «من الكامل»

لا أشتهي رَنْق الحياة ولا التي تخاف وتغشاها المعبّدة الجُرب[4]
ولكنّني أهوى مشاربَ أُحرزتْ عن الناس حتى ليس في صفوها عيب[5]

وقال أعرابي أيضاً: «من الطويل»

تبعتك لمّا كان قلبك واحداً، وأمسكت لمّا صرت نهباً مقسما[6]

= شعوبياً، ولمّا مات سنة ٢٠٩ هـ لم يحضر جنازته أحد لشدّة نقده معاصريه، له تصانيف عديدة يبلغ عددها المئتين «فهرس الأعلام».

(١) القينة: الجارية المغنّية.

(٢) واسط: مدينة في العراق، أنشأها الحجّاج بن يوسف بين البصرة والكوفة وقد توارت تحت الرمال بعد أن تحوّلت عنها مياه دجلة.

(٣) جُنُبُ القلب: أي أن قلبه كان يتمنّى النكاح، ولكنّه لم يجاريه على رغبته بالفعل.

(٤) رنق الحياة: كدرها، وتغشاها: تؤمّها، والمعبدة الجرب: النوق التي إذا جربت عبّدت بالقطران وتركت، وهنا يقصد أنه لا يريد الماء التي تريدها مثل تلك الإبل، والمعنى: أنه لا يريد النساء السواقط، ولكنّه يريد الأحرار منهنّ.

(٥) أحرزت: منعت وصينت.

(٦) نهباً: أي مالاً منهوباً كالمال الذي يغتنم، والمقسّم: الموزع، والمعنى أنه يريد التي تحافظ على حبّها لمن تحب.

ولن يلبث الحوض الوثيق بناؤه على كثرة الورّاد أن يتهدما[1]

وقال أبو نواس: «من الوافر»

ومظهرةٍ لخَلْقِ الله حباً، وتُلقي بالتحيّة والسلام
أتيت فؤادها أشكو إليه، فلم أخلُصْ إليه من الزّحام
فيا من ليس يكفيها خليلٌ، ولا أَلفا خليلٍ كلَّ عام
أراك بقيةً من قوم موسى، فهم لا يصبرون على طعام

* وكان رجل يحب امرأة فخطب في اليوم الذي ماتت فيه، فقيل له في ذلك، فقال: «من الطويل»

خطبت كما لو كنت قدّمت قبلها لكانت بلا شك لأوّل خاطب
إذا غاب بعلٌ كان بعلٌ مكانه فلا بدَّ من آتٍ وآخر ذاهب

* * *

كُنْ من خيارهنّ على حذر

* قال الزبير بن بكار: خطب الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب من عمه الحسين بن علي رضي الله عنهما فقال له: يا ابن أخي، قد انتظرت هذا منك فانطلق معي. فخرج معه حتى أدخله منزله ثم أخرج إليه ابنته فاطمة وسكينة، وقال له: اختر أيهما شئت! فاختار فاطمة، فزوّجه إياها. فلما حضرت الحسن الوفاة قال لها: إنك امرأة مرغوب فيك، متشوّف[2] إليك لا تتركين، وإني ما أدع من قلبي حسرة سواك. فتزوجي من شئت سوى عبد الله بن عمر بن عثمان. ثم قال لها: كأني قد خرجت وقدمت وقد جاءك لابساً حلته، مرجّلاً جمّته[3]، يسير في جانب الناس معترضاً لك، ولست أدع من الدنيا هما غيرك. فلم يدعها حتى استوثق منها

---

(١) الورّاد: الذين يردون لكي يستقوا منه.
(٢) متشوّف إليك: أي مرغوبٌ فيك، والتشوّف: التزيّن.
(٣) مرجّلاً جمّته: أي مسرحاً شعر رأسه.

بالأيمان. ومات الحسن، فأخرجت جنازته، فوافاه عبد الله بن عمر وكان يجد بفاطمة وجداً شديداً، وكان رجلاً جميلاً كان يقال له المطرّف من حسنه، فنظر إلى فاطمة وهي تلطم وجهها على الحسن، فأرسل إليها مع وليدةٍ له: إن لابن عمك أرباً في وجهك فارفقي به. فاسترخت يدها واحمر وجهها حتى عرف ذلك جميع من حضرها. فلما انقضت عدتها خطبها، فقالت: كيف أفعل بأيماني؟ قال لها: لك بكل مال مالان، وبكل مملوك مملوكان. فوفى لها وتزوّجها فولدت له محمداً. وكان يُسمى من حسنه الديباج والقاسم ورقية.

* * *

الزواج المربح

* قال الزبير: لما حضرت الوفاة حمزة بن عبد الله بن الزبير خرجت عليه فاطمة بنت القاسم بن علي بن جعفر بن أبي طالب فقال لها: كأني بك تزوجت طلحة بن عمر بن عبد الله بن معمر، فحلفت له بعتق رقيقها[1]، وإن كل شيء لها في سبيل الله إن تزوجته أبداً. فلما توفي حمزة بن عبد الله وحلّت، أرسل إليها طلحة بن عمر فخطبها فقالت له: قد حلفت. وذكرت يمينها، فقال لها: أعطيك بكل شيء شيئين. وكانت قيمة رقيقها وما حلفت عليه عشرين ألف دينار، فأصدقها[2] ضعفها فتزوجته، فولدت له إبراهيم ورملة. فزوج طلحة ابنته رملة من اسمعيل بن علي بن العباس بمائة ألف دينار وكانت فائقة الجمال والخلق، فقال إسماعيل لطلحة بن عمر: أنت أتجر الناس. قال له: والله ما عالجت تجارة قط. قال: بلى، حين تزوجت فاطمة بنت القاسم بأربعين ألفاً فولدت لك إبراهيم ورملة، فزوّجت رملة بمائة ألف دينار فربحت ستين ألفاً وإبراهيم.

* * *

---

(١) عتق الرقيق: تحريرهن.

(٢) أصدقها: من الصداق، وهو مهر المرأة.

قضاء عمر بن عبد العزيز

* وعن هشام بن الكلبي [1] قال: قال عبد الله بن عكرمة: دخلت على عبد الرحمن بن هشام أعوده فقلت: كيف تجد؟ فقال: أجد بي والله الموت، وما موتي بأشد عليّ من أم هشام، أخاف أن تتزوج بعدي. فحلفت له أنها لا تتزوج بعده فغشي وجهه نوراً، وقال: الآن فلينزل الموت متى شاء. فلما انقضت عدتها تزوجت عمر بن عبد العزيز. فقلت في ذلك: «من الطويل»

فإنْ لقيت خيراً فلا يُهْنِينها ... وإن تعست بؤساً فللعين والفم

فلما بلغها ذلك كتبت إلي: قد بلغني ما تمثلت به، وما مثلي ومثلك في أخيك إلا كما قال الشاعر: «من الطويل»

وهل كنت إلَّا والهاً ذات ترحةٍ ... قضت نحبها بعد الحنين المرجَّعِ [2]

فدع ذكر من قد وارتِ الأرض شخصه ... ففي غير من قد وارت الأرض مقنعُ [3]

قال: فبلغ مني كل مبلغ. فحسبت حسابها فإذا هي قدعجلت بالتزوج وبقي عليها من عدتها أربعة أيام. فدخلت على عمر فأخبرته فانقض الزواج.

التخلُّص الحسن

* قال الزبير بن بكار: كانت امرأة من العرب تزوجت رجلاً، فكانت تجد به، ويجد بها وجداً شديداً، فتحالفا وتعاهدا أن لا يتزوج الباقي منهما. فما لبث أن مات بعلها، فتزوّجت، فلامها أهلها على نقض عهدها، فقالت: «من الطويل»

لقد كان حبّي ذاك حباً مبرّحاً ... وحبِّي لذا إذ مات ذاك شديد

وكانت حياتي عند ذلك جنّةً ... وحبي لذا طول الحياة يزيد

فلما مضى، عادت لهذا مودتي، ... كذاك الهوى بعد الممات يبيد

* * *

(١)

(٢) هو هشام بن الكلبي المؤرّخ، تقدّم ذكره.

(٣) الواله: العاشقة، والترحة: الحزن، والمرجَّع: المتردّد والمنقطع، وقضت نحبها: ماتت.

(٤) وارت الأرض: أخفت، كناية عن موته.

عـدل عُمـر

* وروى ابن شهاب[1]: أن رجلاً من الأنصار غزا فأوصى ابن عم له بـأهله، فـأتى ابن عم الرجـل ليلة من الليالي فتـطلـع على حال زوجـة ابن عمه فـإذا بالبيت مصباح يزهـر[2]ورائحة طيبـة، وإذا برجـل متكىء على فراش ابن عمـه وهو يتغنّى ويقول: «من الوافر»

وأشـعـث غـرّه الإسـلام مـنّـي ... خلوت بـعـرسـه بـدر الـتـمـام[3]
أبـيـت عـلى تـرائـبـهـا ويـغـدو ... عـلى جـرداء لاحـقـة الـحـزام[4]
كـأن مـجـامـع الـربـلات مـنـهـا ... فئـام يـنـتـمـيـن إلـى فئـام[5]

فلم يقـدر الرجـل أن يملك نفسه حتى دخـل عليه فضـربـه حتى قتله. ورفـع الخبـر إلى عمر بن الخـطاب رضي الله عنه، فصعـد المنبر وخـطب وقـال: عـزمت عليكم أن كان الرجل الذي قَتَـل حاضـراً ويسمـع كلامي فليقم. فقـال: أبعده الله، ما كان من خبره؟ فأخبـره وأنشد الأبيـات، فقال: أضـربت عنقه؟ قـال: نعم يا أميـر لمؤمنين. فقال: أبعده الله، فقد هُدِر دمه.

* * *

---

(١) هـو ابن شهاب الـزهري محمـد بن مسلم، من قريش، أبـو بكـر، أوّل من دوّن الحـديث، وأحد كبار الحفّاظ والفقهاء، تابعي، من أهل المدينة مـات بشغب: أخر حـدّ الحجاز وأوّل حدّ فلسطين سنة ١٢٤ هـ.

(٢) يزهر: يتقد ويضيء.

(٣) الأشعث: المغبُّر الشعر.

(٤) الترائب: جمع تريبة وهي مـوضع القـلادة من الصدر، والجـرداء: الفرس ولاحقـة الحزام: ضامرة البطن.

(٥) الربلات: جمع ربلة وهي لحمة بـاطن الفخذ، وقـال ثعلب: أصول الأفخـاذ وهي ما حـول

(٦) الضرع والحياء في باطن الفخذ، والفئام: الجماعات.

حديث أبو ذؤيب الهذلي وابن أخيه

* قال أبو عمرو[١] الشيباني: كان أبو ذؤيب الهذلي[٢] يهوى امرأة يقال لها أم عمرو، وكان يبعث إليها خالد ابن أخيه زهير، فراودت الغلام عن نفسه، فامتنع وقال: أكره أن يبلغ أبا ذؤيب. فقالت له: ما يراني وإياك إلا الكواكب. فبات معها وقال: «من الرّجز»

مـا ثَـمَّ إلاّ أنـا والـكـواكـبُ   وأمّ عـمـرٍو فلنـعـم الـصـاحـبُ

فلما رجع إلى أبي ذؤيب استراب[٣] به، وقال: والله إني لأجد ريح أمّ عمرٍو منك. ثم جعل لا يأتيه إلا استراب به، فقال خالد: «من الرجز»

يا قوم ما لي وأبي ذؤيب،   كنت إذا ما جئته من غيب
يمسُّ عطفي، ويشمّ ثوبي،   كأنني أربته بريب[٤]

فقال أبو ذؤيب، وهي من قصيدة من جيد شعره: «من الطويل»

دعا خالداً أسرى ليالي نفسه   يولّي على قصد السبيل أمورها
فلما توفاها الشباب وغدره،   وفي النفس منه غدرها وفجورها
لوى رأسه عنّي، ومال بودّه،   أغانيج خَوْدٍ كان حيناً يزورها[٥]

---

(١) هو إسحاق بن مرار الشيباني بالولاء، أبو عمرو، لغوي أديب سكن بغداد ومات فيها سنة ٢٠٦ هـ، أصله من الموالي، جمع أشعار نيّف وثمانين قبيلة من العرب ودوّنها «فهرس الأعلام».

(٢) هو خُويلد بن خالد، جاهليٌّ إسلامي، وكان راوية لساعدة بن جوية الهذلي، وخرج مع عبد الله بن الزبير في مغزىً نحو المغرب، فمات، فدلّاه عبد الله بن الزبير في حفرته، له شعرٌ مستجاد «الشعر والشعراء».

(٣) استراب: شكّ ودخلته الرّيبة والظنون.

(٤) يمسّ عطفي: أي يلمس جانبي، وعطف الرجل: جانبه من رأسه إلى رُكبه.

(٥) الخود: المرأة الشابة الناعمة.

تـعـلّقـهـا مـنـه دلالٌ ومـقـلـةٌ يـظلُّ لأصحـاب السـفـاه يثيـرهـا

فأجابه خالد: «من الطويل»

فـلا يـبـعـدنَّ الـلَّهُ عـقـلَك إن غـزا وسـافـرَ والأحـلامُ جمٌّ غَيُـورهـا[1]

وكـنت إمـامـاً لـلعـشيـرة تـنـتـهـي إليـك إذا ضـاقت بـأمـرٍ صُـدُورهـا

وقـاسـمـهـا بـالله جـهـداً لأنـتـمُ ألـذّ من الشكـوى إذا مـا يسـورهـا[2]

فلم يغنِ عنـه خـدعـه حين أزمعتْ صـريمتـه والنفس مـرٌّ ضميـرهـا[3]

قال: وكان أبو ذؤيب أخذها من ملك بن عويمر وكان ملك يرسله إليها، فلما كبر أخذت أبا ذؤيب، فلما كبر أخذت خالداً. وقال: «من الطويل»

تـريـدين كيمـا تجمعيني وخـالـدا وهل يصلح السيفان، ويحك، في غمد؟

أخـالـد، مـا راعيتَ منّي قـرابـةً فتحفـظني بـالغيب أو بعض مـا تبدي

* * *

حديث المرأة المتعجّلة

* قال أبو عبيدة: كان صخر بن عبد الله الشريد يتعشّق ابنة عمه سلمى بنت كعب، وكان يخطبها فتأبـى عليه، فأقام على ذلك حيناً ثم أغارت بنو أسد على بني سليم فغلبـوهم وصخر غـائب. وأخذت سلمى فيمن أخـذ من النسـاء، وقتـل عـدد منهم، وأسر آخرون. وأقبل صخر فنظر إلى ديارهم بلقعاً[4] وأخبر الخبر، فشدّ عليه سلاحه، واستوى على فرسه، وأخذ أثرهم حتى لحقهم، فلما نظروا إليه قالوا: هذا كـان شرد من بني سليم، وقـد أحب الله أن لا يـدع منهم أحـداً. فجعـل يبـرز إليـه

---

(١) جمٌّ: كثيرٌ، ويبعدن الله عقلك: يذهبنّه.

(٢) يسورها: يحيط بها، والسّورة: الغضب.

(٣) أزمعت: قرّرت، والصريمة: القطيعة والهجر.

(٤) الأرض البلقع: الخراب.

الفارس بعد الفارس فيقتله، فلما كثر فيهم القتل، حلت أسارى بني سليم بعضها بعضاً، وثاروا على بني أسد. ونظر صخر إلى سلمى وهي مع عبد أسود، قد شدّها على ظهره، فطعنه صخر فقتله واستنقذ سلمى ورجع بها. وقد أصابته طعنة أبي ثور الأسدي في جنبه، وتزوج سلمى. وكان يحبها ويكرمها، ويفضلها على أهله. ثم بعد ذلك انتقض[1] جرحه فمرض حولاً، وكان نساء الحي يدخلن إلى سلمى عوائد فيقلن: كيف أصبح صخر؟ فتقول: لا حيّ فيرجى ولا ميت فينسى. ومر بها رجل وهي قائمة وكانت ذات خلق وأرداف، فقال: أيباع هذا الكفل[2]؟ فقالت: عن قريب. فسمعها صخر، ولم تعلم، فقال لها: ناوليني السيف أنظر هل صدىء أم لا؟ وأراد قتلها، فناولته ولم تعلم، فإذا هو لا يقدر على حمله فقال:

«من الطويل»

أرى أمّ صخرٍ ما تملُّ عيادتي ... وملّت سليمى مضجعي ومكاني

وما كنت أخشى أن أكون جنازةً ... عليك ومن يغترّ بالحدثان[3]

فأيّ امرىءٍ ساوى بأمّ حليلةً ... فلا عاش إلا في شقاً وهوان

أهمُّ بأمرِ الحزم لو أستطيعهُ ... وقد حيل بين العير والنزوان[4]

لعمري لقد أيقظت من كان نائماً ... وأسمعت من كانت له أذنان

فلَلموت، خيرٌ من حياةٍ كأنّها ... محلّة يعسوبٍ برأس سنان[5]

قال: ونتأت[6] في موضع الجرح قطعة فأشاروا عليه بقطعها، فقال لهم: شأنكم. فلما قطعت مات.

* * *

(1) انتقض جرحه: عاد إلى النزف بعد البُرد.

(2) الكفل: الردف والعجز.

(3) الحدثان: كرّ الليل والنهار.

(4) حيل: منع، وكان هناك ما يحول ويمنع، والنزوان: الخطأ.

(5) اليعسوب: الذكرْ من النحل، ومحلّة اليعسوب: يقصد بها خليّة النحل وما فيها من طنين وأصوات، والسّنان: الرمح.

(6) نتأت: برزت.

سابور وابنة الملك اليوناني

* قال: كان الساطرون الملك، ملك اليونانيين، قد بنى حصناً يسمى الثرثار ولم يكن له باب ظاهر فكل من غزاه من الملوك رجع عنه خائباً حتى غزاه سابور[1] ذو الأكتاف، ملك فارس، فحصره أشهراً لا يقدر على شيء. فأشرفت يوماً من الحصن النضيرة ابنة الملك، فنظرت إلى سابور فهويته، وكان من أجمل الناس وأمدّهم قامة، فأرسلت إليه: إن أنت ضمنت لي أن تتزوجني وتفضلني على نسائك دللتك على فتحِ هذا الحصن. فضمن لها ذلك. فأرسلت إليه: أن انثر في الثرثار تبناً واجعل الرجال يتبعونه حتى يروا حيث يدخل. فإن ذلك المكان يفضي إلى الحصن، وفيه بابه. ففعل ذلك سابور، وعمدت النضيرة إلى أبيها فسقته الخمر حتى أسكرته، فلم يشعر أهل الحصن إلا وسابور معهم وهم آمنون، قال: فلما ظفر سابور بالحصن، وقتل الملك أبا النضيرة، وجمع جنده، تزوّج بالنضيرة فباتت معه مسهَّدة لا تنام تنقلب من جنب إلى جنب. فقال لها سابور: ما لك لا تنامين؟ فقالت: إن جنبي تجافى عن فراشك. قال: ولِمَ، فوالله ما نامت الملوك على ألين منه ولا أوطأ، وإن فرشه لزغب اليمام. فلما أصبح سابور نظر إلى ورقة آس[2] بين أعكانها[3]، فتناولها، فدمي موضعها. فقال لها: ويحك بماذا كان أبوك يغذيك؟ قالت: بالمخ والزبد والبلح والشهد وصفو الخمر. فقال لها سابور: إني لجدير أن لا أستبقيك بعد إعلاك أباك وقومك، وكانت حالك عندهم هذه الحالة التي تصفين. وأمر بإحضار فرسين فربطت إلى أرجلهما بغدائرها ونفرا فقطعاها نصفين. فذلك قول عدي[4] حيث يقول: «من المنسرح»

---

(١) سابور: هو سابور الثاني من ملوك بني ساسان، لقب بذي الأكتاف لأنه أمر بفك أكتاف أسرى الحرب.

(٢) الأس: نبتٌ طيب الرائحة، يعرف بالريحان.

(٣) الأعكان: جمع عكنة، وهو ما انطوى وتثنّى من لحم البطن سمناً.

(٤) هو عدي بن زيد العبادي، كان نصرانياً من عباد الحيرة وقد قرأ الكتب، وكان عديٌّ ترجمان أبرواز ملك فارس وكاتبه بالعربية، وقد حبسه كسرى فلم يزل في حبسه حتى مات ويقال: =

والحصن صبّت عليه داهيةٌ من قعره أيدٍ مناكبها
من يعد ما كان وهو يعمره أرباب ملك جزلٍ مواهبها

* * *

عشق وضاح اليمن

* ويروى أن وضاح اليمن[1] نشأ هو وأم البنين بنت عبد العزيز بن مروان بالمدينة صغيرين فأحبها وأحبته، وكان لا يصبر عنها حتى إذا شبّت حجبت عنه، فطال بهما البلاء. فحج الوليد بن عبد الملك فبلغه جمال أم البنين وأدبها فتزوجها ونقلها معه إلى الشام فذهب عقل وضاح عليها وجعل يذوب وينحل. فلما طال عليه البلاء وصار إلى الوسواس خرج إلى مكة حاجاً، وقال لعلي: أستعيذ بالله مما أنا فيه وأدعو الله فلعله يرحمني فلما قضى حجه شخص إلى الشام فجعل يطوف بقصر الوليد بن عبد الملك في كل يوم لا يجد حيلة حتى رأى في يوم من الأيام جارية صفراء خارجة من القصر تمشي فمشى معها ولم يزل بها حتى أنست به فقال لها: أتعرْفين أم البنين بموضعي؟ فقالت: عن مولاتي تسأل؟ قال لها: هي ابنة عمي، وإنّها لتسر بموضعي لو أخبرتها، قالت: فأنا أخبرها. فمضت الجارية فأخبرت أم البنين فقالت لها: ويلك أحي هو؟ قالت لها: نعم يا مولاتي. قالت لها: إرجعي إليه، وقولي له كن مكانك حتى يأتيك رسولي، فإني لا أدع الاحتيال لك[1]. واحتالت له فأدخلته في صندوق، فمكث عندها حيناً فإذا أمنت أخرجته فقعد معها، وإذا خافت عين رقيب أدخلته في الصندوق. وأهدى يوماً للوليد جوهر فقال لبعض خدمه: خذ هذا العقد وامض به إلى أم البنين وقل لها: أُهْدِيَ هذا إلى أمير المؤمنين فوجه به إليك. فدخل الخادم مفاجأة ووضاح معها قاعد فلمحه الخادم،

= إنه قتله، ولعدي شعر كثير، والعرب لا تروي أشعاره لأن ألفاظه ليست بنجديّة «الشعر والشعراء».

(١) من مشاهير الشعراء الغزليين، تشبّب بأمّ البنين زوجة الوليد بن عبد الملك «تقدّم ذكره».

(٢) الاحتيال: التدبير.

ولم تشعر أم البنين، فبادر إلى الصندوق فدخله. وأدى الخادم الرسالة وقال: هبي لي من هذا الجوهر حجراً واحداً. فقالت له: لا أمّ لك، فما تصنع بهذا. فخرج وهو عليها حنق، فجاء الوليد فأخبره الخبر ووصف له الصندوق الذي رآه دخله، فقال له: كذبت، لا أم لك. ثم نهض الوليد مسرعاً فدخل إليها وهي في ذلك البيت وفيه صناديق كثيرة فجاء حتى جلس على ذلك الصندوق الذي وصف له الخادم فقال لها: يا أم البنين هبي لي صندوقاً من صناديقك هذه؟ قالت: أنا لك يا أمير المؤمنين، وهي لك، فخذ أيها شئت؟ قال: ما أريد إلا هذا الذي تحتي. قالت له يا أمير المؤمنين إن فيه شيئاً من أمور النساء. فقال: ما أريد غيره. قالت: فهو لك. قال: فأمر به فحمل، ودعا بغلامين وأمرهما أن يحفرا حتى وصلا إلى الماء ثم وضع فمه في الصندوق، وقال: يا صاحب الصندوق قد بلغنا عنك شيء فإن كان حقاً فقد دفنا خبرك، وإن كان كذباً فما أهون علينا، إنما دفنا صندوقاً. وأمر بالصندوق فألقي في الحفيرة، وأمر بالخادم الذي عرفه فقذف معه، ورد التراب عليهما. قال: فكانت أم البنين لا تُرى إلا في ذلك المكان تبكي إلى أن وجدت ذات يوم مكبوبة على وجهها ميتة.

* * *

حديث دعبل والجارية

* قال دعبل بن علي[1]: بينا أنا سائر بباب الكرج[2] وقد استولى الفكر على قلبي فحضرني بيت شعر خطر به لساني من غير النطق به، فقلت: «من مخلّع البسيط»

دموع عيني لهُا انبساطُ ونوم جفني له انقباضُ

---

(١) هو دِعْبِل بن علي الخزاعي، شاعر معروف، موالٍ لآل البيت تقدّم ذكره.

(٢) باب الكرخ: محلّة في بغداد.

وإذا جارية معترضة تسمع كلامي فقالت:

وذا قليلٌ لمن دهته بلحظها الأعين المراضُ[1]

فلم أعلم أني خاطبت جارية أعذب منها لفظاً، ولا أسحر طرفاً، ولا أنضر خداً، ولا أحسن مشياً، ولا أرجح عقلاً. فوددت أن كل جارحة مني عين تنظر، أو قلب يفهم، أو أذن تسمع. فقلت: «من الكامل»

أترى الزمان يسّرنا بتلاقِ ويضمُّ مشتاقاً إلى مشتاق
ما للزمان يقال فيه وإنما أنت الزمان فسرَّنا بتلاق

قال: فلحظتها، وتبعتني. وذلك حين املاقي[2]، واختلال حالي. فقلت: مالي إلا منزل صريع الغواني[3]، فأتيته، واستوقفتها، ودخلت إليه. وقلت: ويلك يا مسلم، أجمل لك الخبر، وجهٌ على الباب تقلٌ له الدنيا وما فيها من عسر وضيقة. قال لي: شكوت إليّ ما كدت أبدؤك به الشكوى، ولكن ائت بها على كل حال. فلما دخلت قال لي: والله ما أملك إلا هذا المنديل. فقلت له: هو البغية. قال: فأخذته فبعته بثلاثين درهماً، واشتريت خبزاً ولحماً ونبيذاً. وإذا هما يتنازعان حديثاً كأنه قطع الروض ذكرت به قول بشار[4] فقلت: «من الخفيف»

وحديثٍ كأنّه قطع الرو ض وفيه الصفراء والحمراء

فقال لي مسلم: بيت نظيف، ووجه ظريف، ولا نقلٌ[5] ولا ريحان؟ اخرج فالتمس لنا ذلك. قال: فخرجت وجئت بما طلب، فإذا لا حسّ منهما ولا أثر لهما،

---

(١) دهته: أصابته بداهية، والأعين المراض: التي فيها فتور وانكسار.

(٢) الإملاق: الفقر وضيق ذات اليد.

(٣) صريع الغواني: هو الشاعر العباسي المعروف مسلم بن الوليد. ولد بالكوفة وتوفي في جرجان.

(٤) هو بشار بن برد، الشاعر المعروف، رُمي بالزندقة وكان أعمى.

(٥) النقل: ما يتناول على المائدة من فستق وغيره.

فجعلت أُطيل الذكر، وأرجم الظن[1]، حتى إذا جن عليّ الليل وفي قلبي لهيب النيران، ثاب علي عقلي وقلت: لعل الطلب يوقعني على موضع خفي. فوقفت على باب سرداب وإذا هما قد نزلا ومعهما جميع ما يحتاجان إليه فأكلا وشربا ونعما. فدلّيت رأسي وصحت مسلم ثلاث مرات، فلم يكلّمني بأكثر من أن قال لي: محلّنا، والنفقة من عندنا، وأنت فضولي، ما هذا الذي تقترح؟ اصبر مكانك حتى يؤذن لك، فبقيت طول ليلتي أتقلّى على جمر الغضا[2] لا أعرف أين أنا. فلما انشقّ الصبح إذا به طلع وطلعت الجارية في أثره، فأسرعت إليه وخرجت تعدو ولم تخاطبني، فكانت أعظم حسرة نزلت بي.

* * *

(١) أرجم الظنّ: يتكلّم بأشياء لا يعلم حقيقتها، أي يأخذه الظنّ إلى كثيرٍ من الافتراضات والشكوك.

(٢) الغضا: شجرٌ حطبه شديد الوهج والاتقاد.

باب
ما جاء في الزنا والتحذير من أليم عقابه

أحاديث شريفة

* روي عن الأعمش(١)، عن سفيان(٢)، عن حذيفة(٣)، أن رسول الله ﷺ قال: «يا معشر المسلمين إيّاكم والزنا، فإن فيه ست خصال: ثلاثاً في الدنيا، وثلاثاً في الآخرة. فأما التي في الدنيا: فزوال البهاء، ودوام الفقر، وقصر العمر؛ وأما اللواتي في الآخرة: فسخط الله جل ثناؤه، وسوء الحساب، والخلود في النار».

وعن الحرث بن النعمان قال: سمعت أنس بن مالك(٤) يقول أن رسول الله ﷺ قال: «المقيم على الزنا كعابد وثن».

وعن أبي سعيد الخدري(٥)، قال: قال رسول الله ﷺ: ليلة أُسري بي

---

(١) هو سليمان بن مهران الأسدي بالولاء، أبو محمّد، تابعي مشهور، نشأ وتوفي بالكوفة سنة ١٤٨هـ كان عالماً بالقرآن والحديث والفرائض.

(٢) هو سفيان بن سعيد الإمام أبو عبد الله الثوري، أحد الأعلام زهداً وعلماً، والثوري نسبة إلى ثور بن عبد مناة بن أد، وهو من كبار رجال الحديث. توفي سنة ١٦١هـ.

(٣) لعلّه حذيفة بن اليمان بن جابر العيس، أبو عبد الله، كان صاحب سرّ النبي ﷺ في المنافقين، لم يعلمهم أحد غيره، توفي سنة ٣٦هـ.

(٤) هو أنس بن مالك الصحابي الخزرجي الأنصاري، أبو تمامة أو أبو حمزة، صاحب رسول الله ﷺ وخادمه، توفي سنة ٩٣هـ.

(٥) من رجال الحديث.

انطلق بي إلى خلق من خلق الله ونساء معلّقات بثديهن ومنهنّ بأرجلهن، منكسات، ولهن صراخ وخوار. فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ فقال: هؤلاء اللواتي يزنين ويقتلن أولادهن، ويجعلن لأزواجهن ورثة من غيرهم».

وعن أبي الدرداء[1]، أن النبي ﷺ قال: أن الله عز وجل ليبغض ثلاثة: الشيخ الزاني، والمُقِلُّ المُختال[2]، والبخيلُ المنّان[3].

وعن عمر بن شرحبيل، عن عبد الله بن مسعود[4] أنه قال: قلت: يا رسول الله، أو قال غيري: أي الذنوب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك. قلت: ثم أي؟ قال: أن تقتل النفس بغير حق. قلت: ثم أي؟ قال: أن تزاني حليلة جارك. قال: ثم أنزل الله في كتابه تصديق ذلك. ثم قال: **﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر، ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا يزنون. ومن يفعل ذلك يلق آثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا﴾**[5].

وعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: الزاني بحليلة جاره لا ينظر الله إليه يوم القيامة ولا يزكيه، ويقول أدخل النار مع الداخلين.

وعن أبي هريرة، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول حين نزلت آية الملاثكة: **أيما امرأة أَدْخَلَتْ على قومٍ مَنْ ليس منهم فليست من الله في شيء، ولن يدخلها الله جنته. وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله منه، وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين﴾.**

* * *

(١) هو أبو الدرداء الخزرجي الأنصاري، من كبار الصحابة وعلماء القرآن، وهو إمام وقاضي دمشق.

(٢) المختال: المتكبِّر الفخور.

(٣) المنّان: الكثير المنّ، الذي يعدِّد ما فعله لإنسان من الخير ويفخر بذلك.

(٤) هو عبد الله بن مسعود، أبو عبد الرحمن الهذلي، من السابقين الأوّلين، مات بالمدينة سنة ٣٢هـ.

(٥) سورة الفرقان: الآية ٦٨.

آراءٌ في الزّنا والزّناة

* ذُكر الزّنا عند يحيى بن خالد بن برمك[1] فقال: الزنا يجمع الخصال كلها من الشر. لا تجد زانياً معه ورع، ولا وفاءٌ بعهد، ولا محافظة على صديق؛ الغدر شعبة من شعبه، والخيانة فن من فنونه، وقلة المروءة عيب من عيوبه، وسفك الدم الحرام جناية من جناياته.

* وحكى ابن الأعرابي قال: كان الحرث بن أبي شمر الغساني[2] إذا أعجبته امرأة ووصفت له، بعث إليها واغتصبها نفسها، فأتاه أبوها فقال له:
«من الكامل»

يا أيُّها الملك المخوف أما ترى ... ليلاً وصبحاً كيف يختلفانِ
هل تستطيع الشمس أن تأتي بها ... ليلاً وهل لك بالمليك يدانِ
فاعلم وأيقنْ أنّ ملكك زائلٌ ... واعلم بأنّك ما تدينُ تُدانُ[3]

* * *

قصّة الزاهد والشيطان

* وعن عدي بن ثابت قال: سمعت عبد الله بن عباس[4] يقول: كان في بني إسرائيل راهب عبدَ الله زماناً من الدهر، حتى كان يؤتى بالمجانين يعوذهم فيبرؤون على يديه. وأنه أتي بامرأة من أشراف قومها قد جنّت وكان لها أخوة، فأتوه بها، فلم يزل الشيطان يزين له حتى وقع عليها، فحملت، فلما استبان حملها، لم يزل الشيطان يخوفه ويزين له قتلها ودفنها، فقتلها ودفنها، وذهب الشيطان في

---

(١) هو يحيى بن خالد بن برمك، من كبار الورزاء في عهد الرشيد، حكم بلاد أذربيجان، مات سجيناً بعد نكبة البرامكة.

(٢) هو الحارث بن أبي شمّر الغسّاني من أمراء غسّان في أطراف الشام، أدرك الإسلام وأرسل إليه النبي عليه الصلاة والسلام كتاباً مع شجاع بن وهب، ومات في عام الفتح.

(٣) تدين الناس: تظلمهم، وتدان: تُظلم.

(٤) ابن عمّ النبي ﷺ، ولقّب بحبر الأمة، وهو من كبار العلماء والمحدّثين. «تقدم ذكره».

صوره رجل حتى أتى بعض أخوتها فأخبره بالذي فعل الراهب، ثم أتى بقية أخوتها رجلاً رجلاً فجعل الرجل يلقى أخاه فيقول له: والله لقد أتاني آت فذكر لي شيئاً كبيراً علينا. فأخبر بعضهم بعضاً بما قيل لهم، فأتوا إلى الراهب فقالوا: ما فعلت أختنا؟ قال: خرجت، ولست أدري أين ذهبت. فرفعوا ذلك إلى ملكهم، فسار إليه الناس حتى استنزلوه من صومعته، فأقرّ لهم بالذي فعل، فأمر به فصلب على خشبة، وتمثّل له الشيطان فقال له: أنا الذي زينت لك هذا وألقيتك فيه، فهل أنت مطيعي فيما أقول لك وأخلصك؟ قال: نعم. قال: تسجد لي سجدة واحدة فسجد له الرجل، ثم قتل. فهذا داخل تحت قول الله عز وجل: **﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريءٌ منك إني أخاف الله رب العالمين﴾**[1].

ولم تزل أشراف العرب في الجاهلية يتجنبون الزنا ويذمّونه، وينهون عنه.

* * *

من وصايا العرب

* وروى هشام بن عروة[2] عن أسماء بنت أبي بكر الصديق[3]، رضي الله عنه، قالت: سمعت زيد بن عمرو بن نفيل[4] في الجاهلية وهو مسند ظهره إلى الكعبة يقول: يا معشر قريش إياكم والزنا، فإنه يورث الفقر.

وفي وصية دريد بن الصمة[5]: «إياكم وفضيحة النساء فإنها عقوبة غد، وعار أبد؛ يكاد صاحبها يعاقب في حرمه بمثلها، ولا يزال لازماً ما عاش له عارها».

* * *

(١) سورة الحشر: الآية ١٦.

(٢) هو هشام بن عروة، أبو المنذر، وقيل أبو عبد الله القرشي، أحد الأعلام سمع عمّه الزّبير وأباه. توفي سنة ١٤٦هـ وقال أبو حاتم: ثقة إمام في الحديث.

(٣) هي أسماء بنت أبي بكر الصديق ــ ذات النطاقين. تقدّم ذكرها.

(٤)

(٥) هو دريد بن الصّمة الجشمي البكري، من هوازن، شجاع من الأبطال المعّمرين والشعراء الجاهليين. غزا نحو مئة غزوة ولم يهزم في واحدة منها. أدرك الإسلام ولم يسلم. توفي سنة ٨هـ.

عفّة الهاشميين

* وحكى بعضهم قال: وفد عبد المطلب بن هاشم[1] على بعض ملوك حِمْيَر[2] فألطف منزلته وأكرمه. وكان تامّاً جميلاً، فقال له الملك: يا أبا الحرث، أحبّ أن ينادمني ابنك. فأذن له أبوه في ذلك. وكان الحميري أجمل ملوك حمير، وكانت زوجته أجمل منه. فكان إذا شرب مع الحرث خرجت زوجته فجلست معهما تسقيهما، فعشقته وكلفت به، فراسلته، فأعلمها أنه محصن عن الزنا ولا يخون نديمه. فألحت عليه فكتب إليها: «من الكامل»

لا تطمعي فيما رأيت فإنّني ... عفٌّ منادمتي عفيف المئزر
أسعى لأدرك مجد قوم سادةٍ ... غمروا فطفنا البيت عند المشعر[3]
فاقني حياءً واعلمي أني امرؤٌ ... أَرْبى بنفسي أن يُعيِّر معشري[4]

ثم إنه أخبر أباه، فصوّب رأيه وقال له: يا بني إن لنساء الملوك طفاحاً[5]، فلما رأته قد عزفت نفسه عنها قالت: والله لا أدعه تتمتع به امرأة أبداً. فدست إليه شربة فشربها وارتحل مع أبيه، فلما قدم مكة مات، فجزع عليه عبد المطلب جزعاً شديداً وقال يرثيه: «من البسيط»

سقى الإله صدىً واريته بيدي ... ببطن مكة تعفوه الأعاصير[6]

---

(١) هو عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو الحارث، زعيم قريش في الجاهلية، وهو جدّ رسول الله عليه الصلاة والسلام، واسمه شيبة، وعبد المطلب لقب غلب عليه. مات بمكة عن ثمانين عاماً.

(٣) حمير: قوم في اليمن، وقد وفد عبد المطلب بن هاشم على الملك «سيف بن ذي يزن» ملك حِمْيَر آنذاك.

(٢) غمروا: أحسنوا وأعطوا الناس وتكرّموا عليهم بالفضل والنعم، والمشعر: أي المشعر الحرام، وفيه مناسك الحجّ.

(٤) ما فني خيالا: أي اهلكي ظنّاً وتوهّما، وأربى بنفسه: ترفّع وتمنّع، من ربأ.

(٥) طفاحاً: حدّاً للاحتمال، وطفح الكيل: امتلأ وزاد عن مقداره وحدّه.

(٦) الصدى: جسد الإنسان بعد موته، وتعفوه: تمحوه، والأعاصير: الدهور.

يا حارث الخير قد أورثتني شجناً ... فما لقلبيَ عن ذكراك تغيير
فلست أنساك ما هبّت شآمِيَةٌ ... وما بدا علم في الآل معمور[1]

* * *

قصة امرىء القيس وابنة قيصر

* ولما قتلت بنو أسد بن خزيمة حجر بن الحرث أبا امرىء القيس دار في أحياء العرب فلم ير منهم ما يحب، فمضى حتى قدم على هرقل ملك الروم، فأقام عنده شهراً فأكرمه ونادمه، وأعجبه كماله وعقله. ثم بعث معه ستمائة من أبناء الملوك ومن تبعهم. ونظرت إليه ابنة الملك فعشقته وأرسلت إليه أن يلقاها قبل خروجه، فجعل يعتذر لها ويعللها ولا يرضى أن يخون أباها فيها مع ما فعله معه. وخرج منصرفاً إلى بلده فقالت بنت هرقل لأبيها: ما صنعت بنفسك وجّهت أبناء ملوك الروم مع ابن ملك العرب؟ لو قد استمكن مما أراد غزاك ونزع ملكك. فوجه إليه الملك بحلّة منسوجة بالذهب مسمومة فلما لبسها تنفّط[2] جلده، وتساقط لحمه، فنظر إلى جبل فسأل عنه، فقيل له: اسمه عسيب. فقال: «من الطويل»

أجارتنا إنّ المزار قريبُ ... وإنّي مقيمٌ ما أقام عسيبُ
أجارتنا إنا غريبان ههنا ... وكلٌّ غريبٍ للغريب نسيبُ

وقيل: أنه قال هذا لأنه رأى قبراً عند هذا الجبل فسأل عنه فأخبر أنه قبر امرأة من بنات ملوك الروم. فمات هناك.

* * *

(١) شآمية: أي ريح شآمية، والعلم: الجبل، أو ما يهتدى به، والآل: السّراب وربما كان الآل: الأهل، ويكون المعنى ما بدا علم معمورٌ بالأهل.

(٢) تنفّط جلده: تقرّح واحترق.

العفّة توجب الفضل

* قال الشعبي[1] تنافر عامر بن الطفيل بن ملك بن جعفر وعلقمة بن علاثة بن الأحوص إلى هرم بن قطبة بن سنان الذبياني[2] حكيم العرب فقال لعلقمة: بأي شيء أنت أسود من عامر؟ قال: أنا بصير، وهو أعور، وأنا أبو عشرة وهو عقيم، وأنا عفيف وهو عاهر.

* * *

القول الماحق

* مرت امرأة بقوم من بني نمير فرشقوها بأبصارهم وأداموا النظر إليها، فقالت: قبحكم الله يا بني نمير، فوالله ما أخذتم بقول الله تبارك وتعالى: ﴿**قل للمؤمنين يغضّوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم**﴾[3]. ولا بقول الشاعر: «من الوافر»

فغضِّ الطَّرف إنَّك من نميرٍ ... فلا كعباً بلغت ولا كلابا

فخجل القوم مما قالت وأطرقوا.

* * *

آراء في العفّة والزّنا

* وكان يقال: أربع لا يشبعن من أربع: عينٌ مِن نظرٍ، وأُذُنٌ من خَبَر، وأرْضٌ من مَطَر، وأُنثى من ذَكَر.

* قال إسحق بن بهيل: رأيت رجلاً في طريق مكة وعديله في المحمل

---

(١) هو عامر بن شراحيل، الفقيه والمحدّث ورسول عبد الملك بن مروان إلى قيصر. «تقدم ذكره».

(٢) هو هرم بن قطفة بن سنان الذبياني من حكماء العرب وأجوادهم، وهو الذي كان زهير بن أبي سلمى يمتدحه فيجزل له العطاء.

(٣) سورة النور: الآية ٣٠.

جارية قد شد عينيها وكشف سائر وجهها فقلت له في ذلك، فقال: إنما أخاف عينيها لا عيون الناس.

* وكان عند بعض القرشيين امرأة عربية فدخل عليها خصيٌّ لزوجها وهي واضعة خمارها تمتشط شعرها، فحلقت شعرها، وقالت: لا يصحبني شعر نظر إليه غير ذي محرم مني.

* قيل لأبي الطمّحان القيني[1]: أخبرنا عن أقبح ذنوبك؟ قال: ليلة الدير. قيل: وما ليلة الدير؟ قال: نزلت على نصرانية فأكلت طفشيلاً[2] بلحم خنزير، وشربت من خمرها، وزنيت بها، وسرقت كساءها، ومضيت.

حديث الزانية التي نهشت لحمها الحيّات

* وحكى خريدة بن أسماء، قال: حججنا، ونحن في رفقة، إذ نزلنا منزلاً ومعنا امرأة نامت ثم انتبهت وحيّة على عنقها لا تضرها بشيء، فلم يجترىء أحد منا أن ينحّيها عنها، فلم تزل كذلك حتى أبصرت الحرم فانسابت ومضت عنها، فحمدنا الله ودخلنا مكة فقضينا نسكنا[3]، ورأى الغريض[4] المغني المرأة وقد سمع الحديث وما تحاكاه الناس عنها فقال لها: يا شقية ما فعلت حيتك؟ قالت: في النار. قال: ستعلمين من في النار. قال: فضحكت المرأة ولم تفهم ما أراد وارتحلنا منصرفين حتى إذا كنا بالموضع الذي حين نزلناه جاءت الحية حيث انسابت وتطوقت عليها، فلما تأملت المرأة عرفتها، ثم صفرت الحية، فإذا الوادي

---

(١) هو أبو الطّحان القيني، واسمه حنظلة بن الشّرقي، وكان فاسقاً، وكانت له ناقة يقال لها «المرقال». «الشعر والشعراء».

(٢) الطفشيل: نوع من مرق الطعام.

(٣) نسكنا: من المناسك، وهي إقامة الشعائر.

(٤) الغريض: لقب عبد الملك المغنّي المكي، وهو أحد كبار المغنّين، كان لصوته حنان يأخذ القلوب.

يسيل علينا من جنباته حيات، فنهشتها حتى بقيت عظاماً ونحن نرى ذلك. ثم انصرفنا جميعاً فقلنا للجارية التي معها: ويحك خبرينا بخبر هذه المرأة، فقد والله رأينا منها عجباً؟ قالت: نعم، بَغَت ثلاث مرات، تلد في كل مرة غلاماً، فإذا وضعته حمّت[1] تنوراً ورمته فيه وتكتم خبره. قال: فقلت سبحان الله ما أعجب هذا. وذكرت قول الغريض لها ستعلمين من في النار، فزادنا ذلك تعجباً منها.

* * *

من كيد النساء

* قال أحمد بن يحيى: كان مرثد عم عمرو بن قمية الشاعر[2]، عنده امرأة جميلة، وكان قد كبر، وكان يجمع بني أخيه وبني عمه في منزله للغداء كل يوم. وكان عمرو بن قمية شاباً جميلاً، وكانت أصبع رجله الوسطى والتي تليها مفترقتين. فخرج مرثد يرمي بالقداح، فأرسلت امرأته إلى عمرو بن قمية: «ابن عمك يدعوك». فجاءت به من دبر[3] البيوت، فلما دخل عليها لم يجد عمه فأنكر أمرها، فراودته عن نفسها، فقال لها: لقد جئت بأمر عظيم، وما كان مثلي يدعس لمثل هذا؟ قالت: لتفعلن ما أقول لك أو لأسوأنّك. قال: إلى المساءة دعوتني! ثم أنه قام فخرج. وأمرت بجفنة فكبّت على أثر رجله فلما رجع مرثد وجدها متغضبة فقال لها: ما لك؟ قالت: إنّ رجلاً من قومك قريب القرابة جاء يستامني[4] نفسي ويريد فراشك منذ خرجت. قال: ومن هو؟ قالت: أما أنا فلا أسميه، ولكن قم فاقتف أثره تحت الجفنة. فلما رأى الأثر عرفه فأعرض عنه وجفاه، ولم يزده على ذلك، وكان أعجب الخلق إليه. وعرف ابن قمية ذلك وكره أن يخبره فقال: «من الطويل»

---

(١) حمت: أي أوقدت، والتنّور: حفرة في الأرض توقد فيها النار.

(٢) هو عمر بن قميئة، من قيس بن ثعلبة من بني سعد بن مالك رهط طرفة بن العبد، شاعر جاهلي قديم، كان مع حجر أبي امرىء القيس الشاعر وقد صحب امرأ القيس إلى قيصر الروم.

(٣) دُبُر البيوت: أي من أبوابها الخلفيّة.

(٤) يستام: يراود، واستامها نفسها: راودها.

لعمرك ما نفسي بجدّ رشيدةٍ تؤامرني شراً لأصرُمَ مرثدا[1]
عظيمُ رمادِ القدر لا متعبسٌ ولا مؤيسٌ منها إذا هو أخمدا[2]
فقد ظهرت منه بوائق جمّةٌ وأفرع في لومي مراراً وأصعدا[3]
على غير ذنبٍ أن أكون جنيتهُ سوى قول باغٍ جاهدٍ فتهجّدا[4]

وبلغت الأبيات مرثداً فكشف عن الأمر حتى تبين له، فطلق امرأته وعاد على ما كان عليه لابن أخيه.

* * *

من أخبار المغنّين

* قال إسحق[5] بن إبراهيم: كان مخارق[6] يهوى «البهار» جارية أم جعفر وشغف بها حتى أفضي غايته في حبها. فبينما هو منصرف ذات ليلة من دار المأمون في دجلة، وقد عمل الشراب فيه، وأم جعفر جالسة في دارها على دجله إذ رفع عقيرته[7] يغني شعر عباس بن الأحنف[8]: «من البسيط»

إن يمنعوني ممرّي قرب داركُمُ، فسوف أنظر من بُعدٍ إلى الدار
ما ضرّ جيرانكُمْ، والله يكلؤهُمْ، لولا شقائي إقبالي وإدباري[9]

---

(١) تؤامرني: تشير علي، والصّرم: القطيعة.
(٢) عظيم رماد القدر: كناية عن كرمه، وأخمد النار: أطفأها.
(٣) البوائق: جمع بائقة وهي المصيبة، والجمّة: الكثيرة، وأفرع في لوم: أخذ وابتدأ، وأصعد: اشتدّ.
(٤) الباغي: الساعي بالبغي، وهو الكذب، وتهجّد: سهر على بغيه.
(٥) هو إسحاق بن إبراهيم الموصلي، الأديب والنديم والمغني والموسيقي. تقدّم ذكره.
(٦) مخارق: من مشاهير المغنّين في العصر العباسي.
(٧) رفع عقيرته: أي رفع صوته.
(٨) عباس بن الأحنف، من بني حنيفة، ويكنّى أبا الفضل، نشأ في بغداد وكان صاحب غزل ويشبه في شعره عمر بن ربيعة، وكانت له أخبار وأشعار مع الرشيد.
(٣) يكلؤهم: يحرسهم ويرعاهم، والاقبال والإدبار: الإقدام والرجوع.

لا يقـدرون على منعي، وإن جهـدوا إذا مـررت، وتـسليـمي بـإجهاري

فسمعت أم جعفر صوته فأمرت خدامها فصاحوا بمّلاحه فقدم وصعد إليها، فدعت له بكرسي وصينية فيها نبيذ فشرب، وخلعت عليه وقالت لجواريها: اضربن معه. فكان أول ما تغنّى به: «من البسيط»

أغـيـبُ عـنـك بـودٍّ لا يـغـيِّـرهُ نـأي المَحَـلِّ ولا صـرفٌ من الـزمن[1]
فـإن أعشْ فلعـلّ الـدهـر يجمعنـا وإن أمت فبـطول الـشـوق والحـزن
قـد حَسَّن الحبُّ في عينيَّ مـا صنعتْ حتى أرى حسنـاً مـا ليس بـالحسن

قال: فاندفعت «البهار» تباريه في الصوت وتغني: «من البسيط»

تعتـلُّ بـالـشغـل عـنّـا لا تكـلّمنـا والشغـل للقلب ليس الشغل للبـدن[2]

فضحكت أم جعفر، وقالت: مـا رأيت ولا سمعت قط بـأحسن من هـذا. ووهبت له الجارية فأخذها وانصرف.

* * *

حديث مخارق والجارية

* قال إبراهيم بن الخطيب: حدثني مخارق قال: كنت عند الرشيد فلما أراد الانصراف قال لي: يا مخارق بكّر علي. فقلت: نعم يا أميـر المؤمنين. فلما أصبحت بكّرت أريد ما ذكره، فإذا جارية راكبة وهي أحسن الناس عينين في النقاب، فنظرت إليها، ونظرت إلي، فلم أملك نفسي وتعشقتها وتبعتها حتى دخلت منزل المعبدي الهاشمي، فقلت لغلماني: إذا كان المغرب فصيروا إليّ، إذا كنت في الدنيا خرجت إليكم، وإذا كنت متّ فقد قضيت وطـراً[3]. قال: واقتحمت ودخلت الدار، فإذا جماعة مجتمعون وقد أحضروا طعاماً فأكلت معهم، وأحضـر الشراب، وغنت الجارية فإذا هي أحذق الناس وأطيبهم، فغنّيت، فقال المعبدي:

---

(١) النأي: البعد، وصرف الزمن: غيره وأحداثه.
(٢) تعتل: تتعلّل، أي تتهرّب وتتذرّع.
(٣) الوطر: الحاجة.

ما أحسنه وأبهاه، فمن هو؟ فقال له القوم: ما نعرفه. فقال: ما أظرف هذا يدخل منزلي بغير أمري ابغوا إليّ صاحب الشرطة. وكل ذلك بمسمعي، قالت الجارية: يا مولاي لا تفعل، لعل له عذراً. فبحياتي هبْ لي جرمه فقد رحمته، واحسب أنّ هذه صناعته. قال: فطابت نفسي فلما خرجت قال لي: يا فتي تغني؟ فقلت: نعم، فغنيت، فطرب القوم. وقال المعبدي: إن كان في الدنيا مخارق فأنت هو! قلت: نعم أنا مخارق. وحدثته حديثي والسبب في دخول منزله، فسر وفرح ودعا بدواة وقرطاس وأقبل يكتب ويعود إليه الجواب، ثم وزن مالاً ووجه به، فلما كان بالعشي قال: يا غلام هات تلك العتيدة[1]. فأحضر عتيدة مملوءة طيباً، وقال: هات ذلك التخت. فأحضره إياه، فقال: أتدري ما نحن فيه. قلت: لا. قال: قد اشتريت لك الجارية بأربعين ألف دينار، وهذه عتيدة فيها طيب، وتخت ثياب. فأخذت بيدها وانصرفت بها عروساً، فلما أصبحت بكرت على الرشيد فقال لي: يا ابن الفاعلة أين كنت؟ فَحَدَّثْتُهُ الحديث فسرَّ به، وقال: ما توهّمت أن في أهلي مثل هذا. وأمر من ساعته أن يحمل إليه أربعون ألف دينار.

* * *

قصّة الغلام الأسود والجارية

* وكان ليوسف بن القاسم، وهو أبو أحمد بن يوسف، وزير المأمون، غلام أسود متأدّب نشأ في الأعراب فهوي جارية لرجل قرشي، فشكاه القرشي لمولاه، فضربه وحبسه، وحلف أن لا يُطْلقه إلا بعد شفاعة من شكاه، فقيل له: ويحك أتحبّك كما تحبها؟ فقال: «من الطويل»

كلانا سواء في الهوى غير أنها ... تجلّدُ أحياناً وما بي من تجلُّدِ[2]
تخاف وعيد الكاشحين وإنّما ... جنوني عليها حين أُنهى وأُوعد[3]

---

(١) الغيدة: وعاءٌ تجعل فيه العروس ما تحتاج من طيب ومشط وأدوات زينة.

(٢) تجلّد: أي تتجلّد، تصبر.

(٣) الوعيد: التهديد، والكاشح: المبغض الذي طوى كشحه على البغض، وأنهى: أمنع.

فبلغ مولاه شعره فقال: وإن فيه لهذا الفضل! فركب من وقته إلى القرشي فقال له: أسألك أن تبيعني هذه الجارية بأيّ ثمن شئت. فقال: ما أفعل حتى أعرف السبب في ذلك. فعرفه الخبر وأنشده البيتين، فقال: أشهدك أني قد وهبت له الجارية، وأنا أعطي الله عهداً إن أخذت لها ثمناً أبداً، لشفاعتك وأدب الغلام. ووجه الجارية معه فدفعها إلى الغلام.

* * *

قصّة المتوكّل والكتاب

* قالوا: كان المتوكل[1] جالساً يوماً في القصر الذي يقال له المختار إذ مر خادم أسود لفتيحة[2] مبادراً يريد الدخول إلى دار النساء، فسقط منه كتاب مختوم، فأمر من جاءه بالكتاب وفتحه فإذا فيه مكتوب: «من الخفيف»

أكثري المحو فى الكتاب ومحّيه بريق اللسان لا بالبنان
وأمرّي الختام فوق ثنايا ك العذاب المفلّجات الحسان[3]
إنّني كلّما مررت بحرفٍ فيه محوٌ لطعته بلساني[4]
فأراها تقبيلةً من بعيدٍ أُهديت لي وما برحت مكاني

فقال: يا فتح ماذا ترى؟ لقد اجترأ علي من كتب هذا الشعر! علي بالخادم. فأتي به، وقد علم الخادم أنّ الكتاب سقط منه فطار عقله خوفاً ورعباً، فقال له: من دفع هذا الكتاب إليك وأنت آمن؟ فإن صدقت نجوت، وإن لم تصدق ضربت عنقك. قال: يا مولاي إن لمولاتي فتيحة وكيلاً يتصرف في أمرها من أبناء البرامكة

---

(١) المتوكل، هو جعفر بن محمد الخليفةا لعبّاسي العاشر. «تقدّم ذكره».
(٢) فتيحة: ربما كانت زوجته.
(٣) الثنايا: جمع ثنيّة، وهي الأسنان التي في مقدّم الفمّ، والمفلّجات: أي الأسنان التي بينها فلج، فروق.
(٤) لطعته: مسته.

وهو يحب جاريتها نسيم الكاتبة، وأنا أسعى بينهما بالكتب التي يتكاتبان بها. فقال له: امض بلا خوف عليك. ثم قام المتوكل فدخل على فتيحة وقال لها: خذي في أمر جاريتك نسيم الكاتبة فإني قد زوجتها من فلان وكيلك وأنقدت عنه عشرة آلاف درهم. وأمر بإحضار الوكيل فقال له: هل لك في نسيم؟ فذهب عقله، وطار قلبه، وخاف خوفاً شديداً، فقال هل: تكلم وأنت آمن، فقد زوجتك بها، ومهرتها عشرة آلاف درهم وأمرت لك بعشرة آلاف تولم بها. وسأل فتيحة تعجيل زفافها إليه ففعلت.

* * *

قصّة عبد الملك وعاتكة

* وحكى الهيثم بن عدي[١]، عن ابن عباس، قال: كانت عاتكة بنت يزيد بن معاوية تحت عبد الملك بن مروان، وكان يجد[٢] بها ويحبها حباً شديداً، فغضبت عليه، فطلب رضاها بكل أمر، فأبت حتى أضرّ به ذلك وشكا إلى خاصته. فقال له عمر بن الأسدي: ما لي إن أرضيتها؟ قال له: حكمك. قال: فخرج فأتاها وجلس بين يديها يبكي. فقالت له حاضنتها: ما لك يا أبا حفص؟ قال: قد جئت إلى بنت عمي في أمر مهم عظيم، فاستأذني لعلها تقضي حاجتي. فقالت: ما بالك؟ فقال لها: قد عرفت حالي مع أمير المؤمنين عبد الملك، ولم يكن لي غير ابنين، فتعدّى أحدهما على الآخر فقتله. فقلت: أنا ولي الدم وقد عفوت. فقال أمير المؤمنين: ما أُحب أن أعوِّد رعيتي هذا. وهو قاتله بالغداة فنشدتك الله إلاّ كلمته فيه، وسألته في إبقائه لي، فإنك تجمعين في ذلك إحياءه وإحياء نفسي. فإنه إن قتله قتلت نفسي. فقالت: ما أكلمه. فقال لها: ما أظنك تكسبين شيئاً أحب من إحياء نفسين. وبكى بكاء شديداً، فلم يزل بها صواحبها وخدمها وحاشيتها حتى قالت: عليّ بثيابي. فلبست، وكان بينها وبينه باب قد ردّمته. فأمرت بفتحه ثم

---

(١) هو الهيثم بن عديّ من كبار المؤرّخين والعلماء. «تقدّم ذكره».
(٢) يجد بها: يهيم عشقاً.

دخلت. فأقبل أحد الغلمان فقال: يا أمير المؤمنين هذه عاتكة. قال: ويلك رأيتها؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. وإذا هي قد أقبلت وعبد الملك على سريره. فسلّمت، فسكَتَ، فقالت: أما والله لولا مكان عمر بن بلال ما فعلت، ولا أتيتك والله. إنْ عدا أحد بنيه على الآخرَ فقتله، وهو الولي وقد عفا عنه، لتقتله؟ قال: أي والله، وهو راغم. قالت: أنشدك الله أن لا تفعل. فدنت فأخذت بيده، فأعرض عنها، فأخذت أرجله فقبلتها. فأكبّ عليها وضمها إلى نفسه ورفعها إلى سريره، وقال: قد عفوت عنه. فتراضيا[1].

وراح عبد الملك فجلس مجلس الخاصة، فدخل عمر بن بلال، فقال: يا أبا حفص ألطفت الحيلة في القيادة فلك حكمك! فقال: يا أمير المؤمنين، ألف دينار ومزرعة بما فيها من الرقيق والآلة. قال: هي لك. قال: ومرابض لولدي وأهل بيتي. قال: وذلك كله لك... وبلغ عاتكة الخبر فقالت: ويلي على عمر، خدعني.

* * *

من أخبار ابن أبي عتيق

❊ قالوا: كان رجل من تجار أهل المدينة من ذوي النعمة، في ليلة من شهر رمضان، في المسجد يصلي إذ عرض له في منزله بعض الأمر. فانصرف من التراويح[2] فأصاب بابه مفتوحاً، وإذا رجل مع ابنته في محلها يحدثها. فأخذ بيده وذهب به إلى منزل ابن أبي عتيق[3]. فدق عليه، فأشرف عليه، فقال: أردت أن أكلمك، جعلت فداك. قال: فانحدر إليه فقال له: إذن هذا الفتى وجدته في منزلي على حال كذا. فسألته فزعم أنه ابنك. فأقبل ابن عتيق فأخذ بيد التاجر فشكره

---

(١) تراضيا: اصطلحا.

(٢) التراويح: أي صلاة التراويح، وهي صلاة شهر رمضان سمّيت بذلك لاستراحة القدم بعد كلّ أربع ركعات، وهي عشرون ركعة.

(٣) ابن أبي عتيق، هو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر، من ظرفاء المدينة وأغنيائها. «تقدّم ذكره».

وجزاه خيراً، وقال: لن يعود إلى شيء تكرهه أبـداً إن شاء الله. فـأخذ الفتى ولكـزه وشتمـه. فلما ولّى الـرجل قـال للفتى: من أنت ويلك؟ قال: أنـا ابن فلان التـاجـر وابتليت بابنة هذا التاجر فدخلت عليهـا هذه الليلة أتحـدث عندهـا. فما راعني إنـه واقف على رأسي. فلم أجـد ملجأ إلا أن اعتـزيت[1] إليك، لمـا علمت من قـدرك وشـرفك وكـرمك. قـال: أخبرني عن الجـارية، أتحبـك؟ قـال: نعم. قـال: فهـل يمكنك أن تأتي بها إلى منزلي هذا؟ قال: نعم. قال: فعدها وأت بها. وأمـر غلامـاً له، وقال: إذا جاءت المرأة التي يـأتيك بهـا هذا الفتى فـأدخلها، وأجلس أنت مـع الفتى، وأرسل إليّ من يعلمني. ففعل الفتى، وأتى بالجاريـة إلى المكان. وأرسـل إلى ابن أبي عتيق فعرفه. فأرسل إلى أبـي الجـارية: إنـك قد اصـطنعت إلى فتانـاً يداً، وقد أحببنا أن نصنـع إليك مثل ذلك في فتاتكم.

فأدخله عليها، فلما رآها استرجـع[2]، فقال له ابن أبـي عتيق: ما هذا؟ هـوِّن عليك هذا الأمر، واقبل وصية رسول الله ﷺ حين قال: «الحقوا النسـاء بأكفـائهن». إن هذا الفتى ليس والله بولدي، ولكن هو قد انتسب إليّ لما أدرك من النجاة منك، وهـو فلان بن فـلان التاجـر، وهو من نـظرائها وأكفـائها. فهـل لك أن تـزوجه إيـاها وأصدقها عنه من مالي مائة دينار؛ قال: نعم.

ولم يبرحوا حتى زوّجها منه وأصدقها وأخرج المهر من عنده، وسألـه التعجيل بزفافها إليه.

* * *

من أخبار قيس ولبنى

* (قـد قدمنـا في أخبار قيس بن ذَريـح كيف كـان سبب تطليقـه لبنى وندمـه عليهـا) ثم ساءت حـالـه، وتلف عقله، واشتـد مرضـه، وأشـرف على حتفـه. فقـال

---

(١) اعتزيت إليك: انتسبت إليك.

(٢) استرجـع: قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

أهله: لو زوجتموها إياه ليئس منها، وسلا عنها. فخطبها رجل من قريش وَحَكّم أباها في المهر. فزوجه إياها، فحملها معه إلى المدينة. فقال قيس: «من الطويل»

وقالوا تَراها فتنةً كنتَ قبلها بخير، فلا تَنْدم عليها وطلِّقِ
فَلَيْتَ، وبيتُ اللّهِ، أنّي عصيتُهُمْ فأَنْبَتَّ في رِضوانها كل مونق[1]
وكلِّفتُ خوض النار سبعين حجّةً وكنت على أثباج بحر مغرِّق[2]
كأني أرى الناس المقيمين بعدها نُقاعةَ ماء الحنظل المتغلّف[3]
وتَكره عيني بعدها كلّ منظرٍ ويكره سمعي بعدها كلّ منطق

قال: وخرج ابن أبي عتيق[4] يريد العمرة. فنزل بحي قيس بن ذريح فسألهم عنه، فقالت: دلوني عليه. فدلوه فلماراه قيس أقبل عليه ورحّب به وقال: من أنت، حياك الله وعافاك؟ قال، فانتسب له ابن عتيق وقال له: بيِّن حديثك لي تجدني معيناً لك على أمرك إن شاء الله. فاستحى قيس من ذلك وامتنع ساعة، ثم جعل يحدثه حتى بلغ إلى خبر القرشي. فقال: يا هذا، إني خرجت من منزلي أريد العمرة التماساً للثواب. وقد عزمت، عندما سمعت، أن أترك ما خرجت إليه فارجع معك احتساباً للأجر؛ فبكّرْ فامض معي أيها الرجل، واكتم شأنك، ولا يعلم أحد من أهلك. فحمله معه وأقبل راجعاً نحو المدينة فاستقبله أهله وأخوانه يسألونه عن سبب رجوعه. فجعل يعتذر وهو يقول لهم: عاقني عن ذلك عائق. وأخفى قيساً في منزله أياماً ثم سأل عن منزل القرشي فدل عليه. فبعث مولاة له عجوزاً إلى لبنى تخبرها بقيس وبما صار له من عشقها. فقالت: يعزّ عليّ، وما حيلتي له، أطاع أباه وفارقني في غير جرم، وقد صرت الآن عند غيره ولا سبيل لي على نفسي، وإن

(١) المونّق: المعجب.
(٢) الأثباج: جمع يبج، وهو من البحر معظمه.
(٣) النقاعة: ما ينقع في الماء ليحصل على شيء منه، والحنظل: نبات مرٌّ.
(٤) ابن أبي عتيق، هو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر. «تقدّم ذكره».

كبـدي عليه لحـرّا[١]، وإنّ عيني لغبرا[٢] مـذ فارقتـه وأنها لمـا علمت بمكانـه اشتد ولهها حتى أنكر زوجها شأنها فسألها عن خبرها وهل رأت شيئاً تنكره. فجعلت لا تجيب جواباً. وجعل يعتذر إليها، فقال لها: ما أراك إلا ذكرت قيساً. فقـالت له: هيهات وأين أنا من قيس، وأين قيس مني؟ ألْهُ عن هذا الحديث.

قال: وبلّغت العجوز ابن أبـي عتيق ما سمعت من لبنى فقال لها: عودي إليها فقـولي لها: إن كنت على العهـد فإنـك ستصلين إلى ما تـريدين. قـالت: أي والله لا أزال على عهـده مقيمة أو يفـارق روحي جسدي؛ ولا أكـافئه بسـوء فعل كـان منه إليّ.

قال: وأقبل ابن أبـي عتيق ومعه جماعة من أشراف قـريش وغيرهم حتى أتـوا منزل القرشي زوج لبنى فأكبر مجيئهم. فقالوا: إنـا جئناك في حـاجة ولا سبيـل إلى ردنـا عنها. قـال لهم: قضيت حاجتكم. قـال ابن عتيق: كائنـة ما كـانت؟ قال لـه: نعم. قال: فإن حاجتنا أن تجعل أمر لبنى في يدي. قال القرشي: وهل رأيت أحداً سأل مثل هذا؟ قال: فهي حـاجتنا، وقـد جئت إليها. قـال: فإني قـد فعلت. قال: فيشهدون عليك أن أمرها في يدي؟ قال: نعم. قال ابن عتيق: فاشهـدوا أنها طـالق ثلاثاً. قال: قد أجزت[٣].

قـال: فما بـرحوا حتى نقلهـا ابن أبـي عتيق إلى منزلـه، فلما انقضت عـدتها زوجهـا من قيس وأصدق عنـه وجهزهـا بـأحسن جهـاز، وحملهـا معـه إلى منـزلـه. فما لبثت عنده إلا يسيراً حتى نهشته الأفعى ـ كمـا قدمنـا في حديثـه فمات ومـاتت بعده.

(هكذا رواه أحمد بن أبـي طاهر. ولست أدري صحة هذا الحديث، لأنا كنـا

(١) حرّاء: يقال كبدٌ حرّاء أي بها حُرقة.

(٢) غبراء: أي بها مصيبة لا تكاد تذهب دموعها.

(٣) أجزت: قبل طلبك، وجاز لك أن تفعل مـا تريـد، وأجازه: أعـطاه الإذن والترخيص في أن يفعل ما يراه مناسباً.

قدمنا في حديثه ما يخالف هذا من أنه لم يتزوج بها ثانياً).

* * *

سقطة النعمان بن المنذر

* حكى الهيثم بن عدي[١]، عن الكلبي[٢] قال: كان مُلك النعمان بن المنذر أربعين سنة لم ير منه في ملكه سقطة غير هذه:

وذلك أنه ركب يوماً فنظر إلى امرأة خارجة من الكنيسة فأعجبه جمالها وحسنها وهيئتها فقال: عليَّ بعديٍّ بن زيد[٣]، وكان كاتبه وخاصته، فقال له: يا عدي، قد رأيت امرأة لئن لم أظفر بها إنه هو الموت. فلا بد في أن تتلطف في الجمع بيني وبينها. قال: ومن هي؟ قال: قد سألت عنها فقيل لي امرأة حكم بن عوف، رجل من أشراف أهل الحيرة. قال: فهل أعلمت بذلك أحداً؟ قال: لا فاكتمه، فإذا أصبحت فجد بكل كرامة لنزيلك، يريد حكم بن عوف. فلما أذن للناس بدأ به وأكرمه وأجلسه معه على سريره. فأعجب الناس حاله، وتحدثوا به. فلما أمسى فأذن للناس بدأ به فأكرمه وأجلسه معه وكساه وجمله. ففعل به ذلك أياماً. ثم قال له عدي: أيها الملك عندك عشر نسوة فطلق أقلهن عندك منزلة ثم قل له فليتزوجها. ففعل. فلما دخل عليه قال له: يا حكم إني قد طلقت فلانة لك فتزوجها. فقال حكم لعدي: ما صنع الملك بأحد ما صنع بي ولا أدري بما أكافئه؟ فقال له عدي: طلّق امرأتك كما طلّق امرأته. ففعل. وحظي عدي بها عند الملك: وعلم الرجل أنه مكر به في امرأته. وفيها يقول بعض أهل الحيرة:

«من البسيط»

ما في البرية من أنثى تعادلها ... إلا التي أخذ النعمان من حكم

* * *

(١) الهيثم بن عدي مؤرّخ وعالم، تقدّم ذكره.

(٢) الكلبي: هو ابن الكلبي هشام بن محمد المؤرخ.

(٣) هو عديّ بن زيد العبادي، وكان يسكن الحيرة. «تقدّم ذكره».

من أخبار العشق العذري

* وحدث الزبير: أنه كان فتى من عذرة يقال له عمرو بن عود، وكان عاشقاً لجارية من قومه تسمى ريّا بنت الركين. فتزوجها رجل منهم يقال له دهيم. فأبت ريا إلا حب عمرو بن عود، وأبى إلا حبها وقول الشعر فيها، والوجد بها حتى أتى اليمن فنزل في بني الحارث بن كعب فطلبها عمرو، فخفي عليه أمرها ولم يعلم لها خبراً ولا موضعاً. فمكث حينا لما به، يبكي له من عرفه، لولهه وشدة ما أصابه. فخرج به أهله إلى مكة لعله يتعلق بأستار الكعبة عسى أن يرحمه ربه ويذهب ما في قلبه من حبها. فلما كان بمنى نظر إليه فتى من بني الحرث بن كعب فتعجب مما به، وجلس يتحدث معه، وسأله عن حاله، فشكى إليه عمرو وجده بها، وأنشد ما قال فيها، فرق له الفتى ورحمه. وسأله عن صفتها وصفة زوجها. فوصفها له. فقال له الفتى: عندي خبر هذه المرأة وهذا الرجل منذ سنين قليلة. فخر عمرو ساجداً ثم سأله عن حالها، فأخبره أنها سالمة وأنها باكية حزينة لا يهنيها شيء من العيش. قال عمرو: فهل لك في صنيعة عندي؟ فقال له الفتى: إذن افعل ما بدا لك. قال: تتخلّف عن أصحابك، وأتخلّف عن أصحابي حتى لا يكون عند أحد منهم علم. ثم أمضي معك متنكراً حتى تخفيني في موضع؛ ثم تعلمها بمكاني. فقال الفتى: لك ذلك في عنقي.

فلما كان السفر، تخلّف كل واحد منهما عن أصحابه. فجهد أصحاب عمرو أن لا يتخلف وأن يمضوا به فأبى عليهم فودعوه ومضوا. ثم مضيا حتى وصل به الفتى فأدخله مع أخته وامرأته في سترهما. ومضى إلى ريا فأخبرها. فكانت تجيء إليه كل يوم فيشكوان ما كانا فيه من البلاء، ويتحدثان. فاستراب زوجها غشيانها ذلك البيت. ولم تكن تغشاه ولا تعرف أهله، واستراب أيضاً تطبيب نفسها وأنها ليست كما كانت. وخرجت رفقة له إلى حرّان[1] فأخبرها أنه خارج معها. فخرج

---

(١) حرّان: مدينة على طريق الموصل والشام والرّوم، قيل: سمّيت بهاران أخي إبراهيم عليه السلام، لأنه أوّل من بناها، فعرّبت فقيل حرّان وذكر قوم أنها أول مدينة بنيت على الأرض =

وأقام ليلتين مختفياً في موضع. وأقبل راجعاً في الليلة الثالثة، وقد أمناه وظننا أنه قد خرج، فأتى عمرو إلى ريا فبسطت له بساطاً قدام البيت وتحدثا حتى غلبهما النوم، وهي مضطجعة إلى جانب البساط وعمرو إلى الجانب الآخر. وأقبل الرجل حتى وجدهما على تلك الحال. فنظر في وجه عمرو، فانتبه فزعاً. فقال له: ويلك يا عمرو، وما ينجيني منك برّ ولا بحر! فقال: يا ابن عمي، ما أنا والله على ريبة، ولا يسألني الله عن أهلك عن قبيح؛ ولكن نشأت أنا وهي وألفتها ونحن صبيان، ولست أستطيع عنها صبراً، وما بيننا أكثر من هذا الحديث الذي ترى. قال: أما أنا فلم أهرب إلى هذا البلد إلا منك.

فانصرفا راجعين وهي معهما حتى قدما على وطنهما، فأقاما بعده بيسير.

* * *

من أخبار جميل وبثينة

* حكى سنة بن عقال، عن الشعبي[1] قال: حدثني رجل من بني أسد، قال: إني لذات يوم في الحي إذ أقبل فتى نظيف الثوب، حسن الوجه، حتى وقف بي، فقال: يا فتى، هل نزل بك حي من بني عذرة؟ قال، قلت: نعم، وتيك بيوتهم. قال: وهل أحسست لي بكرة[2] صفتها كذا وكذا؟ قال، قلت: لا. فنزل ثم قال: أأنت منشدها[3] لي في أبيات الحي؟ قال: فخرجت وأنا أنشدها حتى مررت بالبيوت وأنا أنشد. فقالت لي جارية: عند الأكمة. فأشرفت على الأكمة فلم أر شيئاً فأخبرته، فأخرج سفرة معه ودعاني فأكلنا، ثم نام. وجعلت أراعيه حتى ظن أني قد نمت. فأخرج حلّةً من رحلة فلبسها، ثم اشتمل على سيفه وخرج حتى

= بعد الطوفان، وكانت منازل الصابئة، وهم الحرانيّون أصحاب كتاب الملل والنحل. «معجم البلدان لياقوت».

(١) الشعبي: هو عامر بن شراحيل المحدّث الإخباري رسول عبد الملك بن مروان إلى قيصر الروم. «تقدّم ذكره».

(٢) بكرة: ناقة.

(٣) منشدها: أي تطلبها.

أتى الأكمة وأنا أتبعه من حيث لا يراني. فإذا بها قاعدة كأنها مهرة عربية. فسلم عليها وسلمت عليه ثم قال لها: يا بثينة قلت فيك كذا، ولقيت فيك كذا.

ولم يزل يحدثها وينشدها، وتحدثه حتى إذا كان في السحر وضع رأسه في حجرها فنام ساعة. فلم يشعر إلا بالفجر قد برق. فقالت: قم يا جميل، لا يفضحنا الصبح.

قال: فرجعت مبادراً[1] حتى رميت بنفسي في الرحل. وجاء فأيقظني، ثم عمد إلى ثوب من ثيابه فكسانيه، فلم يزل جميل يغشاني في كل نهار وليلة، فأطير إلى الحي وآتيه فآخذ ميعاد بثينة إلى موضع يجتمعان فيه ويتحدثان إلى أن فطن بعض الحي بأمري. فقالت لي بثينة: انج بنفسك، فإن الحي قد شعروا بك، وقل لجميل موعدك «وسكن البطن»[2]. وأتيته فأخبرته، فمضى وانقطع عني خبره.

* * *

معروف يحيى البرمكي

* وروي عن يحيى بن خالد بن برمك قال: كنت أهوى جارتي دنانير، وهي لمولاتها زهراء، فلما وضع المهدي الرشيد في حجري[3] اشتريتها؛ فلم أسر بشيء من الدنيا مثل سروري بها وبملكها، فما لبثت إلا يسيراً حتى وجه المهدي ابنه الرشيد غازياً إلى بلد الروم، فخرجت معه، فعظم علي فراقها، فأقبلت لا أتهنا بطعام ولا شراب صبابة[4] بها وذكراً لها. فأنا ليلة في مضربي، وقد أصابني برد شديد وثلج كثير، وأنا أتقلب على فراشي أذكر الجارية، إذ سمعت غناء خفياً وصوت عود بالقرب مني. فأنكرت ذلك وجلست على فراشي فأشجاني الصوت من غير أن أفهم حتى أبكاني. فقمت، ولم أوقظ أحداً من العسكر، حتى انتهيت إلى

---

(١) مبادراً: مسرعاً.

(٢) سكن البطن: موضع خارج المدينة.

(٣) حجره: أي في رعايته لكي يتعهّد تربيته.

(٤) صبابة بها: عشقاً وجوًى.

خيمة صغيرة من خيام الجند، فإذا فيها سراج، فدنوت منها، فإذا فتى جالس، وإذا بين يديه ركوة فيها شراب وفي حجره عود يضرب عليه ويتغنى بهذا الصوت:

«من الطويل»

ألا يا لَقَومي أطلِقوا غِلَّ مُرتَهَنْ ومنُّوا على مستشعر الهمِّ والحَزَنْ[1]

ألم ترها بيضاء، روداً شبابها لطيفة طيِّ البطن كالشادن الأغن[2]

قال: فكلما غنى بيتاً بكى وتناول قدحاً فصب فيه من ذلك الشراب، وشرب، ثم يعود إلى مثل ذلك.

قال: فأقمت طويلاً أرى ما يفعل وأبكي لبكائه، ثم سلمت فرد السلام، واستأذنت فأذن لي فدخلت، فلما رآني جلّني وأوسع لي. فقلت: يا فتى خبرني بخبرك، وما أنت فيه، وما سبب هذا البكاء؟ قال: أنا فتى من الأنبار[3]، لي ابنة عم قد نشأنا جميعاً فعلقتها وعلقتني، ثم بلغنا فحجبت عني، فسألت عمي ليزوجنيها فأجاب، فمكثت حيناً احتال لمهرها حتى تهيأ فأديته، فدخلت بها، فلما أن كان يوم سابعها ضرب علي البعث وخرجت وبي من الشوق إليها ما لا أجده، فحملت معي هذا العود، فإذا أصبت شراباً في بعض هذه القرى أخذت منه شيئاً، ثم أفعل ما ترى تذكاراً إليها.

فقلت: فهل تعرفني؟ فأنكرني، فما أدري أتعمداً أم حقيقة.

قال: فقلت له: أنا يحيى بن خالد. فلما قلت له ذلك نهض قائماً. فقلت:

---

(١) الغلّ: القيد، والمرتهن: الأسير.

(٢) الرود: اللين، أي أنها في مقتبل العمر، وطيّ البطن: الخصر أو الكشح، والشادن الأغن: ولد الظبية المدرك أو المصوّن.

(٣) الأنبار: مدينة قرب بلْخ، وهي قصبة ناحية جوزجان، وهي على الجبل وبها كان مقام السلطان، وينسب إليها قوم من العلماء والأنبار كذلك مدينة على الفرات غربي بغداد، كانت الفرس تسمّيها فيروز سابور، أقام بها المنصور بعد أن جدّد بناءها إلى أن مات. «معجم البلدان لياقوت».

اجلس، فإذا كان غداً فالقني، فهذا مضربي بالقرب منك، فإني أصير منك إلى ما تحب.

قال: ووافق ذلك رسولاً قد هيأناه إلى المدينة، فما كان أسرع شيء حتى دنا الصبح وتهيّأ الناس للرحيل، فأول من لقيني ذلك الفتى، فأثبت[1] وجهه وقلت له: من أنت، وفي قيادة من أنت؟ فخبرني، فمضيت حتى دخلت على الرشيد ومعي المؤتمرات، فكنت آمرها على سمعة من عنوان يكون له فيها، فقلت: وفتى من الأنبار فلان بن فلان يطلق سراحه ويعطى عشرة آلاف درهم معونة له ويصحب فلاناً الرسول. ففعل ذلك وانصرف إلى أهله.

* * *

حديث عمر بن ربيعة وأسماء

* وقال: كان عمر بن أبي ربيعة يتعشق امرأة يقال لهاأسماء، فوعدته أن يزورها، فتهيأ لذلك يوماً فأبطأت عليه، فنام، فلم تلبث أن جاءت ومعها جارية، فضربت الباب فلم يستيقظ، فانصرفت وحلفت أن لا تأتيه حولاً. فقال عمر فيها قصيدته التي أولها: «من الرمل»

طَالَ ليلِي وتَعَنَّاني الطربْ ... واعتراني طولُ همٍّ ونَصَبْ[2]

أُشهدُ الرَحمانَ لا يَجْمَعُنا ... سقفُ بيتٍ رَجَباً حتى رَجَبْ[3]

فَبَعثنا طَبَّةً عالمةً ... تخلط الجد مراراً باللعبا[4]

ترفع الصوت إذا لانت لها ... وتراخي عند سورات الغضب[5]

---

(١) فأثبت وجهه: عرّف نفسه.

(٢) تغنّاه الطرب: عاوده، والنصب: التعب.

(٣) رجباً: استحياءً، ورجب: من الشهور العربية، وهو الشهر السابع وسمّي رجباً لتعظيمه.

(٤) الطبّة: العالمة الخبيرة والحاذقة.

(٥) سورة الغضب: شدّته.

(٦) ومنيف اللون: أي بارز وشديد البياض، أي ابتسمت فبانت أسنانها، ويروى: شتيت اللون. والثغب: الماء العذب البارد الصافي.

فأجابت يا فتى وابتسمت عن منيف اللون صاف كالثغب[1]

* قال حماد الراوية[2]: استنشدني الوليد بن يزيد شعراً كثيراً فما استعادني إلا هذه الأبيات[3]. وقال لي: يا حماد اطلب لي مثل هذه وأرسلها إلى سلمى.

* * *

حديث عمر بن أبي ربيعة والرّجل العذري

* ويروى عن حماد قال: أتيت مكة فجلست إلى جماعة في حلقة فيها عمر بن أبي ربيعة المخزومي، وإذا هم يتذكرون العذريين وعشقهم وصيانتهم، قال عمر: أحدثكم عن بعض، وذلك: أنه كان لي خليل من بني عذرة، وكان مشتهراً بحديث النساء فيتشبب بهن وينشد فيهن، على أنه لا عاهر الخلوة[4] ولا سريع السلوة[2] وكان يوافي الموسم في كل سنة، فإذا أبطأ ترجمت له الأخبار وولّفت[5] له الأشعار حتى يقدم فيتحدث حديث محزون كئيب. وأنه راث ـ أي أبطأ عني خبره ـ ذات سنة، حتى قدم وفد عذرة، فأتيت القوم وأنا أنشد عن صاحبي وإذا غلام قد تنفس الصعداء ثم قال: عن أبي المسهر تسل؟ قلت: نعم، عنه سألت. قال: هيهات هيهات أصبح والله أبو المسهر لا ميؤوساً فيهمل ولا مرجواً فيعلل؛ أصبح والله كما قال الشاعر: «من الطويل»

لَعَمْرُكَ ما حبي لأسماء تاركي صحيحاً ولا أقضي به فأموتُ

قلت له: وما الذي به؟ قال لي: هو ميت مولّه! قلت: ومن أنت يا ابن أخي؟

---

(١) هو حمّاد بن سابور بن المبارك، أبو القاسم، أوّل من لقّب بالراوية وكان من أعلم الناس بأيام العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها. أصله من الديلم، ولد في الكوفة وتوفي في بغداد سنة ١٥٥هـ.

(٢) يريد أبيات عمر بن أبي ربيعة السابقة.

(٣) عاهر الخلوة: يريد أنه ليس بفاجر.

(٤) سريع السلوة: أي ينسى بسرعة، فهو قد يقيم على الحبّ.

(٥) ولّفت: أي ألّفت أو أرسلت له.

قال: أنا أخوه. قلت: وما يمنعك أن تركب طريق أخيك الذي ركبه، وتسلك مسلكه. ألا إنك وأخاك كالوشي [١] والنجار [٢] لا ترفعه ولا يرفعك.

ثم انصرف وأنا أقول: «من الطويل»

أرائحةٍ حجّاج عذرة روحةً ولمّا يرحْ في القوم جعد بن مهجعِ
خليلانِ نَشكو ما نُلاقي من الهوى متى ما يَقُلْ أَسْمَعْ، وإن قال يُسمعِ
فلا يُبْعِدَنْك الله خلًّا، فإنّني سألقى كما لاقيت في الحبّ مصرعي

فلما كان في العام الآتي وقفت في الموضع الذي كنا نقف فيه بعرفات، فإذا شاب قد أقبل وقد تغيّر لونه، وساءت هيئته فما عرفته إلا بناقته، فأقبل حتى اعتنقني وجعل يبكي. قلت: ما هذا وما دهاك وما غالك؟ قال: برَّح الغرام وطول السقام. وأخذ يشكو إلي، فقلت: يا أبا مسهر، إنها ساعة عظيمة، فلو دعوت الله كنت تظفر بحاجتك. فجعل يدعو حتى إذا بدت الشمس للغروب وهمَّ الناس أن يفيضوا [٣]، سمعته يهمهم [٤] بشيء، فأصغيت إليه مستمعاً فجعل يقول: «من الرّجز»

يا ربَّ كلِّ غدوةٍ وروحة [٥]
من مُخْرِمٍ بعد الضّحى واللوحة [٦]
أنت حسيب الخطب يوم الدوحة [٧]

قلت: يا أخي، وما الدوحة؟ قال: سأخبرك إن شاء الله. فلما قضينا حجنا

(١) الوشي: نقش الأثواب من كلّ لون.
(٢) النّجار: اللون من الثوب، والأصل.
(٣) يفيضوا: يرحلوا، أو ينفضّوا.
(٤) يهمهم: يتكلّم بكلام مبهم.
(٥) الغدوة: المسير صباحاً، والروحة الإياب ليلاً.
(٦) الضحى: وقت ارتفاع الشمس، واللوحة: شدّة الحرارة، يقال: لوّحته الشمس.
(٧) حسيب الخطب: كافيه، والخطب: المصيبة وغيرها ممّا ينزل بالإنسان، والدوحة: يقصد يوم القيامة.

وأحللنا قلت له: حدثني بخبرك! قال: نعم، أعلمك أني امرؤ ذو مال كثير من نعمٍ وشاءٍ، وإني خشيت على مالي التلف فأتيت أخوالي فأوسعوا لي عن صدر المجلس فكنت في عز أخوالي، فخرجت يوماً إلى مالي وهو ببعض مياههم، وركبت فرسي، وعلقت معي شراباً أُهدي إلي. فانطلقت حتى إذا كنت بين الحي ومرعى النَّعَم رفعت لي دوحة عظيمة فقلت: لو نزلت تحت هذه الشجرة وتروّحت مبرداً! فنزلت وشددت فرسي بغصن من أغصانها، ثم جلست وقدمت شرابي، فإذا بغبار قد سطع من ناحية الحي فبدت لي ثلاث شخوص، وإذا فارس يطرد عنزاً وأتاناً، فلما قرب مني إذا عليه درع أصفر وعمامة خز سوداء، وإذا فروع شعره تنال كعبه. فقلت في نفسي: غلام حديث السن راكب على فرسٍ أعجلته لذة الصيد، فأخذ ثوب امرأته ونسي ثوبه. فما لبث أن لحق بالعنز فطعنه ثم عطف على الأتان فقتلها، ثم قال: «من السريع»

نطعنهم سُلكى ومخلوجةً كرَّكَ لأمين على نابل[1]

فقلت له: إنك قد تعبت وأبقيت فرسك، فلو نزلت. فثنى رحله، وشد فرسه بغصن من أغصان الشجرة، ثم أقبل حتى جلس قريباً مني فجعل يحدثني حديثاً كأنه الدر، ذكرت به قول الشاعر: «من الطويل»

وإن حديثاً منك لو تبذلينه جنى النحل في ألبان عوذٍ مطافل[2]

قال: فبينما هو كذلك إذ نقر بالسوط على ثنيتيه[3]، فرأيت والله خلل السوط بينهما فما ملكت نفسي أن قبضت على السوط وقلت: أخاف أن تكسرهما فإنهما

---

(١) هذا البيت لامرىء القيس، والسُّلكى: الطعنة المستقيمة، والمخلوجة على اليمين وعلى اليسار، وقوله «كرك لأمين على نابل»: كردّ سهمين على رامٍ رمى بهما.

(٢) جنى النحل: أي العسل، والعوذ: الإبل التي وضعت أولادها حديثاً، والمطافل: أي المطفلة التي لها أولاد، والبيت لأبي ذؤيب الهذلي. «اللسان».

(٣) الثنية: الأسنان الأربع في مقدّم الفم.

رقيقان. وقال: وهما مع ذلك عذبتان. قال، ثم رفع عقيرته وجعل يغني:
«من الطويل»

إذا قَبَّلَ الإنسان ممّن يُحبُّهُ ثناياه لم يأثم وكان له أجرا
فإن زاد زاد الله في حسناته مثاقيلَ يمحو الله عنه بها وزرا[1]

ثم قال لي: ما هذا الذي علّقت على سرجك؟ قلت: شراب أهداه إلي بعض أهلي، فهل لك فيه؟ قال: وما أكره منه؟ فأتيت به فوضعته بين يديه. فلما شرب منه نظرت إلى عينيه كأنهما عينا مهاة قد أضلت ولداً فأذعرهما قانص. فعلم نظري فرفع عقيرته وجعل يغني: «من البسيط»

إنَّ العيونَ التي في طَرْفِها حَوَر قتلتنا ثم لم يحيين قتلانا[2]
يَصْرَعْنَ ذا اللبّ حتى لا حراك به وهُنَّ أضعفُ خلقِ اللّهِ إنسانا[3]

فقلت له: من أين لك هذا الشعر؟ قال: وقع رجل منا باليمامة فأنشدنيه.

قال، ثم قمت لأصلح شيئاً من أمر فرسي، فرجعت وقد حسر العمامة عن رأسه، فإذا غلام كأنما وجهه الشمس حسناً، فقلت: سبحانك اللهمَّ ما أعظم قدرتك، وأجل صنعك. قال: فكيف؟ قلت له: مما راعني من نورك وبهرني من جمالك. قال: وما الذي يروعك من رهن تراب ورزق دواب ثم لا تدري أينْعُم بعد ذلك أم لا؟ قلت: بل يصنع الله بك خيراً إن شاء الله.

ثم أقبل على فرسه؛ فلما أقبل برقت لي بارقة من الدرع، فإذا ثدي كأنه حقٌّ[4]، فقلت: نشدتك الله امرأة؟ قالت: أي والله امرأة تكره العهر وتحب الغزل. فقلت: وأنا والله كذلك. فجلست والله تحدثني ما أفقدُ من أُنْسِها شيئاً حتى مالت على الدوحة سكرى، فاستحسنت، والله يا ابن أبي ربيعة، الغدر، وزيّن في عيني،

(١) المثاقيل: جمع مثقال، وهو ما يوزن به.
(٢) الحور: شدّة بياض العين وشدّة سوادها، والطرف: العين.
(٣) اللبّ: العقل، والبيتان لجرير العطفي.
(٤) الحقّ: وعاءٌ صغير يوضع فيه الطيب.

ثم إن الله عصمني. فما لَبثْتُ أن انتهبت مرعوبة، فلاثت[1] عمامتها برأسها وأخذت رمحها وجالت في متن فرسها، فقلت: زوديني منك زاداً. فأعطتني ثوباً من ثيابها، فشممت منه كالروض الممطور. ثم إني قلت: أين الموعد؟ فقالت: إن لي اخوة شوساً[2] وأباً غيوراً؛ والله، لأن أسرّك أحبُّ إليّ من أن أضرّك.

قال: ثم مضت فكان والله آخر العهد بها إلى يومي هذا. فهي التي بلغت بي هذا المبلغ، وأحلّتني هذا المحل. قلت له: والله يا أبا المسهر، والله ما كان يحسن الغدر إلا بك. فإذا به قد أخضلت لحيته بدموعه باكياً. فقلت: والله ما قلت هذا إلا مازحاً. ودخلتني له رقة. فلما انقضى الموسم شددت على ناقتي وشدّ وحملت غلاماً لي على بعير وحملت عليه قبّةً أدم[3] حمراء كانت لأبي ربيعة، وأخذت معي ألف دينار ومطرفاً[4] ثم خرجنا حتى أتينا كلباً فسألناه عن الشيخ فإذا هو في نادي قومه، فسلمت فقال: وعليك السلام، من أنت؟ قلت: عمر بن أبي ربيعة المخزومي. قال: المعرّف غير المنكر؛ فما الذي جاء بك؟ قلت: خاطباً. قال: أنت الكفء الذي لا يرغب عن حسبه، والرجل الذي لا يُردّ عن حاجته. قلت له: إني لم آتك عن نفسي، وإن كنت موضع الرغبة، ولكن أتيتكم في ابن أخيكم العذري. وقال: والله إنه لكفء الحسب، غير أن بناتي لا يقعن إلا في هذا الحي من قريش. فعرف الجزع في نفسي وتبيّن له في وجهي، وقال: أنا أصنع لك شيئاً لا أصنعه لغيرك. قلت: ما هو؟ قال: أخبرها لأنك أنت تختار لغيرك. فأومأ إليّ صاحبي أن أمره أن يخبرها. فقلت: افعل. ثم مضى الشيخ. وقد أتى وقال لي: إنها قالت: إن الأمر أمرك والرأي للقرشي يختار لي ما رأى. فحمدت الله عز وجل وصليت على نبيه ﷺ وقلت: قد زوجت الجارية بجعد بن مهجع، وأصدقتها ألف دينار، وهي هذه، وجعلت كرامتها الغلام والبعير والقبة

(١) لاثت: عصبت ولفّت.

(٢) الشوس: الشجعان وأولو البأس.

(٣) أدم: جلد.

(٤) المطرف: رداءٌ من حرير ذو أعلام.

وكسوت الشيخ المطرف فقبله، وسألته أن يبني بها[1] من ليلته، فأجابني إلى ذلك. وضربت القبة في وسط الحي وأهديت إليه ليلاً. وبتّ عند الشيخ خير مبيت.

فلما أصبحت غدوت فقمت بباب القبة، فخرج إلي، فقلت له: كيف كنت بعدي؟ وكيف هي؟ فقال: أبدت لي كثيراً مما أخفت يوم رأيتها. فقلت: عليك أهلك، بارك الله لك فيهم. وانطلقت إلى أهلي وأنا أقول: «من الطويل»

كَفَيْتُ أَخي العذريَّ ما قد أصابه ... ومثلي لأثْقَالِ النوائبِ أَحْمَلُ[2]

أما استحسنت مني المكارم إنها ... إذا عرضت إني أقول وأفعل

* * *

حديث الرجل العقيلي

* وحكى المدايني[3]: أن رجلاً من بني عقيل[4] كان يسمى صخراً، وكانت له ابنة عم تدعى ليلى، فكان بينهما حب مبرح ولم يكن أحدهما يصبر عن الآخر ساعة واحدة، وكان لهما مكان يجتمعان فيه للحديث في كل ليلة. ثم أن أبا صخر زوج صخراً لامرأة من الأزد، وصخر لذلك كاره؛ فلما بلغ ليلى الخبر قطعته، فمرض مرضاً شديداً. فكان أهله يقولون سحرته ليلى، لما كانوا يرونه يصنع بنفسه. وكانت ليلى أشد وجداً به وحباً له. فأرسلت جاريتها إليه وقالت لها: اذهبي إلى مكاننا وانظري هل تري صخراً، فإذا رأيته فقولي له: «من الرّجز»

تعْساً لمن بغير ذنب يَصْرِمُ ... قد كنتَ، يا صخرُ، زماناً تَزْعُمُ

أنك مشغوفٌ بنا متيَّمُ ... حتى بدا منك لنا الجمجم[5]

---

(١) يبني بها: أي يدخل عليها.

(٢) النوائب: نوازل الدهر.

(٣) المدايني: هو علي بن محمد بن عبد الله، أبو الحسن المدائني، راوية مؤرخ، كثير التصانيف، من أهل البصرة، سكن المدائن، وإليها ينسب. توفي في بغداد سنة ٢٢٥هـ.

(٤) المشغوف: العاشق المتلهّف، والجمجم: أي الخفي، وجمجم الصوت: ردّده خفية.

(٥) الشنّ البالي: أي كالقربة البالية الخلقة.

قال: فأتته الجارية فأبلغته قولها، ووجدته كالشن البالي [1] وجداً وحزناً، فقال: قولي لها: «من الطويل»

فهمتُ الذي عَيَّرتِ، واللَّهُ شاهدٌ ... لَمَا كان عن رأيي ولا كان عن أمري
فإن كنتُ قد سُمِّيتُ صَخراً فإنّني ... لأضعف عن حمل القليل من الهجر
ولست، وربِّ البيت، أبغي سِواكُمُ ... حبيباً ولو عشنا إلى ملتقى الحشر

فقالت له الجارية: يا صخر، إن كنت كارهاً لتزويج أبيك لك فاجعل امر امرأتك بيدي لتعلم ليلى أنك لغيرها قالٍ [2] ولعهدها راع، وأنك مكرهاً. قال: قد فعلت. قالت: فهي طالق منك ثلاثاً. وأخبرت ليلى، فأظهرت من ذلك جزعاً وتراجعا إلى ما كانا عليه من اللقاء، والجارية تختلف بينهما. ولم يُظهر صخر طلاق امرأته حتى قال له أبوه: يا صخر ألا تبتني بأهلك؟ قال: وكيف وقد بانت مني في يمين حلفت بها. فأعلم أبوه أهل المرأة فقالت المرأة تهجو ليلى: «من الطويل»

ألا بَلِّغا عني عقيلاً رسالةً، ... فما لعقيلٍ من حَياءٍ ولا فضلِ [3]
نساؤكم شرّ النساء، وأنتمُ ... كذلك، إن الفرع يجري على الأصل
أما فيكم حُرٌّ يَغارُ بأختهِ؟ ... وما خير حرٍّ لا يغار على الأهل!

قال: وهجتها ليلى حتى شاع خبرها، وسعت الجارية إلى أهل صخر وأهل ليلى وما هما عليه، وأنهما يخاف عليهما من لؤم الفعل. ولم تزل حتى جمعت بينهما وتزوجها.

* * *

قصّة المهدي والعاشق

* وحكى الأصمعي قال: خرج المهدي حاجاً، حتى إذا كنا ببعض الطريق، إذا أعرابي يقول: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداك، أنا عاشق. ـ وكان المهدي

---

(١) القالي: المبغض والهاجر.
(٢) عقيل: يريد قبيلة بني عقيل.
(٣) الهجين: الذي أمّه غير عربية.

يحب ذكر العشاق وحديثهم ـ موكل به بعض الغلمان. فلما نزل أمر بإحضاره، قال: أنت المنادي؟ قال: نعم، يا أمير المؤمنين. قال له: ما اسمك؟ قال: أبو ميَّاس. قال أمير المؤمنين: مَن عشيقتك؟ قال له: ابنة عمي، وقد أبى علي أبوها أن يزوجنيها. قال: لعله أكثر منك مالاً؟ قال: أنا أكثر منه مالاً! قال له: فما قصتك؟ قال له: ادن رأسك مني. فجعل المهدي يضحك، وأصغى إليه برأسه. قال له: إني هجين. قال له: ليس يضرك ذلك أخو أمير المؤمنين وأكثر أولاده هجناء! ثم قال له: وأين عمك؟ قال له: على ثلاثة أميال.

قال: فأرسل أمير المؤمنين في طلبه فجيء به فقال له: ما لك لا تزوج أبا مياس، فإني أرى عليه نعمة؟ قال: متاع سوء، وليس مثلي يزوّج مثله. قال: فإن الذي كرهت ليس مما يعاب به عندنا، وأنا معطٍ صداق ابنتك عشرة آلاف درهم، ومعوّضك مما ذكرت عشرة آلاف درهم! قال: فذلك لك! قال: فخرج أبو مياس وهو يقول: «من الكامل»

وابتعت ظبية بالغلاء وإنما ... يعطي الغلاء لمثلها أمثالي

وتركت أسواق القباح لأهلها ... إن القباح وإن رخصن غوالي[1]

* * *

قصة المنتصر بالله والجارية

* قال سعيد الصغير: كان المنتصر بالله[2] في أيام إمارته وجهني إلى مصر في بعض أمور السلطان، فاعترضت عند بعض النخاسين جارية تامة المحاسن حاذقة بالغناء. فأبى مولاها أن يأخذ مني إلا ألف دينار. ولم تكن تحضرني، ولا وجدت أن أقرضها، وأزعجني الشخوص[3]، وقد علقها قلبي، وأخذني المقيم

---

(١) القباح: من القبح، ويريد بالشطر الثاني أنك مهما دفعت في المرأة الدميمة من مهر، فإنك مغبون.

(٢) المنتصر بالله هو الخليفة العباسي الحادي عشر. مات مسموماً بعد مبايعته بستة شهور.

(٣) الشخوص: الرجوع من السفر إلى الدّيار.

المقعد من حبها. فلما قدمت إلى المنتصر وعرفته ما بعثني فيه، سألني عن حالي وخبري. فأخبرته بمكان الجارية وكلفي بها، وقصتي مع مولاها. فأعرض عني وصار ما بي يزداد. ولم أملك صبراً. وجعل المنتصر كلما دخلت وخرجت من عنده، يذكرها ويهيج أشواقي إليها، ويعيّرني بقلة الصبر عنها. وكان قد أمر ابن الخصيب[1] أن يكتب إلى مصر في شراها وحملها إليه من حيث لا أعلم ولا أدري.

فلما سارت إليه، وعَرَضتْ عليه أمرَها، فغنّت وعذرني، فأمر قيّمة جواريه فأصلحت من شأنها. فلما ذهب عنها ألم السفر استجلسني يوماً وهو على فراشه. فلما غنى جواريه كانت آخرهن. فلماسمعتها عرفتها وكرهت أن أعلمه حتى ظهر علي ما كتمت، وغلب علي الصبر، فقال لي: ما لك يا سعيد؟ قلت: خيراً أيها الأمير!

قال: فاقترح عليها صوتاً كنت أعلمته أني سمعته منها فاستحسنه من غنائها، فغنته، فقال: هل تعرف هذا الصوت؟ قلت: أي والله أيها الأمير، فما تكون المعرفة وقد كنت أطمع في صاحبته! فأما الآن فقد يئست منها وكنت كقاتل نفسه بيده، وجالب حتفه إلى حياته. قال: والله يا سعيد ما اشتريتها إلا لك، وما يعلم الله أني رأيت لها وجهاً إلا الساعة التي أدخلت علي، وأنا تركتها حتى استراحت من تعب السير، وهي لك.. فأكببت على رجليه، ودعوت له بما أمكنني من الدعاء؛ وشكره عني من حضر من الجلساء، وأمر بها فحملت إلى منزلي. فما أحد أحظى عندي منها، ولا لي ولد أحب من ولدها.

* * *

(١) ابن الخصيب: هو أحمد بن الخصيب وزير المنتصر، وكان ظالماً، يروى أنه ركل متظلماً أتاه وهو على فرسه فقتله، فقال بعض الشعراء فيه:

قل للخليفة يا ابن عمِّ محمّدٍ ... إشكل وزيرك إنّه ركّال
إشكله عن ركل الرجال فإن ترد ... مالاً فعند وزيرك الأموال

«مروج الذهب».

من أحاديث المؤلفين

من أخبار حبابة المغنّية

* وحكى محمد بن سلام(1)، عن يونس، قال: حج سليمان بن عبد الملك فاشترى حبابة (2) بألف دينار، وكان اسمها العالية، فلما رحل بها قال الحرث بن خالد المخزومي: «من الكامل الأحذّ»

ظَعَنَ الأميرُ بأحسنِ الخَلْقِ ... وغدا بليلٍ مطلعُ الشرقِ(3)

وبَدَتْ لنا من تحت كِلَّتها ... كالشمس أو كغمامة البرقِ(4)

قال: وبلغ خبرها يزيد بن عبد الملك فقال: لقد هممت أن أحجر(5) على سليمان. فبلغ سليمان ذلك فاتّقاه وردّها على مولاها، فاشتراها رجل من أهل مصر من مولاها بأربعة آلاف دينار ورحل بها إلى مصر، وكانت في نفس سليمان إلى أن ولي الخلافة. فقالت له يوماً سعدى بنت عبد الله بن عمر بن عثمان زوجته: يا أمير المؤمنين، هل بقي في نفسك شيء تتمناه؟ قال: نعم، حبابة. فأرسلت سعدى رجلاً إلى مصر فاشتراها بخمسة آلاف دينار وسار بها إلى سعدى، فاستأذنت سليمان

---

(1) هو محمّد بن سلّام الجمحي، أحد الإخباريين الرواة واللغويين النحاة، وصاحب كتاب طبقات الشعراء الذي تضمّن آراء جيدة في النقد. توفي حوالي سنة ٢٣١هـ.

(2) هي حبابة المغنّية.

(3) ظعن: رحل.

(4) اكِلّة: الستر الرقيق.

(5) أحجر: أضيّق، وأمنع عليه التصرّف بالمال.

أن تتنزه في بستانه بالغوطة[1]، وأن يزورها إذا استزارته. فأذن لها، فصيَّفت حبابة وهيأتها وأعلمتها بمكانها من قلب سليمان، وضربت له قبة وشي وفرشتها. ثم أرسلت إلى سليمان تستزيره، فزارهاـ وقد أجلست حبابة وراء سرير وقالت له: يا أمير المؤمنين هل بقي في نفسك شيء تتمناه؟ قال: نعم، حبابة. قالت: يا أمير المؤمنين إني قد أخذت لك جارية ذكرت أنها قد أخذت عن حبابة، فهل لك أن تسمعها؟ فقال: إن شئت. قالت: غني يا جارية. فغنت سليمان صوتاً كان سليمان قد سمعه منها بالمدينة.

قال، فلما سمعه قال: حبابة ورب الكعبة. فقالت: هي حبابة، ولك اشتريتها، فشأنك بها. فقامت وانصرفت وخلتهما، فكان سليمان لا يزال يشكر سعدى على ذلك.

* * *

أخبار القرشيات

* وروى الهيثم بن عدي[2]، أن الحسن بن علي تزوج حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان المنذر بن الزبير يهواها، فبلغ الحسن عنها شيئاً أنكره فطلقها، فخطبها المنذر فأبت أن تتزوجه، وخطبها عاصم بن عمر بن الخطاب فتزوّجته، فرمى إليه المنذر بن الزبير عنها شيئاً فطلّقها، وخطبها المنذر فأبت أن تتزوجه فدسّ لها امرأة من قريش، فأتتها فتحدثت معها ثم ذكرت لها المنذر، وأعلمتها أنه قد شهر بحبها، فقالت: قد خطبني فآليت أن لا أتزوجه. قالت: ولم ذلك؟ فوالله إنه لفتى قريش وشريفها وابن شريفها. قالت: شهرني وفضحني. قالت لها: والآن ينبغي أن تتزوجيه ليعلم الناس أن كلامه كان باطلاً. فوقع في نفسها كلامها، وجاءت المرأة إلى المنذر فقالت: اخطبها فقد أصلحت لك قلبها. فخطبها فتزوجته، فعلم الناس أنه كان يكذب عليها.

---

(١) الغوطة: بستان في دمشق.

(٢) هو الهيثم بن عدي المؤرِّخ الإخباري «تقدم ذكره».

وكان في نفس الحسن منها شيء، وكان إنّما طلّقها لما أبلغه عنها الزبير. فقال الحسن يوماً لابن أبي عتيق: هل لك في العقيق[1]؟ قال: نعم. فعدل الحسن إلى منزل حفصة فدخل عليها، فتحدثا طويلاً، ثم خرج، ثم قال لابن أبي عتيق يوماً آخر: هل لك في العقيق يا ابن أبي عتيق؟ فقال له: ألا تقول هل لك في حفصة فتصير إليها على علم، وأسعى لك منها فيما تحب؟! فقال الحسن: استغفر الله.

* * *

يمينٌ تحلّله الفتوى

* ويُروى أن عبد الله بن أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، تزوج عاتكة بنت زيد بن عمر بن نفيل فعشقها وأحبها حباً شديداً وكانت عنده حتى توفي عنها. وكان قد أخذ عليها يميناً أن لا تتزوج بعده، فجاءها عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، فأفتاها أن تتزوج، فقالت: لست أقبل في هذا كلامك وحدك ـ لأنه قد بلغها أنه يريد أن يتزوجها ـ فجاءت بعلي بن أبي طالب، رضي الله عنه، فأفتاها بذلك، فخطبها عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتزوجته، فبعث إليها بعشرين ديناراً كفّرت بها عن يمينها، ثم توفي عنها فخطبها طلحة بن عبيد الله، فلقي الزبير بن العوام هناد بن الأسود، وكان لهناد امرأة كانت صديقة لعاتكة فقال له الزبير: ما أنا عنك براض حتى تزوجني عاتكة بنت زيد. قال، فحلف هناد لامرأته إن هي لم تزوج الزبير لعاتكة ليجلدنها مائة جلدة. فانطلقت امرأة هناد لعاتكة، وكانت عندها حتى آتاها رسول طلحة بن عبيد الله فقالت له: فديتك ومن يردّ طلحة لقدمه وشرفه وسخائه؟ ولكن ردي رسوله اليوم فإنه سيزيدك ضعفا ما أراد أن يعطيك. فردته، فقالت امرأة هناد لهناد: إلقَ طلحة فقل له: أما تستحي أن عاتكة ردتك وحلفت أن لا تتزوجك؟ ففعل ذلك، فقال طلحة: لا أتزوجها أبداً. فأمرت الزبير أن يرسل إليها، فجاءها رسوله وهي عندها فقالت لها امرأة هناد: قد بلغك ما في حق الزبير

(١) العقيق: اسم وادٍ بمكة، تقدّم ذكره.

من الشدَّة؛ أما والله لـو تزوجتـه ثم غلبت عليه ليكـونن لك بـذكر الشـرف في نساء قريش ، ثم لم تزل بها حتى تزوجت الزبير .

* * *

بين جميل وكثيِّر عزة

* وكـان جميل أيضـاً لما اشتهـر في بثينة تـوعَّده أهلهـا، فكان يـأتيهـا سـراً فجمعوا له جميعاً يرصدونه، فقالتِ بثينة: يـا جميل، احـذر القوم. فـاستخفى وقال في ذلك: «من الطويل»

ولـو أنّ ألـفـاً دون بـثـنـة كـلُّهـم غَيـارى وكـلُّ حَـارِبٍ مُـزْمِـعٌ قَتْلي[1]؟
لحـاولتهـا، إمـا نهـاراً مجـاهـراً، وإما سُرَى ليـلٍ وإن قطَّعوا رجلي[2]

فالتقى جميل وكُثَيِّر فشكا كل واحد منهما إلى صاحبه أنه محصـور لا يقدر أن يزور. فقال جميل لكثير: أما رسولـك إلى عزَّة. قـال: فَأتِهِم فَـأنْشِدْهُم ثـلاثَ نوق سود مررن بـالقاع، ثم احفظ مـا يُقال لـك. قال فـأتاهم جميـل ينشدهم فقـالت له جاريتها: لقد رأينا ثلاثاً سـوداً مررن، عهـدي بهن تحت الطلحـة[3] فانصـرف حتى أتى كثير فأخبره. فأقاما، فلما نَصَف الليل أتيا الطلحة فإذا عزة وصاحبة لها. فتحدثا طويلاً، وجعل كثير يرى عزة تنظر إلى جميل. وكان جميل جميـلاً وكان كثيـر دميماً فغضب كثير وغار، وقال لجميل: انطلق بنا قبـل أن نصبـح؟ فانـطلقا، ثم قـال كثير لجميـل: متى عهدك ببثينـة؟ قال: في أول الصيف، وقعت سحـابـة بـأسفـل وادي الدوم[4] فخرجت معها جارية ترخص[5] ثياباً.

---

(١) الحارب: الغاضب، والمزمـع: العازم.
(٢) السُّرى: المسير في الليل.
(٣) الطلحة: هي شجرة الطلـح ، نوعٌ من شجر العضاه أو الطلـع .
(٤) وادي الدوم: إسم مكان، ولعلّه وادي الظلّ، حيث يكثر الشجر.
(٥) ترخص: تليِّن وتنعّم، ولعلّها تغسل، لأن الشعر يفيد ذلك.

قال: فخرج كثير حتى أناخ بآل بثينة فقالوا: يا كثير حدثنا كيف قلت لزوج عزة حين أمرها بسبّك؟ قال كثير: خرجنا نرمي الجمار فوجدني قد اجتمع الناس بي فطالعني زوجها، فسمع مني إنشاداً، فقال لعزة: اشتميه. فقالت: ما أراك إلا تريد أن تفضحني! فألح وحلف عليها، فقالت:

هنيئاً مريئاً غير داءٍ مخامرٍ لعزّة من أعراضنا ما استحلّت[1]

فقالت بثينة: أحسنت يا كثير. وقلت أبياتاً لعزة أعاتبها فيهن وأنشدتها:

«من الطويل»

فقلتُ لها يا عزُّ أرسل صاحبي على بُعْد دارٍ والموكّلُ مُرْسَلُ
بأن تجعلي بيني وبينك موعداً وأن تأمريني بالذي فيه أَفْعَلُ
وآخرُ عهدٍ منك يوم لقيتكُمْ بأسفل وادي الدوم والثوب يُغْسَلُ

فقالت بثينة: يا جارية، أبغنا حطبا من الروضات لنذبح لكثير عريضاً[2] من البهم. فراح إلى جميل فأخبره.

ثم إن بثينة قالت لبنات خالتها، وكانت اطمأنت إليهن وتطلعهن على حديثها: اخرجن بنا إلى الدومات فإن جميلاً مع كثير، وقد وعدته. فخرج جميل وكثير حتى أتيا الدومات، وجاءت بثينة وصواحبها. فما برحن حتى بَرَق الصبح. وكان كثير يقول: ما رأيت مجلساً أحسن من ذلك المجلس، ولا فهماً أحسن من فهم أحدهما من صاحبه، ما أدري أيهما كان أفهم!

* * *

من وصايا الجاحظ في استرضاء النّساء

* قال أبو عثمان الجاحظ: إذا ابتلى الرجل بمحبة امرأة لنظرة نظر إليها، ولمحة منها، لم يكن يزوَّج مثله مثلها وكانت ممتنعة، فالحيلة في ذلك أن يرسل

---

(١) الداء: المرض، والمخامر: المخالط الجوف.

(٢) الغريض: اللّين الطري اللحم من الجزور.

إليها امرأة قد كملت فيها سبع خصال منهن: أن تكون كتومة السر؛ وأن تكون خدّاعة لها معرفة بالمكر؛ وأن تكون فطنة متيقظة؛ وأن تكون ذات حرص؛ وأن تكون ذات حظ من مال ولا تحتاج إلى الناس ولا ينكر الناس اختلافها ودخولها عليها، بأن تكون إما بياعة طيب، أو قابلة، أو صانعة لآلة العرائس، وتقدم إليها أرق وألطف ما تقدر عليه، ولا تدع شيئاً من الشكوى واللطف، وتخبرها أن نفسه في يدها، وأنها متمثلة بين عينيه، وأنه لا ينسى ذكرها، وأنه يراها في المنام كل ليلة تضربه وتخاصمه، وأنه إن لم ير منها نظرة أو خلوة هلك، وإنه لم يمنعه من خطبتها إلا خشية الامتناع من أهلها إن كان دونهم في الحسب والجاه والمال، وخوف التمنّع منها هي أيضاً. فإنها إذا سمعت هذا وأمثاله مرة أو مرتين لم تدع أن تمكنه بمال إن قدرت عليه وأذنت له في خطبتها من أوليائها، فإذا شاوروها في ذلك رضيت، وقد تمكن قوله من قلبها، توصل منها إلى ما أراد بحلال التزويج دون حيلة من حيل الحرام.

* * *

من أخبار الشعراء

* قال الزبير بن بكار: خرج أبو السائد المخزومي[1] وعبد الله بن جندب إلى موضع يتنزهان فيه، فلقيا ابن المولى الشاعر[2]، فصاح به ابن جندب، فقال: ما شأنك؟ وأنشد: «من الطويل»

وأبكي فلا ليلى بَكَتْ من صَبَابةٍ ... لِمَا بي ولا ليلى لِذِي الودِّ تَبْذُلُ
واخضعُ للعُتْبَى إذا كنتُ مذنباً ... وإنْ أذنبت كنت الذي أَتَنصَّلُ[3]

---

(١) لعلّه أبو السّايب المخزومي. «تقدّم ذكره».

(٢) هو محمد بن عبد الله بن مسلم مولى بني عمرو بن عوف من الأنصار، شاعر متقدّم مجيد، كان ظريفاً عفيفاً، توفي سنة ١٧٠هـ.

(٣) العتبى: المرأة المعاتبة اللائمة، وأتنصل: أتخلّص وأعتذر.

وقد زعمت أنّي سلوت وأنّني ثباتيَ عن إتيانها مُتَعَلّلُ

قال ابن جندب: من ليلى هذه؟ امرأته طالق إن لم أفدها. قال: هي والله يا أخي فرسي سميتها ليلى.

* قال الزبير بن بكار: قال عمر بن ربيعة المخزومي: «من الوافر»

أحُنُّ إذا رأيتُ جمال سُعَدْى وأبكي إن سَمِعْتُ لها حنينا[1]
وقد أزِفَ المسيرُ فَقُلْ لسعدى فديتُك أخبري ما تأمرينا[2]

قال: فسمعه ابن أبي عتيق فخرج حتى أتى الحيّان من أرض غطفان، ثم أتى خيمة سعدى، فاستأذن عليها وأنشدها البيتين ثم قال لها: ما تأمريه به؟ قالت: آمره بتقوى الله.

* * *

حديث الصديق والمرأة العاشقة

* أبو غسان المهدي قال: مرَّ أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، في خلافته بطريق من طرق المدينة، فإذا جارية تطحن وتنشد: «من الكامل»

وعَشِقْتُه من قَبْلِ قطع تمائمي مُتَمايِساً مِثْلَ القضيبِ الناعمِ[3]
وكأنّ نورَ البدرِ سُنّةُ وجهه ينمى ويصعد في ذؤابة هاشم[4]

فدقّ عليها الباب فخرجت إليه، فقال: ويلك أحرّة أم مملوكة؟ قالت: مملوكة يا خليفة رسول الله. قال: فمن هو؟ قال: فبكت ثم قالت: يا خليفة

---

(١) الحينن: الصويت.
(٢) أزف: حان ودنا.
(٣) التمائم: جمع تميمة، وهي عوذة تعلّق على الجسد لدفع أذى العين، والمتمايس: المتمايل.
(٤) السّنة: صورة الوجه، وذؤابة هاشم: فرعها الزاكي الرفيع.

رسول الله بحق الغير ألا انصرفت عني؟! قال: وحقه لا أريم[1] مكاني أو تعلميني! . فقالت: «من الكامل»

وأنا التي لَعِبَ الغرامُ بقلبها   فَبَكَتْ بحبٍّ محمدِ بْنِ القاسم

قال: فسار إلى المسجد وبعث إلى مولاها فاشتراها منه. وبعث إلى محمد بن القاسم بن جعفر بن أبي طالب، رضي الله عنه، وقال: هؤلاء فِتَنُ الرجال، فكم مات بهن كريم، وعَطب[2] عليهن سليم!! .

* * *

قصّة العاشق المتّهم بالسرقة

* وكان فتى من أهل الكوفة عاشقاً لجارية، وكان أهلها قد أحسوا به فتوعّدوه ورصدوه، فلم يقدر على الوصول إليها فواعدها في ليلة مظلمة أن تسير إليه. وأتى فتسور عليها حائطاً. فعلم به أهلها فأخذوه وأتوا به خالد بن عبد الله القسري[3] وقالوا له: إنه لصٌّ تسوّر علينا من الحائط. فسأله خالد عن ذلك فكره أن يجحد السرقة فيفضح الجارية، فقال: أسارق أنت؟ قال: نعم، أصلح الله الأمير. فأمر بقطع يمينه. وكان للجارية ابن عم من أهل الفضل قد اطّلع على بعض شأنه فأخذ رقعة وكتب فيها هذه الأبيات: «من الطويل»

أخالدُ قد، والله، أُوطئت عشوةً   وما العاشق المظلوم فينا بسارق[4]

أقَرَّ بما لم يجنِ عمداً لأنّهُ   رأى القطع خيراً من فضيحةِ عاشق

ولولا الذي قد خِفْتُ من قَطْعِ كفِّهِ   لألفيتُ في أمرِ الهوى غير ناطقِ[5]

---

(١) أريم: أترك وأبرح.

(٢) عطب: مرض واعتل، أو أصابه مكروه.

(٣) خالد بن عبد الله القسري والي العراق. «تقدّم ذكره».

(٤) أوطئت: من وطىء الشيء إذا داسه، وهو هنا يريد أنّه اتهم بغير ذنب ركبه، والعشوة: الظلمة.

(٥) يريد لولا أن يتّهم بالسرقة، لأن قطع الكفّ عقاب السارق لما باح بهوى نفسه.

إذا مــدَّت الغـايــات في السَّبْقِ للعلى فــأنــت ابــن عــبــدِ الله أوّلُ ســابــقِ

ثم حذف الرقعة فوقعت في حجر خالد فقرأها ثم أمر بالفتى إلى السجن، وصرف القوم. فلما خلا مجلسه دعا به فسأله عن قصته فعرَّفه، فبعث إلى أبي الجارية فقال: قد عرفت قصة هذا الفتى فما يمنعك من تزويجه؟ قال: خوفُ العار. قال: لا عار عليك في ذلك، والعار أن لا تزوجه فتكشف أمره!. فسأله أن يزوجه ففعل، فدفع إليه عن الفتى خمسة آلاف درهم، وأمره بتعجيل إهدائها إليه.

* * *

قصة عبد الملك والأعرابي

* أبو عبيدة قال: كان بأرض الحجاز رجل له ابنة جميلة فهويها ابن عمٍّ لها فبذل لها أربعة آلاف درهم، فأبى أبوها أن يزوجها منه، وأجدبت البادية، فدخل ابن عمها على عمه ذات يوم فشكا إليه ما يلقى. فقال له: قد كنت بذلك لنا أربعة آلاف درهم، فأعطنا إياها، فأنت أحب إلينا لقرابتك. قال له: أجّلني شهراً. فأجّله، ولم يكن مع الفتى إلا ناقة، فركبها ومضى إلى عبد الملك بن مروان فطلب الإذن فلم يؤذن له. فقال: إني رسول فلان عامل أمير المؤمنين على الحجاز. فأدخل عليه من ساعته. قال: معك كتاب من فلان؟ قال: لا. قال: فرسالة؟ فأنشأ يقول: «من البسيط»

مــاذا يـقــولُ أميــرُ الـمؤمـنيـنَ لِمَـنْ أَدْلَى إليـك بـلا قُـرْبَى ولا سَبَبِ[1]

مُـدَلَّـهٌ، عـقـلُه مـن حُـبِّ جـاريــةٍ مـوصـوفـةٍ بكمـال الحُسْنِ والأدبِ[2]

خَـطَبْتُها إذ رأيتُ النـاس قـد لَهَجُـوا بذكرها، والهوى يدعو إلى العَـطَبِ[3]

فقلتُ، لـي حَسَبٌ زاكٍ، ولي شـرفٌ قالوا: الـدّراهم خيرٌ من ذوي الحَسَبِ

---

(١) السّبب: الحبل الذي يُتصل به أو هو العلّة.

(٢) المدلّه: المفتون، أو الذي أصابه الخبل.

(٣) لهجوا: ذكروا وأكثروا، والعطب: الهلاك.

إنـا نـريـد ألـوفـاً منـك أربعـةً ولستُ أمْلُك غيـرَ الـحِسِّ والقَتَب[1]

فـامْنُنْ عليٍّ، أميـرَ المؤمنين، بهـا، واجمـع بها شَمْلَ هذا البائس العِرب[2]

فـمـا وراءك، بـعـد الله، مُـطَّلَبٌ، أنت الـرجـاء وأقصى غـايـة الـطلب

فضحك عبد الملك وأمر له بـأربعة آلاف درهم، وقـال: هذا صداق أهلك، وزاده أربعة أخرى وقال له: أولِم بهذه، وأنفق عليها منها. فقبضها ومضى، فتـزوّج بالجارية.

* * *

قصة إسحاق[3] بن علي والأعرابـي

* وكان إسحاق بن سليمان بن علي شاباً ظريفـاً، محبّاً للشعـر. فخرج ذات يـوم، وأبوه يلي البصـرة، لأبـي جعفر المنصـور، متنزهـاً إلى ناحيـة الباديـة. فلقي إعرابياً فصيحاً إلا أنه شاحب اللون، مصفراً، ظاهر النحول فاستنشده، فمضى عنه، فقال له: ما بالـك، فوالله، إنـك لفصيـح! قال لـه: أما تـرى الجبلين؟ قال: قلت: بلى. قال: في طلابهما ما شغلني عن إنشـادك. قلت: وما ذاك؟ قـال: ابنة عم لي قـد تيّمتني، وأذهلت عقلي، وتـالله أنـه يـأتي علي لا أدري أفي السمـاء أنـا أم في الأرض. قال. قلت: وما يمنعك منها؟ قال: قِلُّ ذات يـدي؟. قلت: وكم مهرُهـا؟ قال: خمسون ناقة. قال: قلت: فيزوجونك إذا دفعتها؟ قال: نعم. فقلت له: أنشد لي مما قلت فيها! فأنشدني: «من الطويل»

سعى العلمُ الفـردُ الـذي في ظـلالـه غَـزَالَان مـكـحـولان يـرتـعيـان[4]

أرَعْتُهـمـا صيـداً فـلم أستـطعـهمـا وخَبْـلاً ففـاتـاني وقـد خَبَـلاني[3]

---

(1) الحسّ: المشاعر، والقتب: الرّحل الصغير.

(2) العرب: الفصيح الذي أفصح لك عمّا في نفسه.

(3) هو إسحاق بن سليمان بن علي، والي البصرة، ابن عمّ المنصور.

(4) العلم: الجبل والسّيد.

(5) أرعتهما: من الروع، وهو الخوف: والخبل: فساد العقل.

قال: فقلت له: يا أعرابي، لقد قتلتني بقتلك، فنفيت من العباس إن لم أقم بأمرك. فرجع إلى البصرة فأخذ جماعة من أهله وما احتاج إليه، وحمل معه الأعرابي، وسار إلى الجارية فخطبها إلى الفتى، فزوجه، وساق إليه خمسين ناقة وأقام عندهم ثلاثة أيام نَحَر فيها ثلاثين جزوراً، ووهب للأعرابي وللجارية مثل ذلك، وانصرف إلى البصرة.

* * *

[تم الكتاب بعون الله وتوفيق]

• • •



مطابع يوسف بيضون
بيروت - هاتف: ٨٣٧٦٩٧ - ٨٣٧٥٤٩ - ٤٦٠٧٤٣